أعلام الأدب العربي
في العصر الحديث

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الناشر
دار الرشيد
لكناؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
الخاصة بدار الرشيد
١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

عدد النسخ ١١٠٠

ثمن النسخة : ١٩٠ روبية

يطلب من

المجمع الإسلامي العلمي
ص ب ١١٩ ـ ندوة العلماء ـ لكناؤ (الهند)
رقم الهاتف : ٠٥٢٢٢٧٤١٥٣٩
فاكس : ٠٥٢٢٢٧٤٠٨٠٦
E-mail:info @ airpindia.com

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

يسعد "دار الرشيد" أن تضع بين أيدي المعنيين بالأدب الحديث كتاباً يحتوي على تراجم ٢٥ أديباً من أدباء العصر الحديث ممن أثروا المكتبة الأدبية بإبداعاتهم المتميزة، ورسمت أقلامهم في وجدان الدارسين لها سطوراً، ومنحتهم فهماً عميقاً للواقع، وإدراكاً أكثر للحياة، وزادتهم علماً وثقافة وفناً وأدباً، ولكل منهم إسهاماته البارزة المميزة في خدمة الأدب وتكوين النشء الجديد عقلياً وفكرياً.

كانت المكتبة الأدبية العربية تحتاج إلى كتاب يختلف عن الكتب التي ألفت حول هذا الموضوع، واقتصرت على تراجم الأدباء المحترفين دون الأدباء الإسلاميين الملتزمين بالقيم والأخلاق، وانحصرت في حدود البلاد التي ينتمي إليها أصحابها على الرغم من أن الأدب لا يعرف الحدود والثغور ولا يتقيد بها، فكانت الحاجة ماسة إلى إعداد كتاب يضم الأدباء المعروفين من مختلف الجنسيات والثقافات، ويستعرض عناصر الأدب العربي المعاصر ومراحله، ويبين خصائص الأدب وسماته، ويلقي الضوء على الأفكار والاتجاهات التي أحدثت ثورة في التفكير وانقلاباً في العمل والسلوك.

فقام أستاذنا الجليل محمد واضح رشيد الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها سابقاً في دار العلوم التابعة لندوة العلماء، وهو يتمتع بذوق أدبي رفيع، وله خبرة طويلة في تدريس هذه المادة، واطلاع واسع على تاريخ الأدب العربي قديماً وحديثاً، ومعرفة دقيقة بالاتجاهات الأدبية المعاصرة.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد سبق أن صدر من قلمه كتاب بعنوان "تاريخ الأدب العربي"(العصر الجاهلي) وكتاب بعنوان: أدب الصحوة الإسلامية: وصدرت لهذين الكتابين عدة طبعات من الهند والبلاد العربية، ولا شك أن هذا العمل كان خطيراً، لأنه كان يقتضي دراسة واسعة، وذوقاً أدبياً رفيعاً وأمانة علمية فائقة حتى لا يتهم المؤلف بالانحياز والمبالغة، ولا يحمل عمله على الدعاية لأحد من الكتاب، ومما يدل على نجاح المؤلف في عمله أن كل من يقرأ هذا الكتاب يشهد له بالأمانة العلمية، وعدم الانحياز والكف عن الإطراء والمبالغة.

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام، يتناول القسم الأول منها خصائص الأدب العربي المعاصر وتطوره بالبحث والدراسة، ويلقي الضوء على عناصر تكوينه وعلى الموضوعات الجديدة التي طرقها الأدباء المعاصرون، ويزدان هذا الفصل بمقالة قيمة رائعة للكاتب الإسلامي الشهير الدكتور محمد مصطفى هدارة، وقد استعرض فيها الدكتور الأدب العربي المعاصر وتأثير الاتجاهات الأدبية الأوربية على الأدب العربي المعاصر، ومجالاته ومميزاته ومراحل تطوره بغاية من الدقة والتفصيل.

يحتوي القسم الثاني على تراجم الأدباء المعاصرين الذين عرفوا بأدبهم الرفيع، وأسلوبهم البليغ، وعرضهم الخلاب، واستخدموا الأدب كأداة لنشر الأفكار التي نشأت في أذهانهم أو تلقوها من أساتذتهم الأجانب في الجامعات الغربية التي درسوا فيها دون أن ينظروا إلى ما تحملها من جوانب سلبية، وما فيها من فساد في العقيدة، وانحراف في السلوك ودعوة إلى الإباحية، وثورة على الدين والشريعة.

يضم القسم الثالث الكتاب الإسلاميين الذين لا تقل مكانتهم من الأدباء المحترفين، بل نجد أكثرهم يمتازون عن الأدباء الذين احترفوا الأدب واحتكروه، بأدبهم الرائع، وأسلوبهم الساحر، وأفكارهم النزيهة، وأخيلتهم الدقيقة، وعباراتهم اللطيفة، ومعانيهم السامية، وروحهم

www.abulhasanalinadwi.org

المتهبة، وشعورهم المرهف وذوقهم الرفيع، وطرق معالجتهم للقضايا المعاصرة، وتقديم الحلول لها، لكن قصارى النظر وضيقي الصدر جحدوا جهودهم، وأنكروا لهم هذا الفضل، وأحطوهم من شأنهم، وعابوا عليهم بأن كتاباتهم تخلو من الجمال الفني والروعة البيانية لتناولهم قضايا دينية وعلمية، وهذه جريمة لا تغفر وعيب لا يستر، فلابد من تنحيتهم عن صفوف الأدباء، فيعيد هذا الكتاب إلى هؤلاء الأدباء حقوقهم ويضعهم في الأماكن التي تليق بشأنهم، ونرجو أن يستفيد به طلاب الأدب العربي، وتتحقق به غاياتهم، وتنمو فيهم الملكة الأدبية والقدرة على التعبير.

و لا يفوتني أن أشكر الأستاذ محمد وثيق الندوي أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية و آدابها بدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ بشأن إخراج هذا الكتاب، فإليه يرجع الفضل في جمع هذه المذكرات التي أعدها فضيلة الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي لطلاب الأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء، و ترتيبها و تحقيقها و مراجعتها وثبت المصادر، فأشكره والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

جعفر مسعود الحسني الندوي
١٤٣٠/٥/٢٩هـ
٢٠٠٩/٥/٢٥م

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فهذا كتاب يشتمل على تراجم الأدباء والكتاب بالعربية في العصر الحديث، وهو بمثابة مذكرات قد أعددتها لطلاب الأدب العربي، في دار العلوم ندوة العلماء، عندما أسند إليّ هذا الموضوع، وقد استفدت فيه بكتب تاريخ الأدب الحديث المختلفة للدكتور عمر الدسوقي، والدكتور شوقي ضيف، والأستاذ أنيس المقدسي، وغيرهم من الكتاب.

وقد كان تدريس الأدب العربي قاصراً على أدب العصور الوسطى في سائر المدارس الدينية، ولكن دار العلوم ندوة العلماء أولت الأدب العربي الحديث بالاهتمام بدون أن يطغى ذلك الاهتمام على الاهتمام بأدب العصور الوسطى، و كذلك اهتمت دار العلوم ندوة العلماء بأدب العصور الأولى.

ولأجل هذا الاهتمام بأدب العصر الحديث ضم منهج الأدب الحديث مع نصوص القسمين النظم والنثر مدارس النقد القديمة والحديثة، وتاريخ الأدب الحديث، وكان ذلك بسببين: أولاً أن لا يغفل طالب الأدب العربي أدب أي عصر من العصور، فإن أدب كل عصر له أسلوب بحكم اقتضاء العصر، والكاتب والموضوعات التي يتناولها الكاتب، ويصور أدب كل عصر طبيعة الحياة في ذلك العصر، علمياً وعقلياً وسياسيا وفنياً، ولذلك هو مصدر من مصادر التاريخ، وقد قيل لأدب العصر الجاهلي بصفة خاصة أنه "ديوان العرب"، وعلى كل حال أدب كل عصر يدل على الاتجاهات السائدة في ذلك

www.abulhasanalinadwi.org

العصر مهما كانت المبالغة غالبة عليه.

وأدب العصر الحديث هو أدب الحياة، كما كان أدب العصر الجاهلي، فإن هذا الأدب رغم قيمته الأدبية والفنية الخاصة يعكس الاتجاهات الفكرية والعقدية والاجتماعية في هذا العصر، وهو منذ بدايته في القرن التاسع عشر عندما تأثر بالآداب الأجنبية إلى هذا العصر، أدب متطور له ألوان باعتبار طبائع الكتاب، وباعتبار نشأتهم، وباعتبار الموضوعات التي تناولوها، ففيهم صحافيون، وفيهم روائيون، وكتاب القصة، وفيهم من جمع العلم والبحث والأدب، وفيهم من كان تأثره بالآداب الأوربية تأثراً غائراً، وفيهم من احتفظ بالخصائص الشرقية، وفيهم من ثار على القديم، وفيهم من كان معتدلاً متوسطاً بين القديم والحديث، ثم ان الأدب الحديث تناول قضايا الحياة اليومية، كما تناول القضايا العلمية بأسلوب يفهمه القارئ بدون صعوبة ويستسيغه.

وقد كتب أحد الناقدين عن الأدب الحديث أنه أدب العامة والخاصة، يسعى الكاتب فيه إلى الوصول إلى ذهن القارئ بأيسر طريق، وقد مرّ أدب العصر الحديث بتقلبات، وقبل اتجاهات وأساليب،وتخلى عن اتجاهات وأساليب، اشتركت في نموه وازدهاره عناصر مختلفة من المسلمين وغير المسلمين كالمسيحيين من جهة ومن المتغربين والوطنيين من جهة أخرى، وللدعاة إلى ذاتية الإسلام، والأدباء والفنيين من أصحاب الاتجاهات الإسلامية دور ملحوظ في إثراء الأدب الحديث، ومن دعاة الحضارة الغربية، ودعاة الحضارة الإسلامية الشرقية، وأسهم في هذا المضمار أدباء من الهند، وإيران، وبلدان غير عربية، ونالت أقلامهم اعترافاً وتقديراً من الجهات الأدبية.

فإذا كان الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي الحديث، وسلامة موسى في جهة، كان الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وحسين هيكل وعباس محمود العقاد والأمير شكيب أرسلان وعبد الرحمن الكواكبي في جهة، وقد وقعت بين هؤلاء الكتاب معارك أدبية، وفكرية، فتاريخ الأدب الحديث بهذا الاعتبار تاريخ حافل بالقضايا والاتجاهات الفكرية، ظهرت فيه ألوان كثيرة

www.abulhasanalinadwi.org

بتأثر هؤلاء الأدباء بالاتجاهات الأدبية في الغرب، وقد ظهر تأثير المدارس الأوربية الغربية في كتابات أدباء العرب كالكلاسيكية والرومانتيكية والرمزية والواقعية، كما كان لأدباء المهاجر الأوربية أسلوب خاص واتجاهات فكرية مختلفة كجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة وإيلياء أبو ماضي، ويلقي على هذا الجانب الضوء مقال الدكتور مصطفى هدارة، ويتضح به إلى أي مدى تأثر الأدب العربي المعاصر بالمذاهب الأدبية الأوربية وخاصة في كتابات الذين درسوا في جامعات أوربية أو درسوا الآداب الأوربية، وقد نشر هذا المقال في مجلة "رابطة الأدب الإسلامي العالمية" (١٤١٥هـ) التي تصدر من الرياض، ونظراً إلى أهميته ضممته إلى الكتاب.

وظهر في فن القصة أيضاً كتاب ساروا على نهج القصة الغربية، وكتاب صوروا حياة الشرق، وقضاياها كأمثال مصطفى لطفي المنفلوطي، ومحمد تيمور، وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، فلا يقرأ قارئ أدب هذا العصر أدباً فقط، بل يقرأ صراعاً بين الأفكار، ويطلع على سير الحياة، وتاريخ الأمم، ولذلك وصف المؤرخون هذا الأدب بأدب الحياة، أو أدب قضايا الحياة.

وقد ألف الكتاب كتباً في تاريخ الأدب الحديث باعتبار الدول كمصر وسوريا والعراق والسعودية، وركزوا على الأدباء المحترفين فقط، وتركوا أصحاب القلم والأدباء المعروفين من أصحاب اتجاهات إسلامية برغم كونهم أدباء معترف بهم كمحب الدين الخطيب وكرد علي ونجيب الكيلاني، وسيد قطب، وعلي الطنطاوي وعبد الرحمن الكواكبي، وهو إجحاف في حقهم، كما تركوا الكتاب بالعربية من غير العرب.

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أجمع أدباء طبقات مختلفة، وقمت باستعراض سريع لعناصر تطور الأسلوب، وبيان خصائص الأدب الحديث وإلقاء الضوء على الأفكار والاتجاهات لتعريف طلاب المدارس الإسلامية بها، أرجو أن يكون ذلك إضافة إلى مكتبة الأدب الحديث.

وأشكر شقيقي الكبير الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام

www.abulhasanalinadwi.org

لندوة العلماء ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد زين هذا الكتاب بمقدمة علمية وأدبية جليلة، ولا أشكره على مقدمته فحسب، بل على توجيهاته السديدة في مجال دراسة الأدب المعاصر دراسة ناقدة، وإضافة الكتاب الإسلاميين إلى الأدباء الذين احترفوا الأدب، فإذا كان لهؤلاء الأدباء تأثير على المجتمع العربي وإسهام في اتجاه تقليد الغرب كان للكتاب الإسلاميين إسهام في إعادة الأدب العربي إلى أصالته، كما أشكر الأستاذ الفاضل الدكتور سعيد الأعظمي عميد كلية اللغة العربية سابقاً، ومدير دار العلوم ندوة العلماء على كلمته الضافية لتقديم الكتاب.

وقد ساعدني في جمع المواد وترتيبها و ثبت المصادر ونقلها ومراجعتها و تحقيقها الأستاذ محمد وثيق الندوي أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم ندوة العلماء، فأشكره على هذه المساعدة العلمية القيمة، وتخرج هذه المذكرات إلى شكل كتاب بمجهود ابني العزيز محمد جعفر مسعود الحسني الندوي صاحب دار الرشيد، والأستاذ محمد وثيق الندوي، وهما اللذان أصرا على طبعه ليستفيد به طلاب المدارس الإسلامية والجامعات معاً، فإن هذه المادة تدرس اليوم في سائر كليات اللغة العربية.

وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينفع به طلاب اللغة العربية، والله ولي التوفيق.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
ندوة العلماء، لكناؤ

٢٢/ ربيع الأول ١٤٣٠هـ
٢٠/٣/٢٠٠٩م

www.abulhasanalinadwi.org

المقدمة

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن الأدب العربي ذو تاريخ مجيد، عاش قروناً طويلة، وعاشر شعوباً وبلداناً مختلفة، فاتسعت مساحته الزمنية والوطنية، وزخر من ذلك بنماذج متنوعة وألوان شتى، وفاق على الآداب الأخرى، فإنه لا يوجد مثل هذه السعة في الزمان والمكان في أدب آخر غير الأدب العربي، ومر الأدب العربي بسبب سعته في الزمان والمكان من حالتي القوة والاضمحلال، وكذلك من مراحل التأثر والتأثير العديدة.

ولما جاء العهد الحديث كان الأدب العربي يمر من حالة جمود ومن شيء من الخمود في الوقت الذي كانت قد قويت فيه آداب الأمم الغربية، وذلك في ثلاثة أو أربعة قرون ماضية أخيرة، فقد أصبحت فيها الآداب الغربية أقوى عملاً، وإن سيطرة الغرب على الشرق أعانت الآداب الغربية في بسط نفوذها على الآداب الشرقية التي كان يعدّ الأدب العربي واحداً منها، وكان في حالة نعاس وشيء من الغفلة لا في حالة سبات من النوم، فلما أصابته هزة من نهضة الآداب الغربية تنبه على ضعفه واضمحلاله، وما مضى زمن إلا وأصبح له رجال متخصصون في جوانب في فنونه ومجالات العمل فيه، ونرى هؤلاء المتخصصين بصورة عامة منقسمين في

---

[1]- رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية وما يجاورها من البلدان، والرئيس العام لندوة العلماء لكناؤ الهند.

www.abulhasanalinadwi.org

أعمالهم الأدبية إلى ثلاثة أقسام: قسم التركيز على القديم والدفاع عن أصالته وفصيح كلامه، وقسم تنويع معانيه ومضامينه، واستحداث جوانب مختلفة منه، اتباعاً لأساليب الآداب الغربية الوافدة، وقسم النصرة للنظرة الإسلامية للحياة ورفض الغزو الغربي، فنجدهم بصورة عامة منقسمين إلى أحد هذه الأقسام الثلاثة.

وكان الأدب العربي منذ أن دخل في الإسلام متسماً بالصفة الإسلامية وهي كانت لها شارة ملموسة، إن الآداب كلها إنما تكون لها شارات وهي تنشأ بتأثير ما لدى شعوبها وثقافاتها التي ترافقها وتزامنها من صفات وحالات، والأدب العربي متصف بشارة إسلامية، ولذلك لما جاء العصر الحديث وهو عصر غلبت فيه القوى الغربية في العالم ورافقت هذه الغلبة ثقافة الغرب ومؤثرات تمدنه على الثقافات الشرقية، وكان تمدناً ثقافياً مزيجاً من الصفة المسيحية والصفة الإلحادية، تأثر به الأدب العربي أيضاً أيما تأثر بسبب السيطرة الغربية بعلومها وآدابها على البلدان الشرقية، ولكن الله تعالى خلق رجالاً قاموا بإنهاض الأدب العربي، وقام عديد منهم بإنهاضه مع محافظة على خصائصه الأصيلة، وكان منهم من قام بالعمل فيه من ناحية نفعه للحياة السائدة في العالم واتبع الغرب في فكرته للأدب، وكان منهم من عمل له من ناحية الاحتفاظ بأصالته وصرامته، ومنهم من عمل فيه من ناحية العمل به للمقومات الإسلامية، وهذه هي الوجوه المختلفة لأداء مسئولية العمل للأدب العربي في العصر الحديث.

لقد قام المؤلفون في تاريخ الأدب العربي باستعراض جهود الأدباء المحترفين أو الأدباء الذين اكتفوا بالأعمال الأدبية، وتركوا الأدباء الذين كانت لهم قيم معينة، أو ميول دينية وخلقية في تصوير حياة الفرد أو المجتمع، وبعض الباحثين انتقدوا الأدباء الملتزمين بالقيم أو العقيدة.

وبناء على ذلك كانت مدارسنا ومعاهدنا العربية تقتضي أن يأتي أمام المنتسبين إليها استعراض جهود رجال الأدب العربي في العهد الجديد

www.abulhasanalinadwi.org

عامة ممن أدوا خدمة أو دوراً في أي مجال من المجالات الأدبية المعاصرة، حتى يعرف الدارسون للأدب العربي من هم نبغاؤه وأعلامه في نطاق يتفق مع حاجة الدارسين لخصائص الأدب العربي الحديث، وكان استعراض أعلام الأدب العربي في هذا العصر يقتضي أن لا يطول بل يكون فيه شيء من الإيجاز والاختصار ليكون الاطلاع عليه سهلاً، فقام بهذا العمل المفيد أخونا العزيز الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء حالياً، وعميد كلية اللغة وآدابها التابعة لها سابقاً، وقام بهذا العمل المهم بإجادة وإحاطة، إنه اختار مجموعة من أعلام الأدب العربي في هذا العصر المعروفين بإنتاجهم الأدبي، وأضاف إليهم الأدباء الإسلاميين الذين كانوا باحثين في الأدب العربي، وكانوا مع ذلك دعاة ومصلحين، وذكر خصائص كل منهم وجهوده وأعماله في الساحة الأدبية مع تفرده في أحد الاتجاهات الثلاثة التي ذكرناها للأدب العربي.

فكان منهم أصحاب إنتاج في مجال الشعر والأدب، وكان منهم من أدوا خدمة التركيز على أصالة الأدب العربي، ونقد التهاون فيه عن طريق التعليم والكتابة، وكان منهم من اختاروا جانب النصرة للمسحة الإسلامية للأدب والإنتاج البناء في هذا الاتجاه وتجريده من أساليب الآداب الغربية المعاصرة، كما استعرض الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي صنفاً من أدباء التقليد لنزعات الآداب الغربية ومذاهبها أيضاً مثل طه حسين الذي تأثر بالعقلية الأدبية الفرنسية، وأصبح لكتابته أسلوب عربي متطرف ومضمون ذو وجهة نظر غربية.

وأما المحافظون على الأصالة فكان منهم مصطفى الصادق الرافعي الذي حافظ محافظة قوية على الأصالة العربية في كتاباته مع أسلوب تخييلي هادف، وكان منهم مصطفى لطفي المنفلوطي الذي اختار أسلوباً عربياً بليغاً بكلماته الجميلة، وكان منهم الذي قام بكتاباته لنصرة الكرامة العربية والنظرة الإسلامية الهادفة مثل الأستاذ علي الطنطاوي الذي جمع بين

www.abulhasanalinadwi.org

الأصالة العربية والمضمون الإسلامي الهادف في براعة في الأسلوب، وهكذا الآخرون من الأدباء.

على كل فقد جمع الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي ألواناً من هؤلاء الأدباء فجاء كتابه باقة لمجموعة أعلام الأدب العربي وثمراتهم اليانعة، استحق الكتاب به أن يقدر له تقديراً لائقاً، وأن يستفيد منه من أراد التضلع في معرفة ذلك، والاطلاع على أعلام الأدب العربي وإبداعاتهم، وإني أرى أن طلاب العلم الذين لهم عناية بمعرفة خصائص الأدب العربي الحديث وأعلامه إنما يسد هذا الكتاب حاجتهم ويحقق غايتهم، فسعي الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي في هذا المجال سعي بليغ وجدير بكل تقدير.

١٠/ربيع الأول ١٤٣٠هـ	محمد الرابع الحسني الندوي
١٢/مارس ٢٠٠٩م	الرئيس العام لندوة العلماء

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي
عميد كلية اللغة العربية وآدابها سابقاً
ومدير دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ حالياً

الأدب هو عطاء الإسلام، ولم تعرف الأمة الجاهلية هذا المصطلح رغم وجود الانتاجات الأدبية.

وهو إسلامي بذاته وبطبيعته، وهو رسالة حياة للنوع البشري كله، وإنما هدفه القيام بمهمة التعبير الصحيح عن الإنسان والكون والحياة، وتنبيه الإنسان على الغاية التي خلق من أجلها، وصياغة كل من القلب والذهن والعقل والفكر والشعور في قالب الإيمان واليقين، حتى تتمكن الحياة من السير على الوجهة الصحيحة بكل ثقة واعتماد، ويتجلى لها غايتها المنشودة متمثلة أمام عين البصيرة..

ويهدف الأدب في الإسلام إلى بناء الحياة والسيرة الإنسانية، وهو يعين دور الإنسان في الكون ويكشف له نوعية صلته به، فإلى أي مدى يجب أن تكون علاقة الإنسان مع الإنسان وما هي مراتبها؟ وكيف يمكن الإنسان أن يجدي بحياته الآخرين وينفع بها الناس؟ وما هو الموقف الذي ينبغي أن يتخذه تجاه الأمور الدنيوية والشؤون المادية؟ وأي رباط يربطه بربه تبارك وتعالى وما نوعية هذا الرباط والاتصال؟ وكيف يستطيع أن يجعل الدنيا مزرعة للاستعداد للآخرة ومركزاً للإعداد ليوم الدين بإنشاء جو من الأمن والهدوء والسلام والطمأنينة؟

الأدب الإسلامي يرد على جميع هذه التساؤلات لأنه يحيط ويشمل جميع نواحي الحياة، ويستحكم قبضته دائماً على سير الحوادث والأوضاع

www.abulhasanalinadwi.org

التي تحدث في الكون، إنه يتناول الوقائع والأحداث بالتحليل الفني، ويؤثر على ما حولها من الأحوال والظروف، ويهيئ للفكر والخيال غذاء صالحاً دسماً، ويزكي الذهن والفكر من كل نوع من فساد الظنون وغثاثة التخيلات ومن العناصر الهدامة، وينزه دائماً البيئة من مزابل الأهواء النفسية والأمراض الخلقية ومن الأدواء السلوكية والفكرية، ويسد الأبواب في وجه الشرور والفتن الاجتماعية بغاية من الحكمة، ولنا في التاريخ أمثلة كثيرة من منجزات الأدب البناءة والإيجابية في الحياة والمجتمع.

يشهد التاريخ أنه كلما سرت المنكرات وتسربت السيئات في شعب أو مجتمع وغزت الأنانيات والظلم ساحة الحق والعدل، واستولت عقلية النفعية والاستغلال على الفرد والمجتمع وعم فقدان الضمير الحي، قام الأدب الهادف الموضوعي بتمهيد الطريق نحو الثورة ضدها، وإيقاظ الشعوب من سباتها وغفوتها، وتزكية الفكر والخيال مع إبادة القوة المسيطرة المهاجمة والقضاء عليها، ولم يزل دوره أعظم وأجدر بالذكر في القضاء على عهد التبعية والعبودية، وكل ما وقع في التاريخ من الأحداث المليئة بالفتن مثّل الأدب دوراً مهماً في مقاومتها، وكان جديراً بأن يسجل بعنوان جلي بارز، سواء كانت فتنة خلق القرآن أو الحركة الباطنية أم غزو التتار، أو غيوم الحروب الصليبية الغاشمة على المسلمين وبلادهم.

لا ريب في أن الأدب الإسلامي مع جميع ميزاته وخصائصه الفنية يحتل درجة الكمال والبراعة في تصوير الحياة والتعبير عن الكون وتفسير الموقف الإنساني النبيل، وقد أحرز قصب السبق في إقامة طبيعة متزنة صادقة للأدب.

١ - إن من أبرز سمات هذا الأدب وصفاته الأولى هي تعيين القيم الخلقية وجمع شمل العناصر الفنية وحراسة جميع جوانب الحياة بظواهرها وبواطنها والمراعاة الكاملة للعواطف والأحاسيس الإنسانية مع تربيتها، وتهذيب الأفكار وتثقيف التصورات، في ضوء تصور إسلامي خالص،

www.abulhasanalinadwi.org

مصدره العقيدة والإيمان، يستمد منهما غذاءه ويأخذ جلاءه ونشاطه، ذلك هو المنبع الفياض الذي يدفع المرء إلى العمل والكفاح، وهنالك تتكشف أمامه أسرار القدر والكون.

ذات الإنسان هي محور الأدب الإسلامي، يتعامل ويدور حولها، و يتعلق بجميع نشاطات الإنسان وممارساته وكافة أحواله، فلا يبرز وحدة آماله الجمالية ولا يصور أحاسيسه وعواطفه الرقيقة وأحلامه الرائعة وآماله وطموحاته الجميلة وتطلعات مستقبله الزاهر الباهر فحسب، بل ويصف آلامه وأخطاره وأحزانه ومشكلاته وقضاياه ويتصل بعزماته غير المتزنة وأفكاره المشككة أيضاً، ويتعلق بحرمانه ويأسه مما يتوقعه، وتصوره المخوف للمستقبل القادم مما يواجهه في الآخرة، فكما أنه يرتبط بالجانب النير الزاهر للحياة يتعلق بجوانبها المظلمة كذلك، ويدور حول كل من الفكر الإيجابي والجانب السلبي ويؤثر على الجميع تأثيراً عميقاً.

وكذلك يتعامل مع تنوعات الكون وما فيه من حسن وجمال، ورونق وبهاء، ومناظر خلابة فاتنة، كما يتعامل مع أجواء الكون الرهيبة وعواصفه المهيبة ونغماته الرقيقة ذات الأفراح والآلام، وما يحدث فيه من حوادث وأخطار محدقة بالمهالك والمخاوف، وظلمات البحار وأعماق الأنهار واتساعات الأرض وزلازلها الشديدة وقلل الجبال الشامخة وما يسكن فيها من الكائنات، وأجواء السماء وما يوجد خلالها من طيران الطيور وما يسبح في الفضاء من أجرام الشمس والقمر والنجوم والكواكب والغيوم والسحب وما ينزل منها من الأمطار، كل ذلك يدل على أنه ليس شئ من الكون خارجاً عن نطاق الأدب الإسلامي.

فإذا كان هناك أدب يبلغ هذه الدرجة من الشمول والكمال والموضوعية لا نستطيع أن نحكم فيه سوى إن ملامحه فطرية وواضحة، وإن من أبرز سماته الأصالة Originality التي تتحكم فيه بأوسع معانيه وأكملها.

٢- وميزته الثانية البارزة هي فكره الذاتي، الذي يتمتع به، بينما

www.abulhasanalinadwi.org

نرى أن النظريات التي يحملها الآداب التقليدية الأخرى مستعارة، تأخذ أفكارها الأدبية من ذلك الفكر الذاتي، إنها تستورد الأفكار غير الملائمة للطبيعة والمتعارضة المصطدمة مع المثل العليا للحياة، وتقدمها كنظرة جديدة مستقلة بذاتها، وليس ذلك إلا ميزة الأدب الإسلامي الذي منح الإنسان أدباً ينسجم ويتواءم تمام الانسجام مع الفطرة ويؤسسه على أساس ثابت من أصالة الفكر والذوق والشعور والاستقلال بالذات.

فكلما نأخذ موضوعاً له صلة بالكون والحياة، ثم نتحدث عنه بأسلوب رقيق ممتع جذاب حيث يعبر هذا الطراز من الكلام عن العواطف والمشاعر ويسترعى انتباه المخاطب ويستلفت أنظاره إليه، فيعتبر ذلك الأدب ناجحاً من نواحيه الفنية والأدبية كلها، وإذا كان وراءه هدف طاهر نزيه ودعوة إلى الأخلاق النبيلة الكريمة والقيم الإيجابية كان الأدب هادفاً وذا غاية مشرقة، وإن أول شيء يراعي في عناصر الأدب الإسلامي التركيبية هو الخيال النقي الزكي والفكر الهادف، فإننا بدون ذلك لا نكاد ننجح في تصوير الانعكاسات تصويراً صادقاً واقعياً عن طريق هذا الأدب، ونواجه الصعوبة إذن في تقديم الفكر الذي نتوخى أن نعرضه على الآخرين.

والعنصر الثاني هو الشعور والوجدان وهو عنصر مهم أساسي جداً، وبه يكتمل ويبلغ مرحلة النضج والكمال مع الروعة والجاذبية ومتعة القلب والنظر، ولا يمكن بدونه أي تصور للأدب، فكل كلام يخلو ويتجرد عن هذا الوصف فهو أحق بأن يدعى بحقيقة علمية، فحينئذ يكون وضعه في صف الأدب إساءة إليه وحطا لشأنه، فمثلاً إنك تقرأ عبارة أو نصاً، نثراً كان أو نظماً، فإن كانت هذه العبارة تلمس الشعور والوجدان وتمنحهما الارتياح واللذة، فتلك عبارة نضعها في الدرجة الأولى من الأدب، ولكن الحقائق العلمية والفكرية البحتة لا تمس الشعور والوجدان ولا تؤثر عليهما، بل تؤثر على العقل فحسب، وإن كان هناك كثير من الكتابات التي يستفيد منها العقل والوجدان معا فنحن نعرفها باسم الأدب.

www.abulhasanalinadwi.org

وهناك أمر ذو أهمية بالغة وهو أن الشعور والوجدان يتصلان بذات الأديب مباشرة، فإذا كانت قوته الوجدانية ضعيفة أو ليس شعوره رقيقاً مرهفاً وسريع الانفعال والتأثر، فيبقى هذا العنصر ضئيلاً في أدبه، وبقدرما يفقده يكون أدبه قليل التأثير وناقصاً من حيث القوة الكلامية والبيانية.

إن الكلمات بمثابة العنصر المادي للأدب، ولكي ينفخ فيها روح الحقيقة يجب استحضار المعاني وترتيبها الذهني والفكري، وهناك ينشأ سؤال نوعية التعامل معهما، هل يعد القالب أولا، ثم يلقي فيه الروح، أم يكون الأمر بالعكس، فإذا كانت حقيقة الروح وترتيب المعاني موجودين في الذهن من قبل، فهما يلتقيان معاً وينصاغان في قالب الألفاظ والكلمات.

إن أهل البلاغة يقولون: إنه يتحتم أولاً ترتيب المعاني واستحضارها في الذهن، وعلى هذا الأساس تتولى الكلمات بنفسها التعبير عن المعاني والانصياغ في قالب الكلام، ومن براعة الأديب ومهارته أنه يختار الكلمات وفق المعاني ويقدمها في أسلوب رائق ورائع أخاذ، وطراز بياني جميل ممتع، وتكون طريقته هذه البيانية مؤثرة وأفكاره نقية وزكية حيث تمس وجدان المخاطب فيقبلها مباشرة، وهذا من براعة الأديب الذي لا يتوخى بيان حقيقة من الحقائق وعرضها عن طريق فني إلا ويجعلها سهلة سائغة يستسيغها المخاطب من غير أي كلفة ولا كلال.

أعتقد أن هذه العناصر التركيبية للأدب الإسلامي إنما هي من معطيات تلك النظرية، ولا يكاد يتوصل أي أدب إلى النجاح ويفوز بالهدف بالاستغناء عن هذه العناصر، ذلك لأن الأدب مع خصائصه الأدبية ولونه الفني لا يمكنه أن يتخلى عن هذا التركيب الأساسي، فالذين ينادون بهتاف "الأدب للأدب" هم أيضاً يعتبرون هذه العناصر من مكونات أدبهم، أيا كان هدفهم وراء ذلك، عاجلاً أو طارئاً، فقد تأكد لديهم انه لا بد لهم من محاكاة العناصر التركيبية للأدب الإسلامي، فيما أرادوا أن يقدموه كأدب، ويدعى ذلك أدباً وإن كانوا يعبرون عن تصور الطهر

www.abulhasanalinadwi.org

والنزاهة وروح الموضوعية في هذه العناصر بالرجعية والجمود الفكري.

إن كل ما ظهر من الاتجاهات الأدبية نتيجة للحياة المادية للغرب والحضارة المادية ركزت على نقطة الجنس والجمال، وتارة ألبست العواطف والمشاعر زي الحسن والجمال، فسميت باسم الأدب، وأحياناً رفضت وجود الله تعالى والآخرة، ومنحت الفلسفة والعقل طلاوة الأدب، واعتبرت الإنسان حيواناً وجودياً محضاً، ثم وجهت إليه بكل صراحة ووضوح الدعوة إلى الترف والاستمتاع بنعم الحياة وزخارفها ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[المؤمنون: ٣٧].

والأدب الإسلامي الذي يقوم على أسس و ركائز إسلامية خالصة يقاوم هذه الاتجاهات والنزعات المادية، وكما ذكرنا سالفاً أن تصور الأدب الفني إنما هو عطاء التعاليم الإسلامية، وهو ينبع من منبع الرشد والهداية للكتاب والسنة، والأدب كلمة عربية، واستعمل الأدب في معناه اللغوي قبل الإسلام كذلك، ولكن لما ظهر الإسلام علم الإنسان آداب العيش وأساليب الحياة وأخضع له جميع أجزائها وجوانبها، وكذلك قام بالتعبير عن الحياة والكون والإنسان بغاية من الوضوح والبراعة في أسلوب جميل رائع جداً، وحدد موقف كل منها، وعين وظيفته ومكانته، وقد كان كل ذلك في أسلوب يستوفى جميع شروط الجودة والكمال الفني والجمالي، وكانت عناصرها التركيبية بالغة مبلغ الكمال في الاتزان والاتساق من كل ناحية، لذلك فإنه نموذج عال للأدب الفني، ويقوم على أساسه بناء الأدب الجميل.

ومن هنا فإن الأدب الإسلامي منطلق لجميع آداب العالم ولم يكن قبل ظهور الأدب الإسلامي أي تصور لأي كلمة ترادف الأدب، فضلاً عن أن يكون تصور الأدب سائداً عاماً آنذاك، وكان الأدب اليوناني والروماني يعرفان باسم: الثقافة أو الفنون الجميلة Culture and fine arts إلى أن طلعت شمس الإسلام النيرة ووزعت خيراتها من الآداب العالية الرفيعة الغالية، ومن هناك عمت الكلمات والمصطلحات التي ترادف وتقارب

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب معنى في جميع لغات العالم ، ففي الإنجليزية والفرنسية عمت كلمة لتريشر Literature بعد اكتشاف الأدب الإسلامي ، وهي في الواقع كلمة لاطينية اشتقت من lita اللاطينية ، وكذلك دخلت الكلمات التي تحمل وتعطى معنى الأدب في اللغة الألمانية والروسية وسائر اللغات الأخرى.

وبعد هذا القدر الموجز من التفصيل لا نشعر بأي صعوبة في التصريح بأن الأدب الإسلامي بذاته أدب ملتزم ، قائم على أساس من القيم الخلقية ومتقيد بها ، بل وإن كلمة الأدب ذاتها لا تستثنى من هذه القاعدة ، ولكن المحاولات لا تزال تبذل من قبل القوى المضادة للإسلام والشعوب المادية ، للقضاء على التصور الحقيقي للحياة والكون والإنسان والحط من مكانته ومفهومه السامي....وكذلك بذلت جهود لفصل الأدب عن مفهومه الطبيعي الصحيح وقطع صلته المتوطدة المباشرة عن الإسلام بعد اعتباره نظرة إنسانية عامة ، وفصله عن الروح الإسلامية تحت ستار المصطلح البراق الجميل لفلسفة الأدب ، حتى عاد الأدب مصطلحاً مشوهاً مشبوهاً ، حصره عامة الناس في متعة اللسان وحلاوة البيان وظنوه مجرد أداة تسلية وآلة طرب حتى بقي الأدب في الأوساط الدينية للمسلمين فناً زائداً وطائلاً ، والذين كانوا يشتغلون به بدأ الناس يتصورونهم أقرب إلى الدنيا منهم إلى الدين.

كان من أكبر نجاح الفنائين الغربيين أنهم أدخلوا في أذهان المسلمين هذا المفهوم الخاطئ للأدب ، وأكدوا لديهم أنه فن وُجد لمجرد اكتساب الجاه وحسن السمعة من زخارف الدنيا وعرضها منعزلاً عن الدين ، ولترسيخ جذور هذا المفهوم الخاطئ قسموا الأدب بين الاتجاهات المادية المختلفة وشكلوا الأدب النقدي كفلسفة مستقلة ، ووضعوا له مقومات وضوابط مفترضة وسحروا بها أعين الناس من الطبقة المثقفة ، ثم نشأت مدارس مختلفة للأدب والنقد ، بعزل المفهوم الإسلامي عنها حتى أصبح الأدب الإسلامي أمراً غريباً داعياً إلى العجب والضحك ، وأصبح انتماؤه إلى

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام جريمة لا تغتفر، ويمكننا أن نعرف ما قد أوجده أهل الغرب من المذاهب المادية وما حققوه من ممارسات ومحاولات لدعم هذا التصوّر للأدب ونشره وتعميمه، وما أنشأوه من مدارس ومذاهب وحركات مختلفة كثيرة للأدب بواسطة الأدب الغربي المادي، ولا تزال وجهات النظر تضيف إلى قائمتها، وتتولى إشاعة الفاحشة والضلال وإنكار القيم الدينية باسم الأدب، وتستمر المحاولات الحثيثة للتأكيد على أن الحياة والكون إنما هو مجرد وسيلة للاستمتاع بملذات الحياة الدنيا وزخارفها.

إن فلاسفة الأدب يقسمون الأدب إلى قسمين في عامة الأحوال: تشبيهي وتمثيلي، فالأدب الذي لا يهدف إلا إلى الأدب يدعى بالأدب التجريدي أيضاً، والقسم الثاني أدب الأحداث، وهذا الصنف من الأدب يقوم بمهمة التعبير والتفسير عن حقائق الحياة وأحداثها، ويعرف هذا الصنف بالأدب التجسيدي، ولكنه يتخطى حدود العالم المادي إلى ما وراءه من سخافة ووقاحة ومجون وتنازل عن الإنسانية إلى البهيمية، وهو لا يتناول الأحداث والوقائع التي تنبع من حواس الإنسان ولا يستطيع إدراكها، والواقع أن الأدب التجريدي ليس إلا فكرة موهومة، وليس هناك ما يبرر بقاءه في عالم الواقع، ولذلك تقوم اكثر الاتجاهات والمذاهب الأدبية على أساس الأحداث المحسوسة والمادية.

ويسرني بالمناسبة أن أتقدم بهذه الكلمة المتواضعة إلى سعادة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي، وهو من كبار الأدباء والكتاب الإسلاميين، وقد صدر من قلمه مؤلفات وكتب قيمة في موضوع الأدب الحديث، ومصادر الأدب العربي القديم، وهو يُعد من أفذاذ الأدباء، ويحل مكانة أدبية وعلمية ممتازة، وقد ظل عميد كلية اللغة العربية وآدابها إلى مدة طويلة في جامعة ندوة العلماء، وهو الآن يشغل منصب المستشار التعليمي فيها، وسكرتير رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الدول العربية ودول جنوب شرقي آسيا، فسيكون من سعادة حظي أن يضم

www.abulhasanalinadwi.org

كلمتي المتواضعة إلى كتابه القيم "أعلام الأدب العربي في العصر الحديث"، عسى أن تستوحى منه معاني أدبية جميلة، والكتاب يحتوي على تراجم أدباء بارزين معاصرين من الأدباء الذين قلّدوا الآداب الأوربية، وممن جمعوا بين الأصالة والمعاصرة والإبداع والفن في الأدب العربي الحديث، ومثّلوا الفكر الإسلامي إزاء القضايا الأدبية والفكرية التي أثارها الأدباء المقلدون للأدباء الأوربيين، وأطلق عليهم بحق"أعلام الأدب العربي في العصر الحديث" فقد تناولهم المؤلف الكريم بالتعريف بمكانتهم العالية البارزة، وحياتهم الأدبية المثالية في ضوء التحليل الأدبي والتاريخي، وبين لكل أديب ميزته في الصناعة الأدبية وتصوره وفكره، وطريقته في جمال التعبير ونبل الغرض، وأسلوبه المتميز في الكتابة والبيان.

يضم هذا الكتاب القيم في جنباته ستة وعشرين أديباً من العصر الحديث فيما بعد النهضة الأدبية في تاريخ الأدب العربي الحديث الذي يبتدئ من القرن الثالث عشر الهجري، وعرفته الأوساط الأدبية في العالم كله، وهم في الواقع مثال يحتذى به في جميع الأعمال الأدبية، لا في آداب اللغة العربية، بل في آداب اللغات العالمية كلها، ذاك أن أدبهم قائم على أساس من الطبيعة الإنسانية جمعاء، وعلى مطالب الجسد والروح معاً، وذلك ما يتميز به الأدب العربي.

إن ندوة العلماء تتميز في مجال إعطاء اللغة العربية وآدابها حقها المعلوم، وقد عنيت بها منذ نشأتها في عام ١٨٩٠م وركزت عنايتها على الآداب العربية ولغتها العربية، الواقع الذي كان بدعاً في بلاد الهند، فدهش بذلك بعض الأوساط، وأعجب به الآخرون، حتى عرفت ندوة العلماء بمدرسة اللغة العربية وآدابها فحسب، وإن كان ذلك خلاف الواقع الذي أعلنته ندوة العلماء وكررت إعلانه، وهو الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين صلابة الحديد في الثوابت الإيمانية ونعومة الحرير في الفروع والوسائل، ومن ثم كانت ندوة العلماء جامعة إسلامية تمثل الإيمان الراسخ

www.abulhasanalinadwi.org

والعلم الواسع، وتعطي كل ذي حق حقه بكل سخاء وعدل، فلها تاريخ حافل بالعلماء الأعلام، وسوف لا ينسى تاريخ الهند العلمي ما قدم به سماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (يرحمه الله) إلى نهاية القرن العشرين من أعمال جليلة ومعطيات قيمة من العلم والأدب والدين، ويخلفه اليوم سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء اليوم (أطال الله بقاءه للإسلام).

أتمنى على الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب القيم مرجعاً لطلاب اللغة العربية وآدابها، والباحثين عن تاريخ الأدباء العرب وأعلامهم في العصر الحديث، ويجزي المؤلف الكريم بأحسن ما يجزي به عباده العاملين المخلصين، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

كتبه العبد الفقير إلى ربه الغني الكريم

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

٢٠/١١/١٤٢٩هـ

٢٠/١١/٢٠٠٨م

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الأول

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب الحديث

الأدب العربي الحديث هو أدب العصر الذي نعيشه، ويرجع هذا العصر إلى عصر الالتقاء بالغرب في أواخر القرن الثامن عشر، وقد خرج الغرب من عصر الظلام، عصر غلبة الكنيسة، ودخل في عصر العلم والبحث والتحقيق والتطور، في القرن السادس عشر الذي يوصف بعصر النور، ثم نبغ في الغرب في القرن السابع عشر كثمرة للجهود العلمية علماء ومفكرون، واكتشفوا مجالات جديدة، ووصلوا إلى آفاق جديدة، كان اعتمادهم الأول على العلوم الإسلامية، لأنهم اقتبسوا العلم من مراكز العلم في الأندلس خاصة، وتعرفوا على الحضارة الإسلامية باحتكاكهم بالمسلمين في الحروب الصليبية، ثم خرجوا من تتلمذهم على العلماء المسلمين، واعتمدوا على تجاربهم وبحوثهم في القرن السابع عشر، وقاموا بإجراء تجارب دفعتهم إلى معرفة أوسع، واستفادوا من هذه المعرفة في تحسين معيشتهم، ورفع مستوى اقتصادهم، ونظموا حياتهم.

وقد كان العرب في ذلك العهد الذي كانت فيه الغلبة للعثمانيين، في حالة تخلف كبير، وجهل متفش، فقد كان العثمانيون مشغولين في الحروب والدفاع عن بلادهم التي خضعت لهم بقوتهم العسكرية في أوربا وآسيا وإفريقيا، يقمعون الثورات، ويخمدون الفتن، ولم تكن المؤسسات العلمية شائعة في مصر والشام، وهما أرقى مناطق العرب، سوى الأزهر[1]، فلما التقى الشرق المتقهقر بالغرب المتطور تأثر أهل الشرق بالحضارة الغربية الراقية، وكانت مصر والشام مواجهتين لأوربا، وكان

[1]– أنشاه جوهر الصقلي بعد ما خط القاهرة في القرن الرابع للهجرة.

www.abulhasanalinadwi.org

التقاؤهما بالغرب التقاء مباشراً للموقع الجغرافي أولاً ولاستهداف الغرب لهما ثانياً، فكان نصيبهما من هذا التأثر أكبر من غيرهما من البلدان الآسيوية.

تعرضت مصر والشام للغزو العسكري خلال الحروب الصليبية مراراً وفشلت هذه الحملات العسكرية، وكان من هذه الغزوات محاولة لويس التاسع لغزو مصر الذي وصل إلى دمياط، لكنه أسر في معركة المنصورة ١٢٥٠م، وتوفي بالطاعون في تونس عام ١٢٧٠م، ثم غزا نابليون بونا بارت(Napoleon) (١٧٦٩-١٨٢١م) مصر في عام ١٧٩٨م، وكان هذا الغزو غزواً عسكرياً وفكرياً وثقافياً خلف آثاراً ساحقة على شعب مصر، فإن نابليون لم يكن قائداً عسكرياً فقط، فقد حمل معه وسائل العلم والثقافة، كالمطبعة والعلماء، وأنشأ بالمطبعة جرائد ومجلات، وأنشأ دور التعليم، ثم انتشر الفرنسيون الذين رافقوا هذه الحملة في البلاد فكان لهم تأثير على الحياة العامة، لأنهم كانوا متقدمين في الثقافة، فاقتبس منهم من اتصل بهم قيم الحياة الجديدة.

وكان الالتقاء الثاني للعالم العربي وخاصة مصر والشام عن طريق الإرساليات التي انتشر رجالها في البلدان العربية، وكان تأثير هذه الحملة في الشام أكثر لوجود المواطنين المسيحيين الذين استقبلوا هذه الحملات استقبالاً حاراً، وصاروا أعواناً للعناصر الخارجية، وناقلين للتيارات الفكرية الخارجية، وقامت القوى الخارجية كبريطانيا وفرنسا بتأييد و دعم العناصر الساخطة على الحكم العثماني، وتحريضهم على الثورة والهجرة من البلاد العربية إلى أوربا.

وبتحريضها خرج عدد من الأدباء والشعراء من الشام إلى البلدان الأوربية وأمريكا، وواصلوا في مهاجرهم الانتاج الأدبي، وتأثروا بالبيئة الأوربية، واقتبسوا من المدارس الأدبية الغربية، وتأثروا بها، ونقلوا ثمار هذه الآداب إلى الأدب العربي نظماً ونثراً. فكان ذلك عاملاً آخر للالتقاء

www.abulhasanalinadwi.org

بالغرب، ونقل الفكر وتصور الحياة الغربية إلى اللغة العربية، ونشأت بذلك مدرسة أدبية جديدة تحمل اتجاهات جديدة عرفت فيما بعد بمدرسة المهجر، أنجبت شعراء وكتاباً وناقدين ولغويين.

يقول الدكتور عمر الدسوقي:

"الأدباء في العالم العربي - في خلال قرن من الزمن - قد تباينوا في تأثرهم بهذين التارين (تيار الأدب العربي القديم، وتيار الحضارة الغربية) فمنهم من اقتصر على القديم بحكم ثقافته وبيئته، والعوامل الاجتماعية الخاصة المحيطة به، وإن لم ينج من التأثر بالأفكار الشائعة والألوان الأدبية المترجمة في الصحف والمجلات، ودور العلم، ولكن غلب القديم عليه في خياله، وموضوعاته وأسلوبه وطريقة عرضه، ومنهم من كانت ألوان الثقافة الغربية غالبة على أدبه، فتقرأ له وكأنما تقرأ لأديب فرنسي أو إنجليزي يكتب بالعربية، ومنهم من حاول الجمع بين القديم والجديد، فحذق من القديم متانة الأسلوب وطلاوة العبارة، ووضوح الغرض، وأخذ من الجديد حسن العرض، وطريقة الموضوع، أما الفكرة فتارة يأخذها من هنا، وتارة يأخذها من هناك[٢].

ويقول الدكتور شوقي ضيف وهو يبحث أسباب التطور:

"نزلت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت في مصر عام ١٧٩٨م ومكث نحو ثلاث سنوات، كانت جميعها جهاداً وصراعاً قاسياً بين الشعب المصري والمعتدين".

ويقول:

"اطلع الشعب المصري من خلال هذه الحملة على بعض وجوه الحياة الأوربية، فقد رأى المصريون أفرادها يتناولون حياتهم المادية بصور لم يكونوا يألفونها سواء في أكلهم وشربهم، أو في لهوهم،وما كانوا يقيمون من حفلات التمثيل والغناء والرقص والموسيقي، وقد وصف

٢- في الأدب الحديث، للأستاذ عمر الدسوقي، ٥/١ الطبعة الثامنة، دار الفكر العربي ١٩٧٠م

www.abulhasanalinadwi.org

"الجبرتي" في تاريخه الفرنسيات اللاتي كن يمشين على الشوارع حاسرات الوجوه لابسات الفستانات ومناديل الحرير الملونة، يركبن الخيول والحمير، مع الضحك والقهقهة مداعبات مع المكاري[٣].

وقد استقدم نابليون معه طائفة من العلماء، وقام العلماء والأدباء بزيارة البلدان الأوربية وأسسوا مراكز علمية على غرار المراكز العلمية في أوربا كالمجمع العلمي المصري على غرار المجمع العلمي الفرنسي، والمجمع العلمي في سوريا، وأنشأوا معامل، ومكتبة، ومطبعة، وأجروا تجارب كيمائية لا عهد للمصريين بها.

وفي عهد إسماعيل باشا (١٨٣٠-١٨٩٥م) فتح باب آخر للالتقاء بالغرب، وهو فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩م، فقد قربت هذه القناة المسافة بين الشرق والغرب، وسهلت حركة المرور بين القارتين، وبهذا الطريق تصعد انتقال المصريين إلى أوربا وانتقال الأوربيين إلى مصر.

وفي عام ١٨٨٢م قامت الثورة العرابية ضد الضباط الأتراك، فاستعان خديو توفيق بالإنجليز، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر خاضعة للاحتلال الإنجليزي، وحكمت بريطانيا بواسطة أسرة محمد علي بالمستشارين الإنجليز، وقام الإنجليز بتضييق خناق أهل مصر، واتخذوا إجراءات قاسية، ويكفي دليلاً على قسوة الإنجليز مع الشعب المصري حادثة دنشوائي التي وقعت في عام ١٩٠٦م، فقد توفي فيها ضابط إنجليزي كان يصطاد الحمام إثر ضربة شمس في دنشوائي، وظن الإنجليز أن أهل هذه البلدة قتلوه فأنزلوا بهم عقاباً وحشياً، و نصبوا المشانق، فشنقوا طائفة، وسجنوا أخرى، ونزلوا السياط على ثالثة، وكانوا جميعاً أبرياء، وقابل الشعب المصري هذا الحادث ومعه الزعيم مصطفى كامل بالاستياء الشديد، ولكن الإنجليز تمادوا في عنتهم وظلمهم[٤]، وحاول الإنجليز أن

[٣]- الأدب العربي المعاصر في مصر، الدكتور شوقي ضيف، ص:١٢-١٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م
[٤]- الأدب العربي المعاصر في مصر للدكتور شوقي ضيف.

www.abulhasanalinadwi.org

يجعلوا مصر جزءاً من بلادهم ثقافياً وفكرياً ، وسلخ مصر من طبيعتها الإسلامية.

وكان من المستشارين البريطانيين اللورد كرومر الذي قال : جئت لأمحو ثلاثاً : القرآن والكعبة والأزهر ، وأساء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار إليه أمير الشعراء أحمد شوقي في ديوانه "الشوقيات" حيث يقول :

من سبّ دين محمد فمحمد متمكن عند الإله رسولاً*

بين العامية والفصحى :

وتحررت اللغة العربية من عوائق السجع والبديع ، إلا في كتابات بعض الأدباء الذين احتفظوا بهذا الأسلوب القديم ، ولكنهم كانوا قليلين ، وكان فيهم من وقف موقف المتوسط بين القديم والجديد.

وفي جانب آخر ، كانت طبقة من الكتاب الذين تأثروا بالحضارة الغربية وآدابها ، وكانوا منفعلين بموقف التزمت في المحافظين للغة العربية القديمة ، فأبدوا رغبتهم في هجر اللغة العربية الفصحى مطلقا ، حتى الأدب المرسل الذي كان قد اختاره الأدباء الذين هجروا الأسلوب المسجع ، وقد تأثر هؤلاء الكتاب بالآداب الأوربية التي هجرت اللاتنية لإبداء أفكارهم وعواطفهم ، واختاروا اللغات المحلية ، والإقليمية ، ودعا هؤلاء الكتاب إلى اختيار اللغة العامية ، وكان على رأس هذه الحركة محمد عثمان جلال ، ونالت هذه الدعوة دعم البريطانيين ، والمستشرقين.

وأحس بعض الكتاب الوطنيين والدينيين في هذه الحركة بخطر قطع صلة العرب عن ماضيهم ، وعن دينهم ، فإن اللغة العربية الفصحى هي صفة العرب الأصيلة ، وفيها نزل القرآن الكريم ، وهي لغة الدين ، وفيها الكنوز الدينية والتاريخية والثقافية ، ثم إن اللغة العامية تقطع مصر عن بقية الدول العربية ، لأن لكل منطقة لغة عامة.

---

*- الشوقيات : ١٧٦/١

www.abulhasanalinadwi.org

ولهذه الأسباب المختلفة السياسية والدينية، والأدبية، أخفقت هذه الحركة، وبذلت الجهد لتسهيل اللغة العربية وتعميمها فأخفقت بذلك حركة الالتزام بالأسلوب القديم المسجع أيضاً.

بين الوطنية والقومية

النزعات السياسية المتعارضة

نشأت في عهد الاحتلال الإنجليزي ثلاث نزعات: نزعة تؤيد الإنجليز، ونزعة تكافح الاستعمار وتدعو إلى تحرير البلاد على أساس وطني بشعار "مصر للمصريين"، ونزعة تؤيد العثمانيين، و تدعو إلى الوحدة الإسلامية.

وكان مصطفى كامل صاحب "صحيفة اللواء"، يكافح الاستعمار، وألف الحزب الوطني، أما لطفي السيد الذي أصدر صحيفة "الجريدة" وألف حزب الأمة، فكان يميل إلى الاعتدال وحصر جهده على تحرير الوطن المصري وحده، على عكس مصطفى كامل الذي كان يعطف على الخلافة العثمانية باعتبارها رمزاً للوحدة على أساس الدين[٦].

وفي عام ١٩٥٢م قامت ثورة ضد حكم أسرة محمد علي بقيادة جمال عبد الناصر، ومرت مصر ومعها البلاد العربية بحوادث قاسية، وغزت على مصر تيارات فكرية جديدة كالقومية، والعلمانية، والاشتراكية، والإلحاد، وتقليد الغرب ومحاكاته، كما شاهدت نزعات دينية جارفة، وحركات إسلامية قاومت هذه النزعات الوافدة، وتغيرت بذلك الحياة الاجتماعية والسياسية.

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"لقد قام كتاب مصر وأدباؤها منذ زمن بعيد - ومن بينهم عدد من الكتاب الذين تربوا في المدارس المسيحية - بحركة تشكيك شامل للعقائد الدينية، والمقررات التاريخية، والشخصيات الإسلامية، والقيم الخلقية،

[٦]- بتلخيص من الأدب العربي المعاصر للدكتور شوقي ضيف

www.abulhasanalinadwi.org

والأسس الاجتماعية، والآداب العامة عن طريق بحوثهم وكتاباتهم، تتنوع فيها الأساليب وتختلف في ذلك الدوافع والأغراض والعوامل والمؤثرات، فقد يكون سائقهم أحياناً التطرف وتقليد المتطرفين في الغرب، وقد يكون دافعهم حب الشهرة وتصفيق بعض الطبقات المثقفة والشباب الجامعي، وقد يكون رائدهم نفاق سلعتهم ورواج بضاعتهم في السوق، والربح المادي، وقد يكون الحافز لهم التسرع في نشر ما يسنح لهم من آراء، وما يجول في صدورهم من خواطر، أما الكتاب المسيحيون فلا يخلو أكثرهم عن بعد النظر ودقة القصد، وإثارة الشبهات، وإضعاف تأثير الإسلام في الشعب العربي المسلم، وساعد على ذلك حركة النشر السريعة القوية في مصر، ووجود عدد كبير من دور النشر والطباعة، "العملاقة" التي يملك أكثرها المسيحيون والمارونيون بصفة خاصة، ونهامة قراء العالم العربي لمطالعة كل ما يصدر عن مصر من غث وسمين.

وهكذا تدفق سيل جارف من المؤلفات والمطبوعات من مصر، أكثرها في أسلوب عصري جذاب، وفي ثوب قشيب من الطباعة والإخراج، وخضع له النشء الجديد وهام به، وردد صداه، وهكذا انتشرت في مصر - وعن طريقها في كثير من الأقطار العربية - بلبلة فكرية هائلة، واضطربت الأسس التي يقوم عليها المجتمع المؤمن الواعي القوي، المعتز بعقيدته وشخصيته وتاريخه - ويستمد منها قوة المقاومة والثبات في المعركة، والصبر على المكاره، والغيرة على الدين والعرض، والكرامة والشرف، وساد الشك والاضطراب، والجبن والوهن، وحب الدعة والإخلاد إلى الراحة، وضعفت الأمة العربية بفعل هذا "التشكيك" الشامل وبتأثير هذا الأدب الرخيص، الذي يعتمد على إثارة الغريزة، وتسلية النفس - في القوة المعنوية التي تلجأ إليها الشعوب والأمم في المعارك الحاسمة، وفي الساعات الدقيقة العصيبة، ولا شك أن التشكيك والبلبلة الفكرية كانا من أعظم أسباب انهيار كثير من المجتمعات القديمة، واندثار

www.abulhasanalinadwi.org

المدنيات الزاهرة ، وقد كان هذا الوضع الشاذ الذي ابتلي به العالم العربي ، ولعبت فيه الصحافة العربية ، وحركة النشر والتأليف والترجمة ، والتمثيل والرواية والتلفزيون والإذاعة ، دوراً فعالاً ، من أعظم أسباب الكارثة الأخيرة التي حدثت في ٥ حزيران ١٩٦٧م ، وما أعقبه من أيام ، والأوضاع الشاذة التي لا تزال تسود على العالم العربي"[٧].

العناصر التي ساهمت في تطعيم
الأدب العربي بالنزعات الجديدة

١- المطبعة والصحافة :

عرفت المطبعة في أوربا في القرن الخامس عشر ، وبدأ طبع الكتب العربية وانتقلت إلى البلاد العربية في القرن الثامن عشر.

وغادرت المطبعة التي جاء بها نابليون بخروجه من مصر ، فأنشئت مطبعة بولاق سنة ١٨٢١م ، وهي المطبعة القومية الأولى ، طبعت بها جريدة "الوقائع المصرية" ، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كثرت المطابع ، وكثر طبع الكتب ، وخاصة الكتب الأدبية القديمة ، ككتب عبد الله ابن المقفع (١٠٦- ١٤٢) وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ) ، وعرف العرب ذلك الأسلوب المرسل للنثر ، كما طبعت دواوين الشعراء للعصر العباسي ، فثارت فيهم نزعة إلى اقتباس تلك النماذج وترك أسلوب عهد التخلف ، ثم طبعت كتب الآداب الأوربية بعد نقلها إلى العربية.

وكانت الصحافة المدرسة الأولى للنثر الحديث ، نشأ فيها كتاب ، ومنشئون ، وباحثون ، كما كانت الصحافة العامل الأساسي لتسهيل الأسلوب وتنويع الأساليب لأن قراء الصحف خاصة ينتمون إلى طبقات مختلفة ، وثقافات متنوعة ، وأذواق مختلفة ، فتنوعت أساليب البيان ، ونزل الأسلوب من أسلوب الخاصة إلى أسلوب العامة ، وبدأ تاريخ الكتابة في العصر الحديث من الصحف.

فقد بدأ أسلوب المفتي محمد عبده (١٨٤٩- ١٩٠٥م) الجديد الذي

٧- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ، ص: ١١٩

www.abulhasanalinadwi.org

اختاره بدعوة شيخه السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧م) من كتابته في صحيفة "الأهرام" وهو يختلف عن أسلوبه الكتابي الذي كان يتبعه قبل كتابته في "الأهرام"، كذلك كان مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤م) والشيخ علي يوسف (١٨٦٣ - ١٩١٣م) يكتبان في جريدة "المؤيد"، كما كان مصطفى كامل (١٨٧٤ـ ١٩٠٨م) يكتب في اللواء، وكان مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٠م) وعباس محمود العقاد (١٨٨٩ـ ١٩٦٤م)، ومحمد حسين هيكل (١٨٨٨ـ ١٩٥٦م)، وعبد القادر حمزة، وطه حسين (١٨٨٩ـ ١٩٧٣م)، وإبراهيم عبد القادر المازني ١٨٨٩ـ ١٩٤٩م)، جميعهم من كتاب الصحف، ولكل أسلوب وأفكار معينة كان يبثها عن طريق الصحف، فمنهم من كان مهتماً بالشؤون السياسية، وآخر مهتماً بالشؤون الاجتماعية الدينية، ومن كان يميل إلى الأدب والفن، كأحمد حسن الزيات (١٨٨٥ - ١٩٦٨م)، ومن يميل إلى الثقافة والتاريخ كأحمد أمين (١٨٨٦ـ ١٩٥٤م).

وإذا تتبعنا حياة الكتاب المعروفين لمسنا دور الصحافة في حياتهم الأدبية جليا و خير مثال لذلك المفتي محمد عبده، يقول الدكتور شوقي ضيف:

"بدأ حياته الأدبية منذ أن كان طالباً في الأزهر، فقد كتب في صحيفة الأهرام سنة ١٨٨٦م".

ومما يجدر بالذكر أن المسيحيين من الشام كان لهم السبق في ميدان الصحافة، ونشر الكتب الأدبية، وبحثها وتحقيقها، وكانت الصحف الأولى التي صدرت في مصر بعد نابليون في أيدي المسيحيين، وكان هؤلاء الصحفيون يؤيدون الاستعمار الأجنبي والحضارة الغربية، فأدرك هذا الخطر الزعماء المسلمون وأصدروا صحفاً تؤيد القضية الإسلامية، وتنشر الفكر الإسلامي كالمؤيد، واللواء، إلا أن الأهرام ظلت صحيفة بارزة واسعة الانشار ذات نفوذ في الأوساط العلمية، والرسمية، وقد لعبت دوراً

www.abulhasanalinadwi.org

كبيراً في تعبئة الرأي العام بعد الثورة في عهد جمال عبد الناصر، ورئاسة تحرير حسنين هيكل، كما لعبت مجلات روز اليوسف، والمصور دوراً كبيراً في نشر الفكر الجديد، وإعداد جيل من الكتاب، وكان للمجلات الأدبية والعلمية كالثقافة والرسالة دور في تطوير القيم الأدبية.

٢- مدارس الترجمة والنقل:

قامت في هذا العصر مدارس وجمعيات للترجمة، نقل بها أدب الأمم الأخرى، واستفاد الأدباء العرب من هذه الآداب كما استفاد الأدباء من الآداب الفارسية واليونانية والهندية في العصر العباسي، وكان رائد هذه الحركة رفاعه بك الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٨٧م) الذي تعلم في الأزهر، ثم ذهب إلى أوربا وتعلم اللغة الفرنسية، وعاد إلى مصر، واشتغل بالترجمة، وعين مدرساً في مدرسة الألسن، وقد كان رفاعه الطهطاوي رغم تأثره بالآداب الأجنبية يؤثر الأسلوب القديم، وقد سهل الأسلوب التعرف على الأدب العربي المرسل لأقطاب الأدب العربي قبل القرن الخامس الهجري، ثم ساعد على تسهيل هذا الأسلوب دعاة الإصلاح والحركات السياسية التي كافحت الاستعمار بغية الوصول إلى ذهن عامة القراء، والمخاطبين، وكان لسيد جمال الدين الأفغاني فضل كبير في تسهيل الأسلوب وبدعوته انتقل المفتي محمد عبده من الأسلوب القديم المسجع إلى الأسلوب المرسل، ثم دعم هذا الاتجاه مصطفى لطفي المنفلوطي.

يقول الدكتور شوقي ضيف:

"من الواجب أن نذكر هنا المنفلوطي، إنه لم يكتب في السياسة، وإنما كان يكتب في الاجتماع، فكان ينشر في صحيفة "المؤيد" مقالات تتناول بعض جوانب المجتمع بعنوان "النظرات" ينظر فيها بعض مساوئنا الاجتماعية، فليس المهم الموضوع، فكثيراً ما طرقه كتابنا، إنما المهم الإطار الذي صاغه، فقد عني بأسلوبه، وأدى معانيه فيه أداء فنياً بديعاً ولم يحاول ذلك في أسلوب السجع الذي أهملناه، وإنما حاوله في الأسلوب

www.abulhasanalinadwi.org

المرسل الجديد، ولكنه عني عناية بارعة بهذا الأسلوب، عني باختيار ألفاظه وانتخابها، ووفر لها ضروباً من الموسيقي بحيث تسيغها الآذان، وتقبل عليها، وكان شبابنا في أول القرن يعجب بهذا الأسلوب إعجاباً شديداً، وظل ذلك الإعجاب يرافقنا طويلاً"[٨].

وكان المفتي محمد عبده ومصطفي لطفي المنفلوطي اللذين بدأ بهما تاريخ الأسلوب المرسل، من خريجي الأزهر، وقد تعلم المفتي محمد عبده الفرنسية، ثم قضى فترة في باريس يساعد السيد جمال الدين الأفغاني، وأما المنفلوطي فإنه لم يكن يعرف لغة أجنبية، ولذلك وصفه بعض الناقدين رغم الاعتراف بفضله بأنه كان قليل الثقافة، ويجد القارئ لكتبه قصصاً منقولة من الأدب الفرنسي لعله نقلها بواسطة مترجم، أما الكتاب الآخرون كهيكل، وطه حسين، والعقاد، والمازني، ومحمود تيمور، وتوفيق الحكيم، وعبد الرحمن شكري، وغيرهم من الكتاب فإنهم درسوا الآداب الإنجليزية الفرنسية والرومية، وتأثروا كذلك بالمذاهب الأدبية الأوربية التي نشأت في عصر النهضة كالكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية والرمزية والوجودية بأقدار مختلفة، ونشأت بذلك مدارس النقد المختلفة، كما تأثروا بأفكار العلماء الأوربيين التي توغلت إلى الأدب شعراً وقصة، وبتأثير الآداب الأجنبية دخلت في النثر العربي أصناف جديدة كالقصة والمقالة والمسرحية، وتوسعت دائرة الأقسام التقليدية كالخطبة والرسائل.

الخطبة:

كانت الخطبة قد فقدت قيمتها في العصر السابق، فانتعشت في هذا العصر بوجود دواع لها، فكانت هذه الدواعي سياسية لحركة التحرير من الاستعمار الأجنبي، واجتماعية لبذل جهود الإصلاح الاجتماعي التي قام بها بعض قادة مصر، وعلمية وقضائية، ودينية لاستخدامها من قبل رجالات الحركات الدينية وخاصة حركة الإخوان المسلمين، والمصلحين

---

[٨]- الأدب العربي المعاصر في مصر، ص: ١٨٦

www.abulhasanalinadwi.org

والدعاة، ولجأ إلى الخطبة أيضاً الزعماء السياسيون، وقادة الأحزاب السياسية، ونفخ القادة بالخطب روح الكفاح والعمل ضد الاستعمار والتخلف والبعد عن الدين، فكانت الخطبة في العصر الحديث أكبر وسيلة لتعبئة الرأي العام، وكان استخدامها أكثر شيوعاً وأكثر تأثيراً ونفوذاً من العصور السابقة علاوة على خطب الجمعة والمناسبات الدينية، ودونت هذه الخطب في مجموعات.

القصة:

والصنف الثاني الذي نال قبولاً ورواجاً بعد المقالات الصحفية هي القصة، وقد استفاد كتاب القصة من الآداب الأجنبية، ونقلوها إلى العربية أولاً، ثم قاموا بتأليف قصص اجتماعية كانت أقرب إلى واقع الحياة، ولم تكن خيالية محضة، أو فكاهية، كما كانت في الماضي، ولعبت القصة دوراً كبيراً في تربية الجيل الناشي، وغرس أفكار جديدة، وإزالة أفكار ونزعات قديمة، وتوجيه المجتمع إلى حياة أفضل كما لعبت دوراً في تشويه قيم المجتمع العربي المتوارثة وتقبيحها، فقد كان المؤلفون في القصة من المتخرجين من المدارس الأوربية، أو المتأثرين بالقصة الأوربية كتيمور، وتوفيق الحكيم، وغيرهما من المؤلفين في القصة والمسرحية.

أدب الرحلات:

ومن أقسام النثر الحديث أدب الرحلات، فقد نشأ في وصف الرحلات ومنها الرحلات الحجازية والتعليمية والسياحية، أدب يختلف في أسلوبه وبيانه عن أدب الرحلات القديم كأسامة بن منقذ، وابن بطوطة، والمسعودي، وابن جبير، وقد قام عدد من الكتاب بسياحة الدول الأوربية والآسيوية والإفريقية، وسجلوا انطباعات زيارتهم، منهم شكيب أرسلان الذي كان دائم السفر، وطه حسين، وتوفيق الحكيم اللذين سجلا انطباعات زيارتهما للبلدان الأوربية، ووصفوا آثار المدنية والآثار التاريخية فيها وصفاً فنياً وأضافوا به إلى التراث الأدبي.

www.abulhasanalinadwi.org

السيرة الذاتية:

كذلك السيرة الذاتية فهي أيضاً صنف من أصناف النثر الحديث فقد ألف معظم كبار الأدباء كتباً في السيرة الذاتية، ولكل أديب أسلوب خاص كالدكتور طه حسين، وعباس محمود العقاد، والدكتور أحمد أمين، والأستاذ على الطنطاوي، وغيرهم من الكتاب، ومنهم الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي من الهند بكتابته في الصنفين مثل مذكرات سائح في الشرق الأوسط، وأسبوعان في أمريكا، ومن نهر كابل إلى نهر اليرموك، ومسيرة الحياة.

أدب الأطفال:

وصنف آخر نشأ في هذا العصرهو أدب الأطفال، ولا يوجد له نظير في العهود السابقة، وقد نشأت في أدب الأطفال مكتبة عربية مستقلة، وقد بدأت الكتابة في أدب الأطفال من كامل الكيلاني، وانضم إليه عدد من الكتاب في أدب الأطفال ويكاد يصبح ذلك صنفاً مستقلاً من أصناف النثر الحديث.

المجامع اللغوية:

مثل الموضوعات الجديدة والأغراض الجديدة دخلت في اللغة العربية ألفاظ جديدة بتأثير الاحتكاك باللغات الأجنبية والحياة المتطورة، وقد تعرضت اللغة العربية لهجوم عنيف من قبل دعاة التجديد والتغريب، واتهموها بالعقم وأنها لاتباعها لأصول النحو والبلاغة غير صالحة لقبول تعبيرات جديدة تطرحها الحياة المتطورة، كما أشار إلى ذلك حافظ إبراهيم (١٨٧٠-١٩٣٢م) في قصيدته المشهورة التي يقول فيها متحدثاً بلسان اللغة العربية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالاً أكفاء وأدت بناتي
وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

www.abulhasanalinadwi.org

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسمـــاء لمخترعـــات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وتدفقت ألفاظ جديدة إلى اللغة العربية وبدأ الأدباء يستعملونها، .ولكن المحافظين على أصالة اللغة فكروا في منع هذا السيل الجارف للألفاظ بوضع قواعد ومقاييس للقبول، ووضع ألفاظ تتطابق مع الطبيعة العربية، وللحفاظ على اللغة العربية بدون أن تصاب اللغة بالعجز عن تأدية المفاهيم الجديدة، وضعت مجامع لغوية في كل بلد، وقامت هذه المجامع بعمل جليل في إثراء اللغة العربية والاحتفاظ بأصالتها بفرز الألفاظ العربية والمعربة والدخيلة والمحدثة .

ووضعت هذه المجامع قواميس جديدة أدخلت فيها التعبيرات الحديثة فسايرت اللغة العربية بذلك ركب الحياة المتطورة، وبهذه الجهود بقيت اللغة العربية على فصاحتها وأصالتها، وراقبت هذه المجامع على تدفق الألفاظ والتعبيرات الأجنبية، وألف بعض المعنيين بفصاحة اللغة العربية كتباً في تنبيه الناس عن الأخطاء الشائعة التي كثرت في الصحف عامة، أو في كتابات الذين نشأوا في أوربا وتثقفوا بثقافتها، أو انتقلوا إلى أوربا في المراحل الأولى ولم تتح لهم فرصة إكمال التعليم في مدارس البلدان العربية، أو قضوا فترة طويلة في أوربا فدخلت تعبيرات غربية في كلامهم، وقد جرف مثل هذا السيل اللغوي في العصر العباسي الأول، فتنبه له الأدباء وألفوا كتباً في مواجهة هذا السيل كابن قتيبة في أدب الكاتب، وابن السكيت في إصلاح المنطق، والحريري في درة الغواص، وبفضل هذه الجهود احتفظت اللغة العربية بأصالتها، أما الفضل الأكبر لبقاء اللغة العربية على أصالتها وذوقها العربي يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ولو لا هما لكان تيار التغريب قد اكتسح اللغة العربية والذوق العربي، كما حدث للغات العالم الأخرى، ولم يأل المستشرقون وأعوانهم من الكتاب العرب المتجددين جهداً في القضاء على اللغة العربية

www.abulhasanalinadwi.org

والشك والطعن في مصادرهما .

المجامع العلمية :

ساعد على بقاء اللغة العربية على أصالتها رغم مرور ألفي سنة بدون تغير كبير حركة التأليف والبحث والتحقيق لكتب الأدب العربي التي ألفت في القرون الأولى، وشرح الشعر العربي لسائر العصور بلغة العصر الحديث ونشرها، وقامت لهذا العمل أشخاص وجمعيات وأكاديميات وجهت عنايتها إلى حفظ التراث، وبفضل هذه الجهود انتشرت كتب الأدب العربي التي ألفت في القرون الأولى ، وأصبحت في متناول يد القراء فلم تعد كتب التراث محدودة بل صارت مفهومة ومقبولة عامة، ولم تنقطع صلة عصر الحديث بالعصر القديم، فيفهم الشعر الجاهلي أو خطبة الخطيب الجاهلي في هذا العصر كما يفهم في عصر صدوره، فلا يوجد فرق كبير بين امرئ القيس والأعشى من شعراء العصر الجاهلي وأحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م) وحافظ إبراهيم (١٨٧٠ - ١٩٣٢م) من شعراء العصر الحديث، كذلك نثر ابن المقفع والجاحظ من رجال العصر العباسي يفهم اليوم كما يفهم نثر طه حسين والعقاد، وبذلك بطلت أسطورة المستشرقين الذين ادعوا أن لغة القرآن والحديث لم تعد شائعة في هذا العصر كما كانت شائعة في العصر القديم، وإنما كانت لغة الدين محدودة كلغة الكهان والنساك.

وقد بذل المحققون للنصوص الأدبية للقرون الأولى جهدهم لعرض هذه النصوص نظماً ونثراً، وشرحها وحل غوامضها ليسهل فهمها على قراء العصر الحاضر، كان في مقدمتهم الشيخ محب الدين الخطيب، والدكتو محمود محمد شاكر، والدكتور عبدالسلام هارون، والأستاذ إحسان عباس. والدكتور أحمد أمين ، والأستاذ كرد علي، وغيرهم الذين وصلوا أدب العصر القديم بأدب العصرالحديث، وربطوا صلة دارس الأدب في العصر الحديث بأدب العصر القديم.

ولا يجد دارسو الأدب في العصر الحديث صعوبة في فهم الأدب

www.abulhasanalinadwi.org

الصغير وكليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع، وأدب الكاتب وعيون الأخبار لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والأمالي لأبي علي القالي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وفي الشعر المعلقات ودواين الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، ويرجع الفضل إليهم جميعاً في تواصل الأدب العربي واستمراره وسلامته.

وقد أثار بعض الكتاب ممن تأثروا بالمستشرقين شكوكاً وشبهات في مصادر الأدب العربي القديم كالدكتور طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" لكنه واجه معارضة شديدة من أصحاب الغيرة، فصدرت كتب قيمة في نقد هذا الكتاب، واضطر إلى إجراء تعديل في وجهات نظره فأصدر كتاب "في الأدب الجاهلي" و كان طه حسين ناقلاً لفكرة مرغليوث المستشرق، كما أثارت آراء طه حسين عن المتنبي، والمعري، وأبي تمام ردود فعل في الأوساط العلمية، وأدت إلى التأليف في ردّها، كما كان لمدرسة الديوان للعقاد والمازني وشكري تأثير في الدراسات الأدبية، وقد أدت هذه الآراء الشاذة إلى دراسة جدية للأدب العربي نثراً ونظماً.

أما الباحثون في مختلف علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فعددهم لا يحصى ولا يأتي عليه الحصر، وصدق الله العظيم﴿ إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾ والحفظ لا يقتصر على حفظ الألفاظ بل على حفظ معاني الألفاظ ومحتواها، ووسائل الحفظ تدخل في حفظ اللسان الذي نزل به الذكر الحكيم.

وأدب هذا العصر بهذا الاعتبار هو أدب الحياة المتطورة، فيه عناصر وطنية، وعناصر أدبية، وعناصر أجنبية، كما توجد فيه عناصر التقليد والتحفظ، وعناصر التجديد والانطلاق من القيود.

www.abulhasanalinadwi.org

تأثير المذاهب الأدبية الأوربية
على الأدب العربي المعاصر

بقلم الدكتور محمد مصطفى هدارة [١]

تعرض العرب منذ عهد الحملة الفرنسية على مصر والشام في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لهزة عنيفة، إذ فتحت منافذ الحضارة الغربية لتتسلل إلى حياة الأمة العربية المسلمة، فظهر التناقض واضحاً بين

١- هو مفكر وأديب مصري معروف على الساحتين العربية والدولية، أطلق عليه المثقفون عدداً من الألقاب، منها شيخ النقاد الإسلاميين، والأصيل معاصراً، وفارس الثقافة العربية الأصيلة.
ولد الدكتور محمد مصطفى هدارة بالإسكندرية عام ١٩٣٠م، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدارس المدينة الساحلية، وتخرج في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٩٥٢م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، ثم حصل على الماجستير سنة ١٩٥٧م بتقدير ممتاز وعلى درجة الدكتوراه عام ١٩٦٠م بمرتبة الشرف الأولى، وبعد تخرجه عين معيداً بكلية الآداب بجامعة عين شمس، ثم عمل ملحقاً ثقافياً بجامعة الدول العربية في عام ١٩٦٠م، ثم عين مدرساً بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، ورقي أستاذاً مساعداً في عام ١٩٦٦م، وأستاذاً عام ١٩٧٢م.
وشغل منصب وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث في الفترة من ١٩٨٠م حتى ١٩٨٢م ورئيساً لقسم الدراسات الصوتية في الفترة ذاتها وعميداً لكلية الآداب جامعة طنطا، ورئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها منذ عام ١٩٨٣م حتى ١٩٨٩م وأعير للعمل بجامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٦٦م لمدة ثلاث سنوات، واشترك في إنشاء قسم اللغة العربية بها، ثم أعير للعمل بجامعة الملك سعود الرياض سنة ١٩٧٢م لمدة خمس سنوات، فأسهم في وضع مناهج الدراسات العليا.
وعمل أستاذاً زائراً في عدد من جامعات المملكة العربية السعودية ولبنان، والكويت، ودولة قطر، والإمارات العربية المتحدة، والسودان، والأردن، والصين، وأمريكا، وألمانيا، وألقى محاضرات في كثير من الجامعات العربية والأجنبية، وزار في مهمات علمية معظم الدول العربية والأوربية، والإفريقية، وأمريكا، وكندا، واليابان، والصين، وأشرف على إصدار ترجمة تاريخ الأدب العربي لبروكلمان. واشترك في تأليف مجلد من موقف المستشرقين من الحضارة العربية والإسلام، كما اشترك في إعداد مجلد يحتوي بحوثاً من رواد النهضة الإسلامية الحديثة، واشترك في كتابة مجلد عن تاريخ الحضارة العربية، وأسهم في تحرير مواد الموسوعة العربية العالمية التي أصدرتها دار الشروق عام ١٩٩٤م وأشرف على إصدار مختارات البارودي محققة في ٤ أجزاء. وشارك في كثير من الندوات والملتقيات العلمية الثقافية العالمية في مختلف أنحاء العالم، وشغل عضوية عدد كبير من المؤسسات المصرية والعربية، وأشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه، وحصل على جوائز، واختارته بعض المؤسسات الأوربية واحداً من أكثر الشخصيات تأثيراً على مستوى العالم. وله كتب على موضوعات مختلفة في الشعر والنقد، يبلغ عددها ١٦ وحقق أربعة كتب هامة، وترجم خمسة كتب من الإنجليزية، وحرر مقالات وبحوثاً في المجلات المتخصصة العلمية والمجلات الثقافية ومن بين هذه البحوث العلمية هذا المقال الذي ضم إلى هذا الكتاب، ونشر هذا المقال في مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الرابع، ربيع الثاني ١٤١٥هـ توفي عام ١٩٩٧م.

www.abulhasanalinadwi.org

حياة مزدهرة متحضرة في ظاهرها، وحياة يرين عليها الخمول والتخلف، بعد أن ظلت حبيسة الانطواء العثماني، لا يكاد يسمح لها بالتطور في علومها وصناعاتها، أو في عناصر ثقافتها، ولا يتيح الأخذ بأسباب المعاصرة ووسائلها، فلما شدت الحملة الفرنسية الانتباه إلى حضارة الغرب، ظهر هذا التمزق بين الاستمساك بالتراث والعكوف عليه دون غيره، أو الأخذ بالمعاصرة على نمط غربي بسبب الانبهار بالحضارة الغربية، بكل ما فيها من مظاهر براقة ووسائل مريحة، وتقدم هائل في الحياة الاقتصادية، وفي الصناعات والفنون، حتى وقر في عقول أسلافنا في ذلك الزمان أن تخلفنا راجع إلى انطوائنا على تراثنا وأنه لا سبيل إلى التقدم بغير قطع ما بيننا وبين ماضينا بكل ما فيه من تراث، والأخذ بأسباب الحضارة الغربية.

التلاؤم بين التراث والمعاصرة

كان الرواد الأوائل لحركة التجديد أو المعاصرة في شتى نواحي الفكر العربي، بدءاً من رفاعة الطهطاوي، إمام أول بعثة طلابية مصرية أرسلت إلى فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ومن تلاه من أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وخير الدين التونسي يقيمون علاقة تلاؤمية بين التراث والمعاصرة على نهج غربي، بل كان لهم الفضل في الكشف عن كنوز التراث التي توارت في ركام السنين، بجانب ما اكتشفوه من أساليب الحياة الغربية النافعة في التعليم والثقافة بوجه عام، والنظم السياسية والإدارية والاقتصادية (١) وبدأت طلائع المثقفين الذين درسوا اللغات الأجنبية في ذلك الوقت، ينهلون من الآداب الأوربية السائدة، مقتبسين ومترجمين، وقد بث رفاعة الطهطاوي الأفكار الجديدة في كتابيه الأساسيين "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي صدر في عام ١٢٥٠هـ، و"مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العربية" الذي صدر في عام ١٢٨٧هـ، وكان واعياً بضرورة الاستمساك بالعقيدة في مواجهة

www.abulhasanalinadwi.org

الغزو الفكري الغربي، فهو يقول: البلاد الإفرنجية قد بلغت أقصى مراتب البراعة في العلوم الرياضية والطبيعية، وما وراء الطبيعة، وأصولها وفروعها، ولبعضهم نوع مشاركة في بعض العلوم العربية، وتوصلوا إلى فهم دقائقها وأسرارها، غير أنه لم يهتدوا إلى الطريق المستقيم، ولم يسلكوا سبيل النجاة، ولم يرشدوا إلى الدين الحق ومنهج الصدق، كما أن البلاد الإسلامية قد برعت في العلوم الشرعية والعمل بها، وفي العلوم العقلية، وأهملت العلوم الحكمية بجملتها، فلذلك احتاجت إلى البلاد الغربية في كسب مالا تعرفه، وجلب ما تجهل صناعته".

ويركز خير الدين التونسي في كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" على قضية أساسية وهي ضرورة الاقتباس من الغرب المتحضر لا المستعمر، فلا ينبغي أن نرفض كل ما عند الغرب، ولا ينبغي في الوقت ذاته أن نأخذ كل ما عنده (٢).

ولم يبق هذا الموقف المتوازن طويلاً فلم يلبث أن ظهر جيل يتطلع إلى الفكر الغربي في انبهار ويتمثل الحياة الأوربية، بكل ما فيها من عناصر الخير والشر، أو سمات الجدية والانحلال، ويغرق في هذا التمثل الذي تقوده إليه المعاصرة، ممزقاً كل وشائج اتصالها بالتراث، راضياً من الغرب بكل ما يقطعنا عن أصولنا ويدمر شخصيتنا وانتماءنا، ويجعلنا أمة مستهلكة لبضاعة في شؤون الحياة المادية والفكرية على السواء.

واصطلاح الأدب الإسلامي الذي حاول الباحثون المخلصون أن يحددوا معالمه ويؤكدوا وجوده، كان رداً على طغيان المذاهب الأدبية الغربية في أدبنا العربي الحديث، ومواجهة لمن يريد أن يقطع فكرنا من انتمائه لعقيدته وأصوله.

وقد استخدم مؤرخو الأدب العربي هذا المصطلح للدلالة على الأدب في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، تمييزاً له عن العصر الجاهلي ويتسع الاصطلاح فلا يخص عصراً بعينه، إذا قلنا إنه كل أدب

www.abulhasanalinadwi.org

عربي كتب بعد الإسلام حتى يومنا هذا يمكن أن يندرج تحت هذا الاصطلاح، ليس هذا فحسب، بل يمكن القول بأن كل أدب كتبه مسلمون بغير اللغة العربية يعد أدباً إسلامياً، فإذا وسعنا مفهوم الاصطلاح على هذه الصورة قلنا إن الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يكتبه أي أديب مسلم أيا كانت لغته، وفي ضوء هذا المفهوم المتسع لن توجد خصوصية للأدب الإسلامي يمكن إبرازها أو تمييزها، وتصبح علاقة دالة عليه، وهذا أمر يتنافى مع المنهجية العلمية التي تحدد أطراً واضحة المعالم للمصطلحات الأدبية، خاصة في هذا العصر الحديث الذي تعددت فيه المصطلحات واختلفت، بحيث أصبح من الضروري تحديد مفاهيمها والاتفاق على معالمها، ولهذا ينبغي القول إن (الأدب الإسلامي) الذي نعنيه يدل على مذهب أدبي له خصائصه الفكرية والفنية التي تعبر عن شخصيتنا الإسلامية وتراثنا، وقاعدته الفكرية التي ينطلق منها هو الإسلام، وهو أرقى وأشمل في نظرته للكون والإنسان من كل الفلسفات المثالية والعقلية والمادية التي قامت عليها المذاهب الأدبية المختلفة.(٣).

وينبغي أن أقرر منذ البداية أن المذاهب الأدبية لا تنشأ مصادفة، بل هي نتيجة طبيعية لأمرين لابد من تحققهما:

الأمر الأول وجود قاعدة فلسفية تحدد أصول النظرة التجريدية.

والثاني وجود عوامل تطور في المجتمع من حيث نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، تتيح لتلك النظرة التجريدية فرصة السريان والتأثير، والمذهب الأدبي ليس في الحقيقة غير تجسيد تعبيري للقاعدة الفلسفية المجردة.

وحين سادت في أوربا في عصر النهضة الفلسفة العقلية التي تعتمد على النزعة التقريرية، التي يسميها الفلاسفة الدوجماتيكية Dogmatic وهي نزعة تتخذ العقل وسيلة لتقرير ما هو كائن بالفعل، كذلك اعتمدت على فلسفة أرسطو التي ترتكز في نظرتها الجمالية على فكرة محاكاة الطبيعة،

www.abulhasanalinadwi.org

كان من الطبيعي أن ينشأ المذهب الأدبي الكلاسيكي ليعبر عن النظريات التجريدية للفلسفة العقلية من جهة، ويعبر عن الفكر الارستقراطي في الحضارة الأوربية التي كانت تتبع النظام الإقطاعي، وتعتمد على الطبقة العالية في الهرم الاجتماعي، وتجعل المسافات بين الطبقات في هذا الهرم ثابتة، حيث لا يرتفع وضيع، ولا يتضع رفيع.

ولما كانت الآداب اليونانية واللاتينية قمة التراث الأوربي وقد تحققت فيها فكرة محاكاة الطبيعة، اعتمدت مصدراً للمحاكاة في المذهب الكلاسيكي الذي ارتكز على العقل في نظرته الجمالية (٤).

الكلاسيكية وتأثيرها على الأدب العربي

وقد حاول عشاق النموذج الغربي في أدبنا العربي الحديث نقل بعض مفاهيم الكلاسيكية، فدعا طه حسين إلى تعليم اللغتين اليونانية واللاتينية، لا في الجامعة وحدها، بل في التعليم العام أيضاً، حتى ينهض الأدب العربي الحديث على غرار النهضة الأوربية (٥) فينقطع عن تراثه العربي الإسلامي، ويرتكز على تراث لا توجد بيننا وبينه أدنى صلة، وهو في معظمه نتاج وثنية ضالة مضلة، وقد سبق أن أهمل أجدادنا هذا التراث في عصر الترجمة في العصر العباسي لعدم ملاءمته لعقيدتنا وانتمائنا وفكرنا.

ومنذ عاد طه حسين من بعثته إلى فرنسا وهو يحاول نشر الكلاسيكية الأوربية فكتب في عام ١٩١٩م بحثاً عن الظاهرة الدينية عند اليونان وتطور الآلهة، ثم نشر في السنة التالية كتابه (صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان) وأتبع ذلك بترجمة كتاب أرسطو(نظام الأثينيين) ثم(قادة الفكر) وهم في رأيه: هوميروس وسقراط وأفلاطون وأرسطو والإسكندر الأكبر ويولوس قيصر، وكانت فكرة الكتاب نفسها احتذاء لكتاب بلوتارك الذي ترجم فيه لعظماء اليونان والرومان.

ومضى طه حسين في تأثره بالفكر الكلاسيكي الأوربي فأصدر في عام ١٩٣٩م كتابه(من الأدب التمثيلي اليوناني) وترجم في ستة أعمال

www.abulhasanalinadwi.org

لسوفكليس، وكتب بعد ذلك بسنوات عن بعض أبطال الأساطير اليونانية مثل تسيوس وأوريبوس.

ولا شك أن هذه الأعمال الأدبية الكلاسيكية قد تلقفها الشباب وأثرت في أعمالهم الإبداعية فقد وظفوا الأساطير اليونانية في أشعارهم، يقول الشاعر عبد العليم القباني في قصيدته (اعترافات جديدة لأوديب).

وإذا بي وقد تسرب عمري		ومشى اليأس في العروق الضنينة
واعتلاني المشيب صخرة (سيزيف)		رفيقاً من الرحلة الملعونة
كنت أوديب في الخطيئة يرعى		لا يراها وكلكم تشهدونه(٦)

وألهمت أسطورة (أوديب) الذي عاشر أمه كثيراً من المبدعين لا في الشعر فحسب بل في القصة والمسرح أيضاً.

ولا يغيب عنا أثر الفيلسوف ديكارت Descartes في المذهب الكلاسيكي بكتابيه (مقالة في الأهواء) و(خطاب في المنهج) وهو يعرض فيهما أسلوب الوصول إلى المعرفة أو الحقيقة عن طريق الشك (أفكر فأنا موجود) وقد استعان طه حسين بمذهب ديكارت في دراسته للشعر الجاهلي، وانتهى إلى القول بأن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، وانتهى كذلك إلى إنكار قصة إبراهيم وإسماعيل ووجودهما في الجزيرة العربية واعتباره أن في قصتهما نوعاً من الحيلة الدينية، لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والقرآن والتوراة من جهة أخرى، لأن القصة نفسها ذكرت في التوراة كما ذكرت في القرآن (٧).

وكانت الملحمة أو الشعر القصصي فناً ناضجاً مكتملاً في التراث اليوناني، وقد أشاد به أرسطو وشرح قواعده وأصوله الفنية، ولهذا كان المذهب الكلاسيكي حريصاً على إحياء هذا الفن، برغم أن الزمان قد تغير ولم تعد الحكايات الأسطورية التي تتحدث عن شخصيات خرافية ملائمة للحياة الأوربية في عصر النهضة، ولهذا لم تنجح ملحمة (الفرنسيار) التي

www.abulhasanalinadwi.org

كتبها الشاعر الفرنسي (رونسار) على غرار الإلياذة اليونانية، فانصرف الشعراء الكلاسيكيون الأوربيون عن الملاحم (٨) غير أن التأثير الغربي في أدبنا الحديث دفع كتابنا ونقادنا إلى البحث عن أسباب خلو الأدب العربي القديم من هذا الفن، كما دفع بعض الشعراء العرب المحدثين إلى محاولة الكتابة في هذا الفن، بعد أن انتهت أسباب وجوده منذ زمن بعيد، أضف إلى ذلك أن مقدماته الفنية التي ازدهر على أساسها تصطدم بعقيدتنا وشخصيتنا وفكرنا وذوقنا الأدبي، ولهذا لم تنجح محاولات كتابة الملاحم في أدبنا العربي الحديث، على الرغم من جنوح بعض الشعراء إلى توجيهها توجيهاً إسلامياً (٩).

الرومانتيكية

ثم ظهر المذهب الرومانتيكي في أوربا في القرن الثامن عشر الميلادي ليعصف بالكلاسيكية نتيجة تحقق الأمرين الأساسيين اللذين سبق أن أشرت إليهما: أما الأمر الأول فهو القاعدة الفلسفية التي هيأت الأفكار التجريدية للرومانتيكية وتتمثل هذه القاعدة في كتابات جان جاك روسو Rousseau (١٧٢٢-١٧٧٨م) الذي مجد حياة الفطرة، حين كان الإنسان بدائياً لأنها تحقق له - في رأيه - الحرية المطلقة والمساواة، فكان الإنسان الأول سعيداً في كوخه بعيداً عن الأثرة والأنانية وغريزة التملك التي فرضها عليه المجتمع، كما تتمثل في كتابات فولتير Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨م) وديدرو Diderot (١٧١٣-١٧٨٤م) وكانت Kant (١٧٢٤-١٨٠١م) وهم يشتركون جميعاً في الثورة على روح التقليد والمحاكاة وعلى المجتمع القائم وقوانينه التي لا تطلق العنان للحرية الفردية المطلقة للإنسان، وهي ما يسعون إليه، وإن تحققت في غيبة العقيدة والتقاليد والأخلاق والعادات، وتناقض فلسفتهم المثالية العقلية إذ تعتد بالإنسان بوصفه غاية في ذاته، وتنفي وجود شيء جميل جمالاً مطلقا، بل يقوم معنى الجمال على إدراك العلاقات بين الأشياء وما يقترن بها، وأن الجميل موضوعه متعة لا غاية لها، والحكم

www.abulhasanalinadwi.org

الجمالي لا يصح أن يقترن بالمنطق أو المعايير الأخلاقية، ولهذا لم يتحرج (بودلير) في ظل هذه المعايير، من التعبير عن الانحطاط الإنساني، وادعاء وجود الجمال في أقبح الأشياء، كذلك، وتحث الفلسفة التي قامت عليها الرومانتيكية إلى الاهتمام بالشكل اهتماماً بالغاً دون المضمون - يتحرر الأدب - في رأي أصحابها - من أية قيود تفرض عليه من خارجه، وينطلق الخيال دون ضابط للتعبير عن النزعات الإنسانية بلا تحديد.

وقد دعت هذه الفلسفة إلى جعل القلب أعلى قوة من العقل في هدايته للإنسان، ولهذا أسرفت الرومانتيكية في النزعة العاطفية، وقد مكن للرومانتيكية الانتشار في أوربا التحول الذي أصاب المجتمع في القرن الثامن عشر، بالثورة على الإقطاع، والطبقة الأرستقراطية في المجتمع، وحدوث الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م التي اتخذت شعارها من الفلسفة المثالية: الحرية والإخاء والمساواة، ولكن هذه الواجهة الجميلة لم تكن في حقيقتها غير إمعان في التمرد على كل الأوضاع والأعراف، ومحاولة تغيير القوانين الاجتماعية لصالح الطبقة الوسطى وحدها.

وهكذا بدأ يتشكل المذهب الأدبي الرومانتيكي بوجود القاعدة الفلسفية، والظروف الاجتماعية الملائمة، وتحددت ملامحه في ضوء قاعدته الفكرية والظروف التي صاحبته، فهو ثورة على التقليد وعلى النموذج المحدد، سواء في المضمون أم الشكل، وهو دعوة للحرية المطلقة في التعبير ومنبع الشعر الصادق فيه، الإلهام وتأكيد الذاتية والفيض العاطفي، يقول في ذلك الشاعر الإنجليزي (وردزورث) إن التجربة الفنية فيض تلقائي للعواطف القوية، وهذه العواطف القوية مع الحرية المطلقة تستبيح كل محرم، وتكشف كل مستتر، وتتسم بالانطلاق الجامح في الخيال.

ولما كانت الرومانتيكية تقوم على أساس الفلسفة المثالية، فهي تمجد الفطرة البدائية في الإنسان بغير تهذيب، وتقف من المجتمع موقف العداء والثورة وتتطلع إلى عوالم خيالية لا تتحقق في الواقع، ومن هنا

www.abulhasanalinadwi.org

اتهمت الرومانتيكية بأنها أدب البرج العاجي أو أدب العزلة، ونجد بعض شعرائها يعترفون بذلك، ويبررون موقفهم الانعزالي مثل الشاعر الفرنسي(الفريدوي فيني) وفي أحيان كثيرة يتحدث الرومانتيكيون عن أنفسهم بوصفهم نماذج سامية فوق عامة البشر، وهم يبالغون مبالغة شديدة في العزوف عن الواقع، ومهاجمة المجتمع، وتصوير شروره وضحاياه وهم بسبب هذا الموقف، ولعكوفهم الشديد على أنفسهم متشائمون واقعون في ضلالة الحيرة مغرقون في الحزن(١٠).

بعد زمن

وقد عرف أدبنا العربي الحديث المذهب الرومانتيكي الغربي، بعد ظهوره في أوربا بنحو قرن من الزمان، وقد وصل إلينا مجهز الصناعة، شأنه في ذلك شأن ما يرد إلينا من تلك البلاد من عدد وآلات وبضائع للاستهلاك وقد يلتمس بعض الباحثين العذر لشيوع هذا المذهب في بلادنا العربية بوجود ظروف اجتماعية ملائمة له، ومنها وجود الاستعمار وفقدان الحرية، وتحرك الطبقة الوسطى لنيل حقوقها الاجتماعية ووجود ثورة عارمة في النفوس ضد نظم الحكم السائدة، فكان الأدب الرومانتيكي بوسائل تعبيره عن الذات والارتداد إليها، والجنوح إلى الخيال، والحلم بعالم مثالي بعيد عن الواقع، وشيوع الكآبة وروح التشاؤم، والحرية الذاتية المطلقة التي قد تهدم بعض الثوابت في المجتمع، بما يتفق دائماً وسياسة الاستعمار، مناسباً للمكان والزمان.

مدرسة الديوان

وكانت جماعة الديوان في مصر التي نسبت إلى كتاب أصدرته عام ١٩٢١م وتتألف من عبد الرحمن شكري (١٨٨٦-١٩٤٩م) وعباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٨٩-١٩٤٩م) متأثرة بالأدب الغربي، والحركة الرومانتيكية فيه بصفة خاصة، يصف العقاد جيل الشعراء بعد شوقي فيقول: "فالجيل الناشئ بعد شوقي

www.abulhasanalinadwi.org

وليد مدرسة لا شبه بينها وبين من سبقها من تاريخ الأدب العربي الحديث، فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية، ولم تقصر قراءاتها على أطراف من الأدب الفرنسي، كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر الغابر، وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز، لم تنس الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين"(١١) ويعد عبد الرحمن شكري أقوى شعراء الديوان تأثراً بالرومانتيكية الإنجليزية، في ثورتها على التقاليد، ونشدانها الحرية المطلقة، والتشاؤم إلى حد استعذاب الموت، وقد كان من الداعين إلى التحرر من القافية، وله في ذلك قصائد منها: كلمات العواطف، واقعة أبي قير، نابليون، الساحر المصري.

جماعة أبولو

كذلك أثر المذهب الرومانتيكي الغربي في نشأة (جماعة أبلو) وأبولو هو إله الشعر، ضمن الآلهة المتعددة في الوثنية اليونانية، ومن الطريف أن العقاد لم يكن راضياً عن انتساب هذه الجماعة لأبولو لا لكراهية الانتساب إلى الوثنية اليونانية، بل لأن الشرقيين القدماء ـ ومنهم العرب ـ كان لديهم إله للفنون والآداب اسمه عطارد.

ويقول خليل مطران في المقدمة التي كتبها لديوان أحمد زكي أبي شادي (١٨٩٢ـ ١٩٥٥م)منشئ هذه الجماعة المسمي (أطياف الربيع) إن أبا شادي فاجأ السليقة العربية مفاجأة جاوز بها جرأة المجترئين على التجديد من قبل، وتتمثل هذه الجرأة في الاهتمام بالإشارات التاريخية، والرموز الاصطلاحية، والأسماء الأعجمية، والاهتمام بالميثولوجيا، أي الأساطير والتحريف في موازين الشعر.

وتمثل آثار المذهب الرومانتيكي الغربي في الأدب العربي الحديث في مدرسة المهاجر الأمريكية، التي وضح فيها الاندفاع، في اتجاه هذا المذهب، حتى إن مرحلة هجرة الشعراء العرب من بلاد الشام، إلى أمريكا التي بدأت عام ١٨٧٨ وانتهت في أواخر القرن التاسع عشر، وهي المرحلة

www.abulhasanalinadwi.org

الأولى من الهجرة، سميت (المرحلة الرومانتيكية) ومؤسسها الحقيقي هو جبران خليل جبران (١٨٨٣_١٩٣١م) وهو يغلو في تقدير مهمة الشاعر، فيجعله نبياً، وأنه يرى الخفي المحجوب ويلبي نداءه، ويسمع أسرار الغيب، والمعلوم عنده ليس إلا مطية للمجهول، ونراه يجنح إلى الصوفية الباطنية، ويشيد بالشاعر الميتافيزيقي (وليم بليك) قائلاً عن مذهبه التجريدي "لن يتسنى لأي امرئ أن يتفهم بليك عن طريق العقل، فعالمه لا يمكن أن تراه إلا عين العين، ولا يمكن أن تراه العين ذاتها".

وبهذا المفهوم الباطني نفسه يقرن بين الغبي والمجنون، ولهذا يقول عن المجنون: "أود أن أرتفع بحياتي إلى مستواه" وهو يرى في الجنون "الحرية والنجاة معاً" وهو "انجذاب إلى عالم غريب بعيد" وهو في هذا الكتاب (المجنون) يدعو إلى هدم المعتقدات والأفكار والقيم، كما يدعو في كتاباته الأخرى إلى الثورة الشاملة التي تهدم الماضي بكل ما فيه من تراث، ويغرق جبران في استخدام الرمز الأسطوري أو التاريخي أو الديني، ويميل إلى التجريد الذي يوقع في كثير من الغموض.

وحين أصدر جبران (الأجنحة المتكسرة) علق عليها لويس شيخو في مجلة (المشرق) التي كان يصدرها الآباء اليسوعيون قائلا: "مدارها الحب والغرام، ولما كان لا بد لبعض الكتاب أن يهينوا الأكليروس في كل ما يخطه قلمهم فقد جهل المؤلف سبباً لانكسار الأجنحة الغرامية المقدسة مطراناً وكهنة، ولو تركهم وشأنهم لقرب إلى المعقول روايته ونزه أربه عن قوله مثلاً: هكذا تصبح عقيدة الأسقف المسيحي والإمام المسلم والكاهن، البرهمي صحيحة"؟!!(١٢)

انحلال وفساد.. كيف؟!!

ويدعو جبران إلى الانحلال والفساد حتى إنه يبشر بما سماه "آفاق الحرية الجنسية" التي "ستتسع بحيث سيجيئ يوم تترك فيه العلاقة بين الرجال والنساء حرة فعلاً".

www.abulhasanalinadwi.org

وإذا تتبعنا آثار المذهب الرومانتيكي في فكر شعرائنا العرب المحدثين فسنجد عشرات منهم، يضج شعرهم بالألم والكآبة، وتسري فيه روح التشاؤم واليأس، فهذا فوزي المعلوف يقول:

أي حلم سبكتـــه ذهبيا   لم تذبه بنارهـا الأيام
ورجاء حبكته من خيوط   لم ينسدل عليه ظلام
أي عود حملته الثلهـــي   لم تقطع أوتاره الأيام

وأبو القاسم الشابي منذ عرف الشعر عرف الألم، وهو يعيش في جو الكآبة واليأس حين يقول:

سئمت الحياة وما في الحياة   ولما تجاوزت فجــــر الشباب
سئمت الليالي وأوجاعهـا   وما شعشعت من رحيق وصاب
فحطمت كأسي وألقيتهـا   بوادي الأسى وجحيم العذاب

ونـراه لا يجـد في الحيـاة غـير الأسـى والشـقاء، اللذيـن تشـيعهما الرومانتيكية في روادهـا، فتحرمهم لـذة السعي في الحياة التي يحث عليها الإسلام، ونعمة الأمل في الغد التي تستريح إليها نفوس المؤمنين يقول:

لم أجد في الوجود إلا شقاء   سرمدياً ولذة مضمحلـــــة
وأماني يغرق الدمع أحلاها   ويغني الزمان صداهـــــا
وأناشيد يأكل اللهب الدامي   مسراتها ويبقـى أساهـــــا
ووروداً تموت في قبضة الأشواك   ما هـذه الحياة الملـــــة

ويقع الشاعر الرومانتيكي فريسة التردد بـين الجـهل والمعرفـة، وبـين الشك واليقين، وتنتابه النزعة (اللاأدرية) التي يصدرها إيليا أبـو ماضي في قصيدته (الطلاسم) فيقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت   ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت   كيف جئت كيف أبصرت طريقي
لست أدري ....

وتسير نـازك الملائكـة في الـدرب نفسـه في قصيدتـها (مأسـاة الحيـاة)

www.abulhasanalinadwi.org

التي لا ترى فيها الوجود غير ظلام لا يشرق فيه صباح وكأن الإنسان عندما هبط إلى الأرض في صورة آدم حقت عليه لعنة أبدية بأن يعيش على الأرض في ظلام تكتنفه الهموم والكآبة، يقتات الحزن ويشرب الدموع.

عالم كل من على وجهه يشقى ويقضي الأيام حزناً ويأسـاً

وهي لا تفتأ تردد(لست أدري) للدلالة على حيرة الإنسان وجهله من أين أتى وإلى أي يمضي فهي تقول:

ماذا وراء الحياة مـاذا أي غموض وأي سر

وفيم جئنا وكيف نمضي يا زورقي بل لأي بحر

وتقرر الجبرية المطلقة التي يأباها الإسلام، وتنكر معرفتها بالمصير الإنساني في قولها:

أسري كما ترسم المقادير لي إلى حيث لست أدري

ونجد التيجاني يوسف بشير بتأثير المذهب الرومانتيكي غارقاً في التفكير الصوفي المتفلسف، وشعره يمثل معاناة الإنسان الرومانتيكي الذي تموج نفسه بعوامل الشك والاضطراب والحيرة والتردد وتصطرع فيها عوامل الإلحاد والإيمان في محاولته الدائبة للوصول إلى الحقيقة في هذا الوجود ويشترك التيجاني مع رومانسيين كثيرين في هذا الاضطراب وتلك الحيرة إذ كان التردد بين الإلحاد والإيمان نتيجة لثورة الرومانتيكيين على المجتمع وما فيه من عقائد وتقاليد، ومحاولة الانطلاق وترك الحرية بلا حدود، ولم يصل التيجاني إلى نعمة اليقين والاستقرار النفسي والصفاء الروحي إلا بعد فترات من المكابدة والمجاهدة وصراع عنيف بين العقل والقلب، وكثيراً ما نراه في شعره يثور على مادية الإنسان وتربيته التي تغلب عليه فتجعله نهباً للشك في محاولته للوصول إلى الحق يقول (١٣)

برح الشك في الفؤاد فآمنت ولكن في ريبـة أو رياء

ثم أيقنت مؤمناً ثم ما أدري ولم ذا لـديك من لأواء

قلت يا نور يا مفيضاً على العالم ذوباً من روحـه اللألاء

www.abulhasanalinadwi.org

أيها البحر زاخراً والأواذي دافقات في صفحة الدأماء
علقتني من ظلمة الطين ما أفقدني عن رحابك البيضـــاء

وهكذا كان تأثير المذهب الرومانتيكي في الشعر العربي الحديث تأثيراً على جانب كبير من الخطر والخطل، إذ كان مفهوم الحرية فيه إطلاق النفس لشهواتها ونوازعها في غيبة العقيدة الصحيحة والقيم الإسلامية الأصيلة والتقاليد القويمة، كما كان مفهوم الذاتية إشاعة التشاؤم والحزن والانسحاب من المجتمع بقضاياه، والهروب من المشكلات الواقعية والانعزالية الفردية، ومثلما تأثر الشعر العربي بالحركة الرومانتيكية تأثرت الرواية فصورت المجتمع مثقلاً بالشرور والآثام تموج فيه نوازع الشر وتموت نوازع الخير، وأغلب ما تدور حوله تلك الروايات حكايات الهوى الذي يتساقط شهداؤه.

لقد كانت الرومانسية تطبيقاً عملياً للفكر الغربي الذي بدأ في التسلل منذ القرن التاسع عشر حتى إن معنى التحرر من إسار الماضي والتجديد انحصر في (تقليد الغربيين في شعرهم وأدبهم) (١٤) وتأكد هذا المعنى في كثير من الكتابات، فالروح العربية عند أبي القاسم الشابي ذات خصائص مادية لا تسمو إلى تلك النظرة الروحية التي تجدها عند الشعراء الأوربيين(١٥) وربما دعا "بولس شحادة" الشعراء العرب إلى وجوب اقتفاء أثر الشعراء الأوربيين في إنشاء الشعر المرسل اقتداء بملتون وشكسبير.(١٦)

دون قيود .. كيف؟

ولم تقف اللغة الأجنبية حاجزاً أمام من لا يعرفونها من أدباء العرب المحدثين، فالشابي لم يكن يعرف لغة أجنبية، ولكنه يسبح في تيار الرومانتيكية الغربية بكل ما وراءها من فكر فلسفي، بل هو متأثر في حديثه عن الخيال الشعري عند العرب، بمفاهيم مضللة أطلقها دعاة الاستعمار الغربي أمثال "رينان" و"ماسينيون"(١٧).

www.abulhasanalinadwi.org

الواقعية

ثم انتفضت في الغرب الواقعية الفلسفية التي تأبى أن ترد كل شيء في الوجود إلى الذات تطبيقاً لما نادت به من قبل الفلسفة المثالية، والتي تنادي بالاعتماد على المحسوس والواقع، وأنه لا توجد معرفة أعلى من المعرفة المستمدة من الحواس والتجربة، وقد أثرت هذه الفلسفة في مفاهيم الأدب من حيث ضرورة كونه تصويراً للواقع الاجتماعي المعاصر تصويراً موضوعياً، يبعد عن الإغراق في الخيال ويهتم بالصغائر، ويفتح الباب للجنس بكل مباذله.

وميز رواد الواقعية بين أنواع منها، فالواقعية الطبيعية تتقبل الأشياء على علاتها دون إدراك الفرق بين المظهر الخارجي والواقع الحقيقي، والواقعية النقدية تتناول الواقع بالنقد والتحليل قبل التسليم به، وهي بهذا المفهوم أقرب إلى تمثيل الحياة وأعمق وعياً بها، كما أنها تتصل برؤية العالم الغربي للواقع القائمة على الرفض والتمرد عليه، وتقوم الواقعية الاشتراكية على مبدأ الالتزام الذي يربط الأدب بهدف تحقيق النظرية الاشتراكية بإخضاعه للنظرة المادية والحتمية التاريخية وهي تجعل التفاؤل أساساً نهائياً في تصويرها للشرور والمآسي الاجتماعية، حتى لو اقتضى الأمر تزييف الموقف لإيجاد عنصر الأمل والتفاؤل فيه.

وقد أعانت ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية في العالم العربي على إحداث تغيير في الخط الفكري الذي يسير فيه الإبداع الأدبي، وأهم تلك الظروف إحساس الجماهير بحاجتها إلى نوع جديد من الحياة بعد معاينتها لأهوال الحرب التي اكتوت بها كل الشعوب، سواء أكانت محاربة أم غير محاربة، وتناولت هذه الرغبة في تغيير الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية على حد سواء.

دوافع متعددة

وكان لالتقاء القوى الشيوعية بالقوى الرأسمالية في العالم الغربي

www.abulhasanalinadwi.org

في مواجهة النازية الفاشية أثر بالغ في تقبل الفكر الاشتراكي بوصفة نافذة جديدة يطلون منها على الحياة بعد أن كانت مغلقة في وجوههم، وخاصة في عالمنا العربي الذي كان مجرد التلفظ فيه بكلمة الشيوعية أو الاشتراكية جريمة تستحق العقاب.

كذلك أعطت الحرب العالمية الثانية للشعوب المغلوبة على أمرها أملاً جديداً في الاستقلال والتطلع إلى الحرية، ولكن بلادنا العربية خاضت معارك شرسة للتحرر من ربقة الاستعمار، وكثرت فيها الانتفاضات الثورية لتغيير نظام الحكم ووقعت في خلال ذلك مأساة استيلاء الصهيونية على فلسطين، فكانت هذه العوامل جميعها دعوة لتيار الواقعية بأشكالها الطبيعية والاشتراكية ليسري ذلك في الفكر وظواهر الإبداع.

واستطاع تيار الواقعية الاشتراكية أن يغطي مساحة كبيرة في الفكر العربي في بعض البلاد العربية، بفعل عوامل سياسية واقتصادية، وخاصة في مرحلة الخمسينات وانغمس نقاده في تحديد مفهوم أدب هذا الاتجاه بأنه (ممارسة ثورية وعمل انقلابي بهدف تنوير الجماهير الشعبية لتقي ذاتها وتعرف ذاتها وتحتل مكاناً تحت الشمس.(١٨)

وتتابعت كتابات رئيف خوري وسليم خياطة ونجلاء عبد المسيح ومحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس وحسين مروة وعشرات غيرهم من أنصار هذا الاتجاه، ورأينا أثر ذلك كله في الشعر عند كمال عبد الحليم وصلاح عبد الصبور والسياب وسعدي وكاظم وغيرهم.

وقد كثرت في أشعار هؤلاء نغمة الثورة على المجتمع وتركيز الصراع بين الطبقات فيه بإلحاح على تصوير الفقر والتخلف في قاع المجتمع، كما زخرت أشعارهم بالسخرية من الدين والإيمان بالغيبيات، يقول محمد المهدي المجذوب(١٩)

يزور أسرتي السقم/فأسقم/ وأجرع الغموم والهموم والكدر/وأدمن السهر وملء دارنا الذباب والتراب والقذر/ وحول دارنا

www.abulhasanalinadwi.org

عفونة الوحل/ بريحها يختنق الأجل/ وحيناً في ربض حبيس/ يلسعه الناموس/لا الدهن يحمينا ولا البخور/ ولاتمائم الفقير/ ولا صياح الناس يا لطيف يا خبير.

ويصور البياتي الثورة التي تحلم بها الماركسية فيقول: سيغسل بريقها هذه الوجوه وهذه النظرة/ ستصبح هذه المرة/ جوراً وقناديل /زهوراً ومناديل/ وسيصبح باطل الحزن أباطيل/ وتزهر في فم الشعب المواويل/ ستهوي تحت أقدامك يا جيل التماثيل.

وتعلو نغمة الحزن الذي لا ينبع من الذات أشعار الواقعيين الاشتراكيين لتجسيد الشرور والآثام في المجتمع والمطالبة بالثورة والتمرد عليه وإخضاعه للطبقة الدنيا.

يقول صلاح عبد الصبور: يا صاحبي إني حزين/ طلع الصباح فما ابتسمت ولم ينر وجهي الصباح/ وأتى المساء/ في غرفتي دلف المساء/ والحزن يولد في المساء لأنه حزن حزين/ حزن طويل كالطريق من الجحيم إلى الجحيم/ حزن صموت/ حزن تمدد في المدينة/كاللص في جوف السكينة/ كالأفعوان بلا فحيح/الحزن قد قهر القلاع جميعها وسبي الكنوز/ الحزن قد سحل العيون/ الحزن قد عقد الحياة/ ويسيء الالتزام إلى شعر الواقعية الاشتراكية إذ يحاصر الأفكار فيوقعها في النمطية والتكرار والمبالغة في رسم الصور البشعة التي تمثل المرض والفقر والجوع لإيجاد مبرر للصراع الطبقي والثورة والتمرد ونمثل لذلك بديوان(الطين والأظافر) للشاعر محي الدين فارس، فهو يصور أطفال الصيادين فيقول:

والعيال فلذ تقطر سلاً وسعال

ويصور الإفريقيين فيقول إنهم عراة جائعون مشردون ينبشون في دنيا المزابل والخرائب، ويتحدث عن امرأة ساقطة فيدعي أن الفقر دفعها إلى الرذيلة ويقول على لسانها:

فجر مثالي قد غدا مسرحاً/والغربان والسل

www.abulhasanalinadwi.org

حتى حين يتحدث عن ذكريات الطفولة لا يلبث أن يرسم لنا صورة:

غلام شاحب مستغرق في الفكر
تفجرت دموعه كاللهب المستعر
مات أبوه، أمه ماتت فيا للقدر(٢٠)

وقد أعانت مجلة الآداب البيروتية منذ صدورها عام ١٩٥٣م على نشر (أدب الالتزام الذي ينبع من المجتمع العربي ويصب فيه) ولم يكن ذلك إلا بوحي الأفكار الماركسية الملحدة، كما أعانت ظروف الرفض للوجود العربي في إسرائيل على انضواء معظم شعراء الأرض المحتلة وكتابها إلى تيار الواقعية الاشتراكية، ومن المؤسف أن عوامل التغيير الجذرية التي طرأت على الفكر الماركسي لم تخفف من وجوده في عالمنا العربي وتأثيره على أشكال الإبداع الأدبي.

وقد أثرت الواقعية الاشتراكية في الرواية كما تظهر في أعمال عبد الرحمن الشرقاوي وفؤاد حجازي وصنع الله إبراهيم ويوسف العقيد وإبراهيم عبد المجيد وغيرهم في مصر، وفي أعمال غالب طعمة فرمان، وموفق خضر، وإسماعيل فهد إسماعيل، وعبد الرحمن الربيعي وغيرهم في العراق، وأعمال حليم بركات وأديب نحوي وفارس زرزور وغسان كنفاني وتوفيق فياض وإميل حبيبي وغيرهم في بلاد الشام، وأعمال أبي بكر خالد وإبراهيم اسحق وغيرهما في السودان، وروايات الطاهر وطار ومصطفى الفارس وعبد المجيد عطية وغيرهم في الشمال الإفريقي، وقد اتجه المبدعون في رواياتهم إلى تأكيد فردية الإنسان وسلطانه المطلق في الكون، وامتلاكه إرادته وحريته، وتمرده على الدين، والبطل في معظم هذه الروايات بطل كادح يعاني الظروف القاسية التي تحيط به في مجتمعه ويشارك في الصراع الطبقي وتهدف هذه الروايات إلى إدانة الطبقة العالية والوسطى وتصوير استغلالهما للطبقة العاملة، كما تهدف إلى تصوير قاع

www.abulhasanalinadwi.org

المجتمع وحشد كل مبررات الرؤية الثورية التي تسعى إلى تغيير الواقع، وامتد تيار الواقعية الاشتراكية إلى القصة القصيرة في الأعمال الإبداعية لعدد كبير من الكتاب في مختلف البلاد العربية وتتميز جميعها بالالتزام الذي يفرضه هذا التيار بحيث يؤثر على رسم الشخصيات والأحداث لتؤدي جميعاً ما تسعى إليه الواقعية الاشتراكية.

الوجودية

وكان للوجودية بوصفها نزعة إنسانية من ناحية، وبوصفها داعية للالتزام وارتباط الأديب بقضايا مجتمعه (٢١) في رؤية محددة تلازم مع الواقعية الاشتراكية، وقد تسربت من الفكر الغربي إلى الفكر العربي المعاصر بقوة، وكان من أخطر مروجيها عبد الرحمن بدوي فيما ترجمه من أصولها وما كتبه عنها، بل لقد حاول أن يوجد أصلاً لها وللنزعة الإنسانية الغربية التي انتفت الوجودية منها في الفكر العربي من خلال كتابات الصوفيين المغالين والفلاسفة الذين تجاوزوا أصول الشريعة والاعتقاد الإسلامي الصحيح، فالوجود الذي تتخذه كل من الباطنية والوجودية موضوعاً لها هو الوجود الذاتي الإنساني (٢٢) .. بل بين كلتا النزعتين الصوفية الباطنية والوجودية صلات عميقة في المبدأ أو المنهج والغاية (٢٣) وما دامت الصوفية الباطنية تقول بوحدة الوجود، فإنه يرد الوجود إلى الله ويرد الله إلى الإنسان فتناظرت في الوجودية فكرة (الأوحد) (٢٤)!! وهو يرى أن ابن عربي نظر إلى الإنسان على أنه مركز الوجود، وأن الذي (أنقذ) ابن عربي وتركه يفكر (حراً) هو أنه لم يوجد في العالم العربي سلطة تضع نفسها موضع المراقبة على الأفكار (٢٥) كما يرى أن الرازي يجب أن يوضع كحد أعلى للنزعة الإنسانية العربية (٢٦) أما ابن سبعين فهو عنده (هذه الشخصية الغربية الشائقة بأقوالها وأفعالها وبخاصة فعلها النهائي الحاسم الذي قضت به حياته، فكان ذلك (فعلة وجودية) من الطراز الأول، لابد أن تكون قد قامت على أسس وجودية، ونعنى

www.abulhasanalinadwi.org

بذلك انتحاره بقطعه أحد شرايينه، وهو عمل إرادي واع لنفسه ولأفكار لم نجد لها مثيلاً في تاريخ الفكر العربي(٢٧).

فإذا تناول عبد الرحمن بدوي الشعر الوجودي ذكر أنه يضيف إلى الإنسان الصفة الأولى للربوبية(٢٨)!؟! وأشار بالنموذج الوجودي الذي أبدعه "بودلير" في ديوانه "أزهار الشر" وأغرى الشعراء العرب الوجوديين بالابتعاد قدر الإمكان (عن اللغة الجارية كيما نستعيد البكارة الأولى التي يمتاز بها عالم الإمكان) (أما عمود النحو فلنهدمه على رؤوس المصغين إليه) و (الإطراء والرثوب في الوزن والقافية من أعدى أعداء التوتر) وهي صفة وجودية، ولا شأن للوجودي (بأنه أحكام تقويمية خارجة عن نطاقه الفني الخالص، سواء أصدرت هذه الأحكام عن الدين أم عن الأخلاق، ومعنى هذا بكل وضوح أنه إن وجد الرذيلة أو القبح أو الشر أوفر حظاً في التمكين من الإبداع فلا جناح عليه مطلقاً في أن يتخذها.. الخطايا والشرور والرذائل وما إليها أدل على حقيقة الوجود وأقدر على الكشف عن نسيجه (٢٩).

ومن مضمون هذه الأقوال وكثير أمثالها نتيجة أن التيار الوجودي قد كان المضمون الفلسفي لحركة الحداثة، وكانت العودة إلى الذات وتأليه الإنسان ذروة الإحساس بالتجاوب مع الفلسفة الوجودية، ودعا "محمد النقاش" إلى استلام الوجودية لأنها تمثل الاستجابة المباشرة لحاجة الإنسان المعاصر إلى إعادة النظر في مقومات وجوده، ثم محاولة تكييفها على شكل جديد بإرادته واختياره على حد زعمه(٣٠)، ويذكر أحد الباحثين أن مجلة "الآداب" البيروتية رسخت الفكرة الوجودية في الإبداع العربي، ثم قادت مجلة" شعر" الصبغة الوجودية إلى المفهوم المتبافيزيقي للشعر(٣١) وإذا كانت الأساطير اليونانية وغيرها قد بدأت تدخل في الأدب العربي الحديث.. كما سبق أن أشرت بتأثير الحركة الكلاسيكية، فقد تأكد توظيفها في فترة سيادة الحركة الرومانتيكية بماكتبه "دريني خشبة" من (أساطير الحب والجمال عند الإغريق) على صفحات مجلتي الرسالة والثقافة المصريتين، وبما نجده من

www.abulhasanalinadwi.org

توظيف لهذه الأساطير في شعر العقاد وعلى محمود طه ومحمود حسن إسماعيل، ثم إن الاتجاه الوجودي قد رسخها، فالسياب يراها امتلاكاً لوجودٌ أكثر عمقاً من الوجود اليومي الضاغط الناقد لكل شاعرية، ويقول: نحن نعيش في عالم لا شعر فيه، أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية، والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح، إذن فالتعبير المباشر من اللاشعر لن يكون شعراً، فماذا يفعل الشاعر إذن، يلجأ إلى الخرافات والأساطير التي لا تزال تحتفظ بمرارتها، ولأنها ليست جزءاً من هذا العالم (٣٢).

ولا شك أن الشعراء العرب قد وجدوا في الأعمال الإبداعية للوجود بين أمثال سارتر وكامي توظيفاً للأساطير فحذوا حذوهم، أما المضامين الوجودية التي تعد أصولاً فيها فهي تركز على مقولة الوجوديين بأن الوجود الوحيد في الكون هو الوجود الإنساني، ولم يتورع "سارتر" عن القول بأن(الإنسان يتحقق إنساناً كي ما يكون إله) !! والأساس العام للوجودية إنكار وجود أية ماهية سابقة، وحصر الوجود بالنسبة للإنسان في الحقيقة الوحيدة اليقينية وهي (الكوجبيتو) الديكارتي(٣٣) ،أي تفكير الفرد، ولهذا يدعى سارتر "عدم وجود شيء خارج هذا التفكير ولا سابق عليه، وبناء على ذلك فهو ينكر وجود إله، وألا توجد ماهية أو مثل أو قيم أخلاقية متوارثة لها صفة اليقين، وكل هذا التراث ينبغي أن يتحلل منه الإنسان ليحقق وجوده وحريته المطلقة وقد نتج عن التفكير الوجودي الإحساس الحار في نفس الإنسان بمشاعر القلق والاغتراب واليأس، أما القلق فهو نتيجة الحرية المطلقة للفرد الذي لا يستند في سلوكه وأحكامه إلى خالق أو أي نوع من الجبرية، أو ضرب من ضروب القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهذه الحرية المطلقة تستغيسه نوعاً من المسؤولية ، ولا بد أن يستشعر الفرد في ضوء هذه الفلسفة بالوحدة وعدم وجود مساندة خارج نفسه التي تتحمل وحدها المسؤولية كذلك لا بد أن يستشعر اليأس لرفضه التسليم بقوة علوية أكبر من ذاته، والانصياع للقضاء والقدر، وفقدان

www.abulhasanalinadwi.org

العزاء الذي يجده المؤمن في الحياة الأخرى عوضاً عن الحياة الواقعية.

ونجد هذه المضامين جميعاً في شعر المبدعين العرب المحدثين، وقد سبق أن أشار إلى ذلك عدد من الباحثين في مقدمتهم الدكتور إحسان عباس حين لاحظ تأثير الحركة الوجودية في مضامين الانفصال واللاإمكانية واللاتاريخية، ومثل لها بقصيدة (مسافر بلا حقائب) للبياتي في ديوانه "(أباريق مهشمة) (٣٤)، وحاول الباحثون أن يوجدوا في البيئة العربية عوامل تدعو إلى تبني الفكر الوجودي من إحساس بالاغتراب والوحدة واليأس والقلق والعدمية، فذكروا المأساة الفلسطينية والصراع مع الصهيونية وخوض معارك التحرير ضد الاستعمار بأشكاله المختلفة، والتمزق بين اليمين واليسار، وبين التخلف والتقدم، والأصالة والمعاصرة والليبرالية والالتزام وغير ذلك، ولكن وجود هذه العوامل وتأثيرها في مسار الفكر العربي لا يعنى بالضرورة الاتجاه إلى الفكر الوجودي، ولكن المبدعين العرب وجدوا فيه بعيداً عن إحساسهم القوي بعقيدتهم الإسلامية، تعبيراً عن عبثية الوجود، تحقق لهم معاني الرفض والتمرد التي تسربت إليهم من النموذج الغربي أكثر مما تسربت من مجتمعاتهم، تحقيقاً لمقولة "جاك بيرك" لكي يكون العربي ذاته عليه أن يكون الغير(٣٥).

وقد ظهر الأثر الوجودي في شعر السياب، وكأنه كان يستلهم "بودلير" في موقفه الوجودي الذي يعبر عنه بالتمرد ورؤية الجمال في القبح والشر والرذيلة ويرى أحد الباحثين أن صرخة "سارتر" (الجحيم هو الآخرون) تتردد عند السياب في قوله:

وعرفوا المرقى إلى الجلجلة
والصخر يا سيزيف ما أثقله
سيزيف إن الصخرة الآخرون(٣٦)

وترى خالدة سعيد(شريكة حياة أدونيس) أن مفهوم قصيدته (البعث والرماد) لا يمكن أن يتضح بغير توظيف الفلسفة الوجودية (٣٧)

www.abulhasanalinadwi.org

أما ديوان (التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهار) فهو تصوير ناطق بالفكر الوجودي في تمرده ورفضه وقلقه وفي الإحساس الحاد بالغربة، وتأثرت القصة القصيرة بالتيار الوجودي كما نجد في إبداع إدوار الخراط وعلاء الديب ومحمد حافظ رجب ومحمد الصاوي وإبراهيم أصلان وغيرهم في مصر وفي بلاد عربية أخرى (٣٨)، وكذلك تأثرت الرواية بهذا الفكر الوجودي في أعمال سهيل إدريس، جبرا إبراهيم جبرا،وإسماعيل فهد إسماعيل ونجيب محفوظ وليلى بعلبكي والطيب صالح وغيرهم، والمعاني العامة التي تدور حولها الرواية العربية الوجودية.إثبات الإرادة الإنسانية المتحررة من كل قيد، والمسئولية الملقاة عليها، والقلق واليأس والسقوط والاغتراب والانفصام عن الماضي وعن المجتمع(٣٩).

نعجب حين يتناولها محمود أمين العالم بنظرة الواقعي الاشتراكي المتآلف مع الفكر الوجودي فيقول (إن أولاد حارتنا ملحمة شعرية على غرار ملاحمنا الشعبية، على غرار عنترة والأميرة ذات الهمة وحمزة البهلوان وغيرها، بل لعلها تفوقها من حيث الرواء والعمق والشاعرية، إن بناءها الغني هو بناء الشعر الملحمي، ولغتها هي لغة الحكمة والنبوة والشعر، إنها لغة التركيز والشمول والعمومية والتجربة، والإيقاع العميق وشخصياتها ليست الشخصيات النثرية التي نواجهها في القصص، بل هم أبطال ملاحم شعرية، أبطال معارك تاريخية في ملاحمهم عتاقة التاريخ (٤٠)وهؤلاء الأبطال الذين يحركهم المؤلف ليسوا إلا الإله جل وعلا ومجموعة من الأنبياء صلوات الله عليهم، أسقطها عليهم الكاتب كل ما يريد أن يقوله من منظور الفكر الوجودي الملحد!!

الحداثة

مقاطعة الموروث .. لماذا؟

ثم روج للحداثة بعد ذلك عباد النموذج الغربي منذ استطاع الفكر الغربي المسيحي فرض سيطرته ومد نفوذه في العالم العربي الإسلامي بجناحيه الشرقي والغربي، واستطاع أن ينشئ تياراً علمانياً عربياً يدعو إلى

www.abulhasanalinadwi.org

التخلي عن النظرة الدينية في مواجهة الكون والمصالح الدنيوية، وقصر الدين على الأمور المتصلة بالروح والعلاقة الفردية بين الإنسان وربه، مع ضرورة الأخذ بالحضارة الغربية في كل نواحي الحياة والاعتماد على النظرة العلمية العقلانية.

والغرب ـ كما يقول بحق روجية جارودي ـ حالة فكرية متجهة نحو السيطرة على الطبيعة والناس(٤١) وهو ينظر بإزدراء إلى كل الحضارات السابقة التي أسهمت فترة طويلة من الزمان في توجيهه ومنها الحضارة الإسلامية التي كانت لها السيادة في الغرب حتى القرن الرابع عشر الميلادي، وهذا الفكر الغربي ـ بكل ما فيه من تناقضات وظواهر إلحادية ـ فكر مسيحي متعصب ينكر للإسلام أي دور حضاري، ويجعل انتصار "شارل مارتل" على المسلمين في موقعه "بواتيية" رمزاً لانتصار الحضارة الغربية على البرابرة (٤٢) ولا يتورع دانتي "في الكوميديا الإلهية" التي استلهم فيها قصة الإسراء والمعراج عن التهجم على نبي الإسلام بإقصائه مع أتباعه إلى الجحيم(٤٣)، ويرى أحد الباحثين الغربيين أن حركات ثلاث صنعت التحول في الفكر الغربي في القرن الثامن عشر: الثورة البروتستنبية، والحركة الإنسانية، والنزعة العقلانية (٤٤)وكل هذه الحركات ـ على الرغم من وقوعها في القرن الثامن عشر ـ ذات أثر كبير في اتجاهات فكرية ظهرت في الغرب وأثرت تأثيراً مباشراً في تشكيل الفكر العربي المعاصر، ومن هذه الاتجاهات الفكرية الغربية نظرية "دارون" في التطور التي كانت في مضمونها إغفالاً لدور الخالق ومحاولة لتقديم صورة حركية للكون وللإنسان معاً، وكان المذهب الماركسي محاولة لخلق نظرية جدلية في رؤية الإنسان لطبيعة الدوافع الكامنة وراء مفاهيم التغيير في العالم، فالأشياء تتغير وفق دوافع كامنة في نفسها، ولهذا كان تطورها حتمياً، وغيرت نظرية "فرويد" في اللاشعور من نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى قيمه وما يتحكم في سلوكه من عوامل ودوافع، ومنحت الغرائز

www.abulhasanalinadwi.org

والانفعالات دوراً مماثلاً لدور العقل والتحكم في سلوك الإنسان، كذلك زعزعت نظرية "انيشتاين" في النسبية الإيمان في نفس الأوربي بوجود حقائق مطلقة ونهائية، مؤكدة نسبية الحقيقة العلمية والمعرفة الإنسانية والقيم والثقافات، بل نسبية كل شيء وتسللت الحداثة إذن ضمن حركة هذا الغزو الغربي باتجاهاته ومذاهبه التي يرفضها الإسلام لإغفالها جميعاً دور الخالق في الكون، وحركة الكون الدائبة المنظمة وفق مشيئته وعبودية الإنسان لربه، ويصف أحد الباحثين الأوربيين هذا المذهب بأنه زلزلة حضارية عنيفة وانقلاب ثقافي شامل، وأنها جعلت الإنسان الغربي يشك في حضارته بأكملها، ويرفض حتى أرسخ معتقداته المتوارثة، ويرى النقاد الغربيون أن الحداثة استوعبت مجموعة من الحركات والمذاهب التي حددت مفاهيمها ومبادئها العامة التي ترتكز على الاقتحام والنفور من كل ما هو متواصل، وأدبها غير واقعي، خال من المضامين الإنسانية، يركز على القضايا الأسلوبية والشكلية بدعوى النفاذ إلى أعماق الحياة وأنها تدعو إلى تحطيم الأطر التقليدية والشخصية الفردية، وتبني رغبات الإنسان الفوضوية التي لا يحدهاحد(٤٥).

ويرى "هربرت ريد" في كتابه (الفن الآن) أن لفظ (الثورة) ليس ملائماً لها لأنها تحطيم بل انحلال مأساوي، ويقول (أورتيكاكاسيت) في كتاب (النزعة اللاإنسانية في الفن) إن الحداثة هدم لكل الإنسانية وإنها الفن الثائر على الناس والزمن والتاريخ، ويرى "فرناك كيرفود" في كتابه (مقالات حديثة) أن الحداثة لا تعيد صياغة الشكل، بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس.

ويقول "ليونيل" في كتابه (مقالات في الأدب والنقد والمعرفة) إن ما تعنيه الحداثة: اللاعقل والاضطراب، والفوضى الاجتماعية الكاسحة والعدمية، والموقف المعادي للحضارة والتورط والغربة واللانظام.

وقد استمدت الحداثة من نظرية "فرويد" في الأحلام وما أضافته

www.abulhasanalinadwi.org

السريالية بأننا نعيش في مستويين مختلفين وفي عالمين متباينين يتداخلان ويتشابهان حتى إننا لا نستطيع التمييز بينهما مفهوماً بازدواجية الوجود وازدواجية المعنى أو ما يسمى بتكافؤ الضدين، وترتب على ذلك عدم التمييز فيما بين الأضداد: الرفض والقبول، الحياة والموت، والرجل والمرأة، الإله والشيطان، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والطهر والدنس، تأثرت الحداثة بالحركة الدادية التي قامت على أساس مهاجمة المعتقدات والمؤسسات التقليدية والعودة للبدائية، وكان رائدها "ترستان تزارا" كما وصفه باحث أوربي مروجاً للفوضوية الفنية والاجتماعية ومؤكداً على الاتجاه العبثي.

واستوعبت الحداثة كل ما طالبت به الحركة المستقبلية من شعر يتبرأ من العقل وكراهية كل ما يتعلق بتراث الماضي حتى اللغة الموروثة والدعوة إلى أن تكون لغة الشعر لغة ما وراء العقل، وأن تقوم القصيدة على التفكك لا على الترابط لأنها تعتمد على الحدس بعيداً عن رقابة العقل والمنطق.

واستمدت الحداثة من السريالية دعوتها للكتابة التلقائية التي تجعل الشعر مشاعاً بين الناس وليس مقتصراً على فئة موهوبة ودعوتها للغموض حتى قيل إن أقصى إطراء يمكن أن يقدمه شاعر حداثي لآخر هو قوله إن قصيدته قمة في الغموض، بل أخذ الحداثيون يشككون في كل قصيدة واضحة أو زاخرة بالمشاعر الذاتية واصفين إياها بأنها (تقدم عالماً عارياً) وقد تعددت محاولات المروجين للثقافة الغربية في اتجاهاتها الشاذة لإدخال الحداثة بوصفها مذهباً أدبياً، وكان لأدونيس (على احمد سعيد) دور مؤثر في هذا الاتجاه بكتاباته في مجلة(شعر) ودعوته إلى قصيدة النثر بوصفها (تمرد في نطاق الشكل الشعري) وبإصداره (صدمة الحداثة) و(بيان الحداثة) ثم كتابه (الثابت والمتحول) الذي يقول فيه: " لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تتهدم البنية التقليدية للفكر العربي وإلا إذا

www.abulhasanalinadwi.org

تخلص من المبنى الديني التقليدي الاتباعي".

وتزخر كتابات الحداثيين ذوي الأقنعة العربية بالأفكار السريالية وتتردد فيها عبارات الانقطاع، وعدم التواصل والتمرد والتجاوز ورفض كل ما يمت إلى العقل والمنطق، وتغيير الحياة عن طريق الحلم، وعلاقة الشاعر بالسحر والأسطورة والبدائية والرؤيا والنبوءة ورفض الواقع.

يقول كمال أبو ديب عن الحداثة إنها(تجاوز الواقع أو اللاعقلانية أي الثورة على قوانين المعرفة العقلية، وعلى المنطق وعلى الشريعة، من حيث هي أحكام تقليدية تعنى الظاهر..هذه الثورة تعنى التوكيد على الباطن، وتعنى الخلاص من المقدس والمحرم وإباحة كل شيء للحرية).

ويعبر"أدونيس" عن هذه الفكرة (وهي تدمير القداسة ومقارفة الخطيئة) في قصيدته إلفة الخطيئة التي يمجد فيها الخطيئة أو الصاعقة التي تنتهك القداسة منكراً سلطة الدين، ماحياً العقوبة والثواب، يقول:

أحرق ميراثي أقول أرضى/ بكر ولا قبور في شبابي/ أعبر فوق الله والشيطان/ دربي أنا من دروب الإله والشيطان/ أعبر في كتابي/في موكب الصاعقة المضيئة/ في موكب الصاعقة الخضراء/ أهتف: لا جنة لا سقوط بعدي/ وأمحو لغة الخطيئة.

ولما كان مجال الإبداع في رأي أصحاب الحداثة والسرياليين هو اللامحدود واللانهائي، كان من الطبيعي أن يسقط عندهم الغرض أو الموضوع في القصيدة، وذلك يسهم إلى حد بعيد مع اتجاه الكتابة التلقائية في تكثيف الغموض، إذ تتحول الكلمات إلى رموز، والعبارات إلى مجموعة من الدلالات المستغلقة، على الفهم، يقول"أدونيس" في ذلك: "وإن كان الوضوح طبيعياً في الشعر الوصفي أو القصصي أوالعاطفي الخالص، لأنه يهدف إلى التعبير عن فكرة محدودة، أو وضع محدد، فإن هذا الهدف لا مكان له في الشعر الحق (يعنى الحداثي) فالشاعر لا ينطلق من فكرة واضحة محدودة، بل من حالة لا يعرفها هو نفسه، هذا يقذف به

www.abulhasanalinadwi.org

في جميع الاتجاهات حتى الأطراف القصوى، ويغير علاقته باللغة، لا تعود اللغة وسيلة لإقامة العلاقات اليومية بينه وبين الآخرين"، ويتحقق ذلك في كثير من شعر الحداثيين، ويقول "أدونيس" في كتاب (التحولات في ذات الإنسان): في الجرح أبراج وملائكة/نهر يغلق أبوابه وأعشاب تمشي /رجل يتعرى/ ثم ينقط الماء فوق رأسه/ثم يسجد ويغيب/أحلم/أغسل الأرض حتى تعبر امرأة/ أضرب عليها سوراً من القيم سياجاً من النار/ وأبني فيه من الدمع/ أجيلها بيدي.

وهذا محمد عفيفي مطر يسجل في قصيدته (قراءة) خطرات باطنية تعرض له في اللاشعور وكأنها خرافات أحلام غامضة المدلولات يقول:

تلبس الشمس قميص الدم في ركبتها جرح بعرض الريح/ والأفق ينابيع دم مفتوحة للطير والنخل/ سلام هي حتى مشرق النوم سلام/ ونساء النهر يتطلعن/ خلاخيل من العشب استدارات من الفضة والطمي/ اشتهاء باللغة رغو الماء/ تصايحن عن الطهر بالشيلان يمسحن زجاج الأفق/ يبكين بكاء طازج الدفء، /سلام هي حى مشرق النوم سلام/ ضمت الحقول ركبتها واستراحت أسنة المحاريث /ونامت الثعابين/سلام ظلامي يتكوم قشاً ناعماً وزغباً / والثيران أغفت واقفة تتكسر أنجم الليل في حدقاتها الفسفورية الغائبة/ سلام قناع من ليل خيم/ نام النصف الهالك ولم يستيقظ النصف الحي.

وموقف الحداثة الغربية من اللغة هو نفسه موقف مروجي الحداثة في أدبنا العربي، فهم يرفضون اللغة التواصلية، يقول كمال أبو ديب في ذلك: الحداثة لا ترى موت اللغة فقط، بل تراها لغة مكدسة محشوة بالسلطة، قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي السلطوي..

ويقول: آخر من مروجي الحداثة: إن الشاعر يجب أن يتصرف كالكيميائي الذي لا غاية له سوى تسجيل أغرب الاختلاطات في المركبات والعناصر التي تحت يده، في الشعر تتحول اللغة إلى مقل من الشفرات،

www.abulhasanalinadwi.org

إنها تتخذ لنفسها وظيفة (علامائية) خالصة.

وتتكاثر النماذج التي تستجيب لدعوة الحداثيين كما نرى في قصيدة شاعر من الإمارات هوأحمد راشد ثاني بعنوان(مسألة أخرى) فهو يستبيح فيها الدلالات اللغوية للألفاظ، بل يستبيح أصل وجودها اللغوي، مع استخدام صور مجازية شديدة التكثيف والإيغال في الإيهام الصادر عن اللاوعي يقول (٤٦):

حيض حامض/ يشاع في رجرجة أوهام مرة/ قفلك النهار/بأسرار راكنة/ وغزيرة /علمة فيض/يأكل كله بمقت مبكر/لا يغلق الماء/ كما ادعى.

وهذا الموقف الحداثي الثابت من اللغة لا يقتصر على رمزية الألفاظ وتغيير مدلولاتها، بل يتعدى ذلك إلى تدمير التراكيب اللغوية، وإهمال عناصر الربط في الجملة، وإساءة البنية اللغوية والنحوية، أضف إلى ذلك بعثرة الأفكار المشوشة وتقطيعها، ثم يأتي ما ذكرته من إسقاط الغرض أو الموضوع وفيضان الدلالة وتوالي الصور الغربية البعيدة عن الوعي والمنطق كالقار الأبيض، أو الحذر الذي ينساب من ثدي السفينة، أو الجرح في ركبة الشمس بعرض الريح، أو زهرة الكيمياء في الشفاه اليتيمة، كل ذلك يوقع القارئ ضحية اللغز والفكر المضطرب، أو اللافكر الناتج عن اللاوعي.

إن القصيدة الحداثية بالمعنى الاصطلاحي الحقيقي للحداثة ـ غرق في اللاوعي والأسطورة والحلم وتخيلات مرضى الأعصاب وكل ما من شأنه أن يخرج الإنسان من واقعه وعقله ووجدانه الحي، بل يخرجه قبل ذلك من عقيدته وتراثه وشخصيته وتقاليده ولغته.

وانتقلت آفة الحداثة إلى الفن القصصي فأسقطت منه القواعد الفنية المعتمدة على الحكاية والسرد والنموذج الإنساني العادي الذي يرتبط بزمان ثابت ومكان معين ونزعات بشرية واضحة الدلالة والغايات، كما أسقطت اللغة الواضحة (التواصلية) وأصبح الفن القصصي في اتجاهه الحديث يسجل لحظات شعورية، ويصور ميلاً باطنياً للتعبير عن الإحساس الفردي

www.abulhasanalinadwi.org

الداخلي الصامت.

لقد أصبح القاص ينحي نفسه ويواجه القارئ بالتجربة العقلية لشخصيات قصصه، ولم يعد للقصة بداية ووسط ونهاية.. ولم تعد لها ذروة وحبكة، وأسقط منها كل نظام سبق أن سار عليه القصاص في العهد الزاهر للقصة، وأصبح القارئ مطالباً باليقظة التامة ووحدة الوعي ومحاولة إيجاد نظام من خلال فوضى الأفكار وتبعثرها.

ويقول في ذلك الناقد "ويندهام لويس" إن كان هذا النوع من القصص يجرد العمل الفني من كل الخطوط والحدود التي تجعل له شكلاً معيناً، فالحياة الداخلية للشخصية بما فيها من حدود تستحيل إلى نسيج هلامي مختلط يخلو من كل العقد والمفاصل.

وإلى جانب هذه الظواهر في بناء القصة نجد مضمونها يستهدف تحقيق كل ما آمن به الحداثيون، فالحداثة في الفن القصصي تتجاوز الواقع ولا تحاول تسجيله، بل تنسحب منه إلى داخل النفس لترصد خطراتها وأفكارها التي تجري مشوشة بلا نظام، وهي تغرق في الرمز الذي يستحيل إلى غموض كثيف حين تصور القصة عالم التخيل الباطني الزاخر بتداعيات الأفكار العابرة وأحلام اليقظة، وهي تستخدم لغة الحداثة غير(التواصلية) متعانقة في ذلك مع الشعر، بل هي في أحيان كثيرة تستخدم لغة الشعر نفسها، يقول أحد قصاص الحداثة في قصة قصيرة بعنوان (مريض) : لا أعرف أبداً إلى أين أنا ذاهب على وجه التحديد.. آه التي تناولت كوب الماء المعطر.. عطشانة صحرائي .. هات يديك لأقرأ حظي حسب التقدير الفلكي وأسجد.. (تؤول الحياة في مشاجرة عائلية إلى أمور لا معنى لها...) جذبت باقة قميصي من تحت ثنية رقبتي على النقالة الخجل مر بيده على مكان مسح عرقه.. لم نهضم سوء نيتك، ملابسك الصحراوية متربة.. الطيور المسافرة على صدره مجهدة، فداؤك باق سحابات صحراء مقطوعة النور.. تاه على أرضها، يحمل أحزان النفي والموت.. والمطبات في

www.abulhasanalinadwi.org

الطريق تدبر مؤامرة اغتيال مجانية.. على حافة النقالة يرجون رأسه سقوطاً من نافذة الرحالة المقبورون على رمل التيه.. على مهلك ... رأسك مطرقة.. تتولى أصواته، ما هم مندفعون إلى المخابئ.. في الزحام أمن.. كرهوا رائحة عرقهم.. عفن الريح من حجرة البيانات، تعد وجه غريب، مريض لم أتعوده..أنت .. من حيث بدأ يخطو، مصدر الخرس والملل في بيت لا يكنس فيه عقب السيجارة.. وجهها محروق تحت قدمي تمثال نصفي.. نعاها في صمت أول.. شارع وسلالم وصمت يفتح باباً موصداً في وجه البحر" وهذه الأقصوصة نموذج لما فعلته الحداثة في الفن القصصي الذي استحال إلى أفكار منقطعة لا رابط بينها، تعبر عنها كلمات بأسلوب يعمد إلى تكييف الصور المجازية والرموز التي تغرقها في الغموض والإبهام.

ونتيجة لتأثير المذاهب الفكرية الغربية التي سبق أن أوضحتها احتل التعبير الجنسي مساحة كبيرة في أدبنا العربي الحديث ويؤدي "نزار قباني" في هذا الاتجاه دوراً مهماً معترفاً بأنه بطبيعة تركيبه ينسجم مع هذا الاتجاه (٤٩) وهو ثائر على المجتمع العربي المسلم (الخائف من جيد المرأة.. الذي لم يستطع أن يشفي من فكرة الأنثى العار) (٥٠) وهو يعترف صراحة بأنه لا يعرف في المرأة غير الجنس (فإنني نادراً ما وقعت في الحب) و(كشهريار كاليت لوفرة (وليمة الجنس المتكررة) تعيين بالقرف والاشمئزاز) (٥١) ومصطلحات الجنس لا تخلو عند نزار حتى في حديثه العادي فهو يقول (إلى كل فنادق العالم التي دخلتها، حملت معي دمشق ونمت معها على سرير واحد) ويقول: (أحياناً أشعر أن الورقة مستعدة فأمارس الحب معها بنجاح، وأحياناً كثيرة أشعر أن الورقة لا تريد فألبس ثيابي وأنصرف) (٥٢) ويصور نزار الجنس تصويراً حسياً صارخاً في كثير من أشعاره كما في قوله:

سمراء صبي نهدك الأسمر في دنيا فمي
نهداك نبعا لذة حمـــراء تشعل لي دمي

www.abulhasanalinadwi.org

صنمان إني أعبد الأصنـــام رغم تألمي
لا تكتمي النار الجبيسة وارتعاش الأعضاء (٥٣)

بل نجده لا يتورع أن يصف نوعاً من الشذوذ الجنسي في القصيدة الشهيرة) (٥٤)

ونرى عند محمد الماغوط في شعره المنثور إسرافاً في النزعة الجنسية وتمتد هذه النزعة حتى في الخليج العربي بين ناشئة الشعراء الذين يتابعون خطى الرواد سواء أكانوا واقعيين أم رومانيين أم وجوديين أم حداثيين، فالسقوط في الجنس ظاهرة مشتركة عند أتباع المذاهب الأدبية الغربية التي تطلق العنان للغرائز بدعوى الحرية المطلقة فهذه "ظبية خميس" تمجد الشهوة في حمى جنسية صارخة في قصيدتها (أنشودة الجسد) فهي تقول (٥٥):

فحيح وشهقـــــــة
وهمهمات تموء تضيع
ويندفع الأقحـــوان
وينسل الفيروز من العاج كما يفعل اللؤلؤ

وحدها السكينة خنجر/ وحده القلب صحراء/ وما بينهما طرق عنيف/ وبيب/ ودقات القبائل عند المغيب/ عالم/ أفق/ قوس وساحة حرب هو الجسد/ حين يلتقيان يعود للنبع وجه الحقيقة/ وحين يلتقيان لا حكم يسود غير الإنشاء/ مطر وحضن وآهات/ ماء يرفع هامات الرجال/ ويجعل منها امرأة إلهة/ قمر ممطر وحمامتان تحت شمس الضحى/ وكلانا يرتدي صاحبه.

ومن الطبيعي أن نجد هذه النزعة الجنسية عند "أدونيس" حتى إن "رياض الريس" وصف مضامين كتاب التحولات بأنها جنسية عابثة (٥٦) وهو يتوجه بالجنس اتجاهاً وجودياً حين يجد فيه خلاصه من اليأس وطريقه إلى التحرر.

ونجد مثل هذه النظرة عند كثير من الروائيين العرب وكتاب القصة

www.abulhasanalinadwi.org

القصيرة ، ولا شك أن التأثير الفرويدي في القصة منذ العقد الثالث من القرن العشرين كان عظيماً في الغرب بعد أن استوعب الكتاب مؤلفيه عن تفسير الأحلام ونظرية الجنس ، وأصبح التطبيق الشامل لبحوث فرويد في الجنس جزءاً مهماً في القصة بعد الحرب العالمية الثانية ، حتى بدت المشكلات الإنسانية الملحة كخطر الحرب أو الانهيار الاقتصادي موضوعات غير ذات أهمية إلى جانب موضوع الجنس ، وقد انتقل ذلك إلى القصة العربية ، وأبرز من تأثروا به "إحسان عبد القدوس" الذي يجعل الجنس المحور الرئيسي الذي تدور حوله كل قصصه والذي تشقى أو تسعد به كل شخصياته (٥٧).

لقد قامت مجلة(شعر) بدور محدد لها لترسيخ معنى الحداثة من حيث نقل الشعر إلى الميتافيزيقا ، وقطع سبل اتصاله بالقارئ يقول :"رينية حبشي" في أحد أعدادها : الشعر الأصفي هو الميتافيزيقا ، وفيه تنسحب الحياة منه كما ينسحب الدم من الوجه ، تبقى المجانية وحدها ضرورية ، وتلك هي رسالة الشعر(٥٨).

وقد أفاض الباحثون في تحديد الدور الذي قامت به هذه المجلة من حيث نشر(اتفاقية الضباب) وتقديم صورة زائفة عن العالم ، وإخفاء علاقة الغرب الاغتصابية بالوطن العربي في أخطر مراحل تاريخه ، وإفراغ مضمون الفعالية الشعرية من محتواها الواقعي ، وطرح أسماء بعض الشعراء الغربيين مع إحاطتهم بهالة خرافية تجعلهم مثلاً يحتذى في كل إبداء ، وتوظيف الأسطورة والميتافيزيقا لتحقيق كيان اغترابي عن المضمون الإنساني(٥٩).

موقف غامض:

ويؤكد"يوسف الخال" أن حركة الحداثة هي في المقام الأول موقف من الحضارة الإنسانية ، ومن الله والإنسان والوجود ، وأن خلاص العالم العربي لا يتحقق إلا من خلال الفرد العربي الذي يجد صورته النموذجية في المجتمعات الغربية ، وأن الحضارة الغربية هي حضارتنا بقدر ما هي حضارة

www.abulhasanalinadwi.org

الفرنسي والألماني والروسي .. ونحن لا قيمة لنا ولا مستقبل لنا في العالم العربي إن بقينا خارجها، ولم نتبنها من جديد ونتفاعل معها، ونفعل فيها، إنها لنا - وهي نحن - بكل مآثرها وعيوبها، بكل قوتها وضعفها، بكل ما تضن به أو تعطيه للإنسان في جيلنا وفي الأجيال التالية (٦٠).

وكل كتاب مجلة (شعر) كانوا مفتونين بحركات التمرد الأدبية التي عبرت عنها الحداثة، وكانوا يدعون إلى الانقطاع عن التراث العربي الإسلامي تحقيقا لمقولة رائد السريالية أندرية بريتون "حين يتعلق الأمر بالتمرد ينبغي ألا يحتاج أحد منا إلى أسلاف، كذلك كانوا منغمسين في تيار الواقعية الاشتراكية بكل أهدافها ورؤاها.

ويعد "أدونيس" - كما سبق أن أوضحت - أهم شعراء هذا التجمع من حيث التنظير والتطبيق، وقد صدق أحد الباحثين في قوله: "ولا مراء في أن آراء "أدونيس" في الحداثة والثورة والتجاوز والهدم تصدر عن فكر ماركسي، فالثورة التي يدعو إليها الفكر الماركسي تعنى تماما كل هذه الأفكار السابقة، فهي تتناقض بكل تأكيد مع قيم الماضي بكل أشكالها دينية كانت أو ثقافية أو فنية أو اجتماعية، ويتأكد ذلك من خلال تلك الاستشهادات التي يشير إليها "أدونيس" في عروضه لتلك القضايا، فآراء لينين وماركس ونيتشة يتردد صداها في كتبه"(٦١).

ولا شك أن"أدونيس" يؤمن بفلسفة نيتشة إيماناً قوياً بكل ما فيها من إلحاح ورغبة في التدمير من أجل خلق (السوبرمان) وقد صدق الباحثون الذين لاحظوا الوجه النيتشوي في قناع"مهيار الدمشقي" فهو يرى في اللاتيقن والحيرة مصدر ضوء ومعرفة للإنسان المنقذ والخلاق، فإنه يرفض الله والشيطان في آن معاً وسط مجتمع يشكل اللون الأسود الشيطاني والأبيض الإلهي فيه، ليس فقط حدود الهوية الأخلاقية والروحية، وإنما حدود الوجود الجسدي كذلك.

لا الله أُختار ولا الشيطان / كلاهما جدار(٦٢).

www.abulhasanalinadwi.org

وما أصدق الباحث الذي يقول في أدباء اتجاه الحداثة : " رأينا غالبية هؤلاء الشعراء تتجه إلى آفاق بعيدة ومشكلات لا تنبع من الظروف الخاصة بمجتمعاتهم هم ، إن تطرفهم في هذا التوجه الذي حملهم ظلماً تسمية (الغرباء) يمكن النظر إليه في حمي نضالنا الأليم كضرب من الفرار أو من الاستلاب ، لأنه إذا كانت مفهومات كالضياع والعبث واليأس والفراغ وما إليها تعتبر أفكاراً وجودية شاملة ومسوغة أحياناً فإنها قد ولدت لدينا الانطباع بأن شعراءنا لم يصلوا إليها بالطريق الطبيعي ومن خلال إطار حياتهم المحلية ، وإنما تلقوها من خلال جسر مصطنع يمتد بين منفي عوالمهم الداخلية ، وعالم نماذجهم الخارجية ، لقد بدأ أن الصيغة القديمة (جدوا أنفسكم لكي تجدوا الآخرين) قد انقلبت لتصبح(جدوا الآخر لكي تجدوا أنفسكم (٦٣).

وكان طبيعياً أن تؤثر نظرية الحداثة في مسار النقد الأدبي وأن تهتك مقاييسه وترفض كل اتجاهاته السابقة على ظهورها وتنظر من جديد في العلاقة الثلاثية بين النص والمبدع والمتلقي ، وسبب ذلك واضح وهو أن النص الحداثي يتمرد على مقاييس النقد في شتى اتجاهاته فكان لا بد من استخدام مقاييس جديدة تحاول استكشاف عناصر الإبداع الفني في النص الحداثي ووجدت الحداثة بغيتها في الفلسفة البنيوية التي كانت في أصلها محاولة لدرس الظواهر بصفة عامة ، ويأتي في مقدمتها الظواهر البشرية على أساس فكرة البيئة ، وهي تعنى صورة الشيء وهيئته ووحدته المادية وتصميمه الكلي ، أي مجموع العلاقات الباطنة المكونة لوحدته ، وقد استند فلاسفة البنيوية على اللغة إذ قالوا لا توجد بنية إلا حيث توجد لغة ، فإذا تحدثوا عن بنية أي شيء ، لا لغة له ، تصوروا له لغة ، هي لغة العلاقات أو الرموز ، ولذلك قيل في تعريف البنية إنها نظام رمزي لا يمكن رده إلى الواقع ولا إلى نظام الخيال ، لأنه نظام ثالث مستقل عن كل منهما.

www.abulhasanalinadwi.org

من الحداثة إلى البنيوية

وقد اختلف الباحثون في البنيوية حول طبيعتها : هل هي فلسفة تبحث في البنية والنسق والنظام واللغة مثلما كانت هناك فلسفات تبحث في الوجود والذات والإنسان والتاريخ، هي منهج للبحث العلمي، أو موقف عقائدي أو نظرية في المعرفة؟ وكل رأى يحدد لها وجوداً له ما يؤيده، فبعض دعاة البنيوية أعلنوا موت الإنسان ليوضحوا أن البنيوية نزعة معارضة للنزعة الإنسانية أو الذاتية، وبعضهم أعلن عداءه للتاريخ والفلسفة، ومن روادهم "التوسير" الذي فسر الماركسية تفسيراً بنيوياً وأوجد نقطة التقاء بين الماركسية والبنيوية وهي النزعة المضادة للإنسان بمعنى رفض تفسير التاريخ بالاستناد إلى مفهوم الإنسان أو الذات.

استندت الحداثة على البنيوية في محاولة لإيجاد نقد أدبي جديد تستوعبه مقاييس الثورة التي أحدثتها نظرية الحداثة في الأدب، وكانت البنيوية اللغوية من أبرز ما توسلت به الحداثة لرسم المعالم النقدية الجديدة، وإذا كان "فردنياندي سوسير" هو الذي وضع أساس البنيوية اللغوية التي تسعى لاكتشاف قوانين بنية النظم اللغوية في النصوص وتطورها، فقط ظهر آخرون بعده كانت لهم وجهات نظر أخرى، بحيث صارت البنيوية اللغوية عدة بنيويات، وإن ظل الأساس الذي يجمعهم : محاولة اكتشاف كيفية انبثاق المعاني اللغوية من التراكيب أو الأبنية للكلمة والجملة والعبارة.

ومن أقوال "كلوديفي شتراوس" التي تبين استحواذ البنيوية على العلوم الإنسانية قوله : إما أن تكون العلوم الإنسانية علوماً بنيوية، أو لا تكون علوماً بنيوية، أو لا تكون علوماً على الإطلاق، لأنها لا تملك القدرة على التبسيط إلا إذا أصبحت بنيوية، والمقصود في التبسيط في هذه العبارة التنظيم البنيوي الذي يرد الوقائع الكثيرة إلى مجموعة من العلاقات الرياضية البسيطة.

والنظريات الأخيرة في علم اللغة قد خالفت البنيوية في بعض

www.abulhasanalinadwi.org

أصولها، حتى لقد أطلق عليها (ما بعد البنيوية) وبرغم هذه الاختلافات فإن معظم الاتجاهات البنيوية تركز على النص الإبداعي بوصفه بنية لغوية وإشارية مكتفية بذاتها، ولهذا ينبغي رفض الإحالة إلى ما هو خارج إطارها اللغوي كالمؤلف والواقع والظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية، فالبنيوية في أساسها النقدي تبدأ من النص وتنتهي به، وكأنه الغاية النهائية في حد ذاته وإذا استخدمنا مصطلحات البنيويين قلنا إنهم يركزون على الوظيفة الشعرية للمرسلة، ويهملون من شأن العناصر الأخرى الخاصة بالظواهر الإبداعية وهم يرون تحول المرسلة إلى نص في عملية ارتداء لسيرورة الرسالة نحو المتلقى ثم انكفاءها على ذاتها لتوليد القيمة الإنسانية للنص، وبذلك تنحصر وظيفة المتلقي في الكشف عن شفرة النص ومعناه وآلياته وأنساقه المختلفة عن طريق تحليل مستوياته الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية وغيرها.

والاتجاه السميولوجي أو السميوطيقي يركز أيضاً على النص بوصفه بنية ألسنية وإشارية مكتفية بذاتها، وينبع الإدراك السميولوجي من فهم طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، ومن ثنائية الحضور / الغياب، القائمة بينهما فالدال هو الصورة الصوتية أو الخطية، الذي يمثل حالة الحضور في النص، بينما يمثل المدلول الذي هو متصور ذهني حالة الغياب، ودور المتلقي يتمثل في عملية استحضار هذا المتصور الذهني الغائب، ثم تنشأ المقومات الإبداعية للنص من تكامل العلاقة بين الدال والمدلول.

موضوعية زائفة:

والاتجاه التشريحي أو التفكيكي Deconstr Active يتحلل إلى حد كبير من سلطة النص المفروضة على المتلقي، ويوجهها إلى القارئ بناء على نظرية الخطاب الثلاثية الأطراف: الباث (المرسل) والخطاب (الرسالة) والمستقبل (القارئ) ولكن هذا الاتجاه يطلق العنان للقراءات المتعددة بعدد القراء، وهي جميعا نسبية غير يقينية، وتخضع لمستويات القراءة التي

www.abulhasanalinadwi.org

استخرجوا منها أنماطاً متعددة: الاستكشافية، الاسترجاعية، العمودية، الأفقية، الخ، كما تخضع لمستويات القراء فمنهم المثالي والخيالي والضمني وذو الكفاءة اللغوية ..الخ.

وإذا كان الاتجاه البنيوي قام على أساس تناسق بنية النص الأدبي وفق قوانين لغوية وأنظمة لا تقبل التعديل أو التغيير، ولا تتأثر بأي مؤثر خارجي، فإن النص في الاتجاه التفكيكي لا يمثل بنية لغوية متسقة منطقياً بحيث تخضع لتقاليد ثابتة يمكن كشفها، بل يمثل تركيبة لغوية تعارض نفسها من الداخل بالكسور والشروخ والفجوات على نحو يجعل النص قابلاً لتفسيرات وتأويلات لا نهاية لها.

وإخضاع النص ينظم العلاقات التي نأخذ به التفكيكية يولد إحساساً بالموضوعية في النقد ولكنه إحساس زائف إذ يتعارض هذا النقد مع ذاتية العمل الأدبي، ويتحول النقد إلى العبثية إذ يدعى ما يشاء من معان لا وجود لها، وتغيب عنه كذلك كل العناصر الجمالية في النص، وكل ذلك يتفق اتفاقاً كاملاً مع ما تهدف إليه الحداثة، إذ يؤكد" أدونيس" مروجها في كل كتاباته غياب جميع الأفكار المشتركة واللغة المشتركة والثقافة الشعرية المشتركة (٦٤) وإن كل ذاتية مطلقة تسعى للحداثة إنما تشكل لا معنى وعبثاً كاملاً، ولغة الشعر ينبغي انقطاع تواصلها مع القارئ، لتصبح رموزاً مكثفة، وإلماحات موحية، ينفصل ظاهرها عن باطنها، وقد سبق أن لاحظ"حسين مروة" برغم اتجاهه الماركسي أن(بين نقاد هذا الشعر الحديث من يحاول أن يوجه الشعراء وجهة(الرؤيا) دون الرؤية)، وجهة الإبحار مع الأحلام كيفما اتجهت أشرعتها الأسطورية في المتاهات المتناقضة في عوالم اللانهايات والمطلق، وأن يحذرهم من الاتجاه مع رؤية الواقع والفكر بحجة أن هذه الرؤية مقيدة بأيدلوجية وجاهزة مسبقا(٦٥).

ونجد ناقداً بنيوياً يحلل قصيدة غامضة"لأدونيس" في عشرات

www.abulhasanalinadwi.org

الصفحات على أساس ما سماه(الثنائيات الضدية) و(الحركات الأساسية) لتصبح العملية النقدية في جوهرها ـ كما ذكر ـ عملية اكتناه للعلاقات المتشابكة والتفاعلات التي تنشأ من اختيار مركز معين للنص(٦٦).

أما القصيدة المفرطة في الغموض فهي(كيمياء النرجس) التي يقول فيها الشاعر الحداثي:

الرزايا تصالح بين الظهيرة والليل/ خلف المرايا/ جسد يفتح الطريق/لأقاليمه الجديدة/ في ركام العصور/ ماحياً نجمة الطريق/ بين إيقاعه والقصيدة/ عابراً آخر الجسور/ وقتلت المرايا/ ومزجت سراويلها النرجسية الشموس/ ابتكرت المرايا/ هاجساً يحضن الشموس وأبعادها الكوكبية.

ومن المؤسف أن يقبل بعض الدارسين على نقل ما كتبه الغربيون في نظريات البنائية وما بعدها، بفهم حيناً وبعدم فهم في كثير من الأحيان، وزخرت حياتنا الأدبية بكتابات يرى أصحابها سيادة الاتجاه البنيوي في صورته النظرية وواقعه التطبيقي، واهتموا ببيان اختراق النص من الداخل ناقلين عن بعض الباحثين الأوربيين وجود علاقة غريبة بين المتلقي والنص يسمونها علاقة شبقية بحيث يصبح النص لغة للحس، وتطغي لغة الحسن عليه كما تطغي لغة جنسية بإزائه، ويسمون هذه اللغة الاختراق، التي تنتقص غورية اللغة، وهم يتفقون مع"فرويد" في المعنى الجنسي لفتح النص، ويقولون إن ما يسميه"رولان بارت" هزة النص إنما هي هزة جنسية خالصة، ويهدفون بالاختراق الداخلي للنص إيجاد احتمالات على المستوى الدلالي المبهم من الرموز والغامض من الصور التي يتألف منها النص الحداثي وكذلك محاولة إيجاد مكونات داخلية فيه تخضع لأنظمة محددة وتنقل تعبير الألفاظ عن مستوى المعنى إلى مستوى معنى المعنى، ومن مستوى التعبير المفرد إلى مستوى التعبير الكلي، أما ما يسميه البنيويون البنية السطحية وهي مجمل الظواهر الخارجية للنص الأدبي، والبنية العميقة، وهي عملية تركيب البنيات السطحية في بنية أكثر اتساعاً (٦٧).

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أسلم الاتجاه البنيوي إلى حالة ضياع نقدي، وأسهم في إهدار جماليات النص وسلب المتلقي القدرة على تذوقه، والتغاضي عن تمثيل النص لحركة المتلقي النفسية الخاصة.

والنص ليس لغة أو علامات فحسب، بل إن وراء هذه اللغة بكل أنساقها وهذه العلامات بكل تأويلاتها عوامل وأسباباً عميقة تمنح النص وجوده ووحدته وشخصيته، وليس من الطبيعي أن تهتم البنيوية بكل اتجاهاتها بالأشكال النحوية دون تمييز وقائع أسلوبية ووقائع لغوية عادية، وأن تصرف عن تحليل المعنى اكتفاء برؤية العلاقات الشكلية داخل النص، وأن تهمل المبدع إهمالاً كاملاً كما تهمل البيئة والظروف المحيطة، وقد كتب أحد أعلام النقد في فرنسا وهو"ريمون بيكار" كتاباً بعنوان(نقد جديد أم تدجيل جديد) يهاجم فيه مدرسة"رولان بارت" المسماة التشريحية أو التفكيكية واتهمها بأنها فارغة من الناحية الفكرية، مصطنعة من الناحية اللغوية، خطيرة من الناحية الخلقية، ويعارض "بول ريكور" الاعتماد على النص وحده لإنتاج المعنى، ويشير إلى ضرورة وجود مرجع تاريخي، فكل معنى يتضمن سياقاً تاريخياً وتقدير المعاني لا ينبع قط من عالم النص نفسه، ولكنه ينبع من مرجع تاريخي مزدوج يتمثل في عالم المبدع، وفي الظروف اللاحقة للتلقي والتأويل.

إن أدبنا العربي يتعرض منذ نحو قرنين لغزو الفكر الغربي بمذاهبه المختلفة، ونظرياته دون أن نبلغ بهذا الفكر الغربي ما تصوره بعض الرواد من التقدم العلمي ومواكبة الغرب، ويستحيل أن نبلغ ما نريد بغير تحقيق انتمائنا لعقيدتنا الإسلامية والبناء على منابعها الفكرية الصافية، وإنضاج شخصيتنا بالانفتاح على الثقافات دون أن نفقد ذاتنا ونتمرغ في حمأة الإلحاد مستسلمين لخواء روحي يلقي بنا في ظلمات وجهالات، وقد صدق من قال: وجدت الانتلجنتسيا العربية (المستغربة) نفساً حائرة بعد أن أضاعت محورها الطبيعي، تراثها وإمكانية الرجوع إلى الله.

www.abulhasanalinadwi.org

الهوامش

١. راجع في ذلك كتابي : دراسات في النثر العربي الحديث والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية لزكي محمد مجاهد ، وحاضر العالم الإسلامي ، تأليف لوثروب ستودارد وترجمة عجاج نويهض وزعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين.

٢. انظر: أقوم المسالك في معرفة أحوال المماليك بتحقيق المنصف الشنوفي الدار التونسية نشر ١٩٧٤م.

٣. انظر بحثي : الأدب الإسلامي بين مجال الفن وحدود الالتزام في كتابي "دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق.

٤. انظر Atkins I.W.H. English Fiterary Critcism

٥. انظر: مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين.

٦. راجع كتابي(من فرسان الشعر العربي) نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩١م

٧. انظر بحثي : موقف مرجليوث من الشعر العربي في كتابي الشعر في العصر الجاهلي

٨. انظر : Atkins I.W.H English Fiterary Critcism

٩. انظر: الإلياذة الإسلامية لأحمد محرم

١٠. انظر : Hovgh.Graham The Romantic Poest Bronowshi 1: The Poet S Deference

١١. شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي(١٩٢)

١٢. مجلة المشرق مجلد ٦٥

١٣. انظر ديوانه : إشراقة

١٤. انظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق علي علوان ص١٠٠

١٥. الخيال الشعري عند العرب : ٧٢

١٦. مجلة الهلال عدد ١٤ من أبريل ١٩٠٦م

www.abulhasanalinadwi.org

١٧. انظر: بحثاً عن الحداثة، محمد الأسعد، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٦م
١٨. نفسه
١٩. انظر: تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان محمد مصطفى هدارة دار الثقافة بيروت ١٩٧٢م
٢٠. نفسه: ٤١١-٤٢٤.
٢١. لا يؤيد سارتر الالتزام بالنسبة للأدب.
٢٢. الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ٧٨.
٢٣. نفسه: ٧٣
٢٤. نفسه: ٧٥
٢٥. نفسه: ٢٠-٤١
٢٦. نفسه: ٦٦
٢٧. نفسه: ١٠٤
٢٨. نفسه: ١١٦
٢٩. نفسه: ١٢٨- ١٢٩
٣٠. انظر: مجلة الآداب(حول الأدب الديمقراطي) نوفمبر ١٩٥٣م
٣١. بحثاً عن الحداثة: ٣٧
٣٢. مجلة الشعر عدد ٣-١٩٥٧
٣٣. الكوجيتو كلمة لاتينية الأصل معناها (أنا أفكر) وقد درج استعمالها في لغة الفلسفة رمزاً لعبارة شهيرة اتخذها ديكارت أساساً لفلسفته وهي (أنا أفكر وإذن أنا موجود)
٣٤. الشعر العربي المعاصر ٢١٢
٣٥. حركة الحداثة الشعرية ٢٨
٣٦. نفسه: ٤٩
٣٧. أغاني مهيار: ٦١١

www.abulhasanalinadwi.org

٣٨. مجلة شعر، العدد الثاني ١٩٥٧م

٣٩. أخص بالذكر مجموعة (الحيطان العالية) لإدوار الخراط، و(غرباء) و(الكرة ورأس الرجل) لمحمد حافظ رحب، و(الثور العذراء) لمحمد الصاوي.

٤٠. أخص بالذكر (في الحي اللاتيني) و(الخندق في العميق)و(أصابعنا التي تحترق)لسهيل أدريس و(أنا أحب) و(نحن بلا أقنعة) و(الآلهة الممسوخة) لليلى بعلبكي، و(صراخ في ليل طويل) و(السفينة) لجبرا إبراهيم جبرا و(الجيل، و(كانت السماء زرقاء) لإسماعيل فهد إسماعيل و(موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، و(اللص والكلاب) و(السيمان والخريف و(الشحاذ) و(ثرثرة فوق النيل) و(قلب الليل) و(حضرة المحترم) لنجيب محفوظ

٤١. تأملات في عالم نجيب محفوظ، محمد أمين العالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٧.

٤٢. انظر: حوار الحضارات ترجمة عادل العواء

٤٣. نفعه:

٤٤. انظر : النشيد ١٨، البيت : ٣٥

٤٥. تشكيل العقل الحديث: ١٦٠ وما بعدها، كرين برينتون، ترجمة شوقي جلال

٤٦. انظر: الحداثة لبرادبري وماكفرلين

٤٧. انظر: دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، محمد مصطفى هدارة

٤٨. قصائد من الإمارات ، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات العربية المتحدة ١٩٨٦م

٤٩. قصتي مع الشعر: ١٢٣

٥٠. نفسه: ١٦٨

www.abulhasanalinadwi.org

٥١. نفسه: ٤٠٠

٥٢. نفسه: ١٥٥

٥٣. نزار قباني ، الأعمال الشعرية الكاملة ٦٩

٥٤. نفسه: ٣٥٣

٥٥. قصائد من الإمارات

٥٦. مجلة حوار عدد ٥ ، ١٩٦٥م

٥٧. انظر: دراسات في الأدب العربي الحديث، محمد مصطفى هدارة: ٢٦١-٢٧٠

٥٨. مجلة شعر عدد: ٤ ،١٩٥٧م.

٥٩. بحثاً عن الحداثة: ٤٢-٤٣

٦٠. مجلة شعر عدد: ١٥

٦١. مجلة عالم الفكر ، المجلد: ١٩ ، العدد: ٣، ١٩٨٨م.

٦٢. حركة الحداثة: ١٨٨

٦٣. نفسه: ١١٨-٦٦٩

٦٤. مجلة شعر عدد: ١١

٦٥. مجلة الأدب عدد مارس: ١٩٦٦م

٦٦. جولية الخفاء والتجلي ، كمال أبو ديب: ٢٦٢-٣٠٨

٦٧. انظر: دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق.

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الثاني

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

المفتي محمد عبده

(١٢٢٦-١٣٢٣هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م)

ولد محمد عبده في سنة ١٨٤٩م في قرية "حصة شبشير" من قرى مديرية الغربية ، وقد كان والده حسن خير الله من وجهاء قريته ، فنشأ ابنه نشأة أبناء اليسار ، وأحضر له والده معلمين في منزله ، فتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بالجامع الأحمدي أحد مراكز التعليم الديني في بلدة "طنطا" ، فجود القرآن على بعض القراء المشهورين ، ومكث في ذلك سنتين ، ثم انتظم في المعهد الديني بين طلابه ، وضاق محمد عبده بالطريقة القديمة الجافة للتعليم التي لم تكن تلائم ذهنه الثاقب ، فغادر المعهد ، و رجع إلى قريته فزوجه أبوه على حداثة سنه.

كان أخواله على صلة بأحد المشايخ الذي كان على اتصال بالشيخ السنوسي[١] ، وأخذ عنه تعاليمه ، فمال محمد عبده إلى التصوف ، بعد أن قرأ بعض الرسائل الصوفية ، فنشأت فيه عاطفة إصلاح الناس ، ثم التحق بالأزهر عام ١٢٨٢هـ ـ ١٨٦٥م ، يعبّ من علومه الدينية واللغوية ، وأخذ من كبار العلماء ، وخاصة الشيخ حسن الطويل الذي كان يلقي محاضرات في الفلسفة والهيئة وعلم الأخلاق.

وفي هذه الأثناء وصل إلى مصر السيد جمال الدين الأفغاني عام ١٨٧١م ، فاتصل به محمد عبده فنفخ فيه السيد جمال الدين روح الكفاح ضد الاستعمار والنهوض بالإسلام والمسلمين ، ودفعه السيد جمال الدين

١- هو الشيخ درويش من الشخصيات التي أثرت في عقل محمد عبده ، وفي نفسه وفي خلقه ، وحددت له أهدافه في الحياة .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى الكتابة في الصحف، والمجلات لإيقاظ المسلمين بأسلوب عام، فبدأ يكتب في "الأهرام"، ولكن أسلوبه كان على غرار الأسلوب القديم.

تخرج محمد عبده في الأزهر سنة ١٨٧٧م، ونال شهادة العالمية، فتعين مدرساً في الأزهر، فبدأ يلقي الدروس في المنطق والعقائد، وألف حاشية على شرح لكتاب يسمى "العقائد العضدية" وهي تشهد بنبوغه في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، وواصل كتابة المقالات في "الأهرام"، وجعل يدرس لطلابه كتاب "تهذيب الأخلاق" لابن مسكويه، ويقرأ في بيته كتاباً مترجماً في"تاريخ تمدن الممالك الأوربية" ثم عين عام ١٨٧٨م مدرساً للتاريخ في مدرسة دار العلوم، و للعربية في مدرسة الألسن، وكان يدرس في الأولى" مقدمة ابن خلدون" (ثم أسند إليه تحرير "الوقائع المصرية" الرسمية بعد عودته من بلدته إلى القاهرة بأمر من رياض باشا الذي استلم رئاسة الوزارة عام ١٨٨٠م، فرفع مستواها).

وفي الثورة العرابية عام ١٨٨٢م[١] اتهم بالتورط فيها، وكان قبل الثورة يعارض العرابيين، ثم اضطر إلى المشاركة لمساهمة الناس جميعهم فيها، فحكم عليه بالنفي ثلاث سنين، فذهب إلى بيروت، حيث التف حوله العلماء والأدباء، ودرس العقائد الإسلامية بالمدرسة السلطانية، ومن بيروت استدعاه السيد جمال الدين إلى باريس سنة ١٨٨٤م، فأصدرا جريدة "العروة الوثقى"، وبعد مدة صودرت "العروة الوثقى"، فعاد إلى بيروت، وبدأ يدرس ويؤلف، فشرح "مقامات البديع الهمذاني"، و"نهج البلاغة"، ودرس الفقه على المذهب الحنفي بالمدرسة السلطانية، وألف رسالة في التوحيد، وبدأ تفسير القرآن الكريم في الجامع الكبير، بدأ بالجزء الثلاثين، وشرح البصائر في المنطق، وصار يكتب بعض المقالات في جريدة

---

[١]- أحمد عرابي باشا ١٨٤١-١٩١١م ضابط وطني مصري زعيم الحزب القومي، ثار على باشاوات الأتراك ودعا إلى تحرير البلاد من النفوذ الإنكليزي فأدى الأمر إلى تدخل الإنكليز فقصفوا الإسكندرية ودخلوا القاهرة، وحلّوا الجيش المصري ونفوا عرابي باشا عام ١٨٨٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

"ثمرة الفنون" مشابهة لمقالاته في الوقائع المصرية.

وفي عام ١٨٨٨م عفي عنه بتوسط السيدة نازلي إحدى أميرات الأسرة الحاكمة ورياض باشا لدى الحكومة، فوافق اللورد كرومر على عودته إلى القاهرة، وتولى القضاء عام ١٨٨٩م، وعين مستشاراً في محكمة الاستئناف، ثم عين مفتياً للديار المصرية عام ١٨٩٩م، وظل في هذا المنصب إلى آخر حياته، وأصبح تبعاً لهذا المنصب عضواً في مجلس شورى القوانين وفي مجلس إدارة الأوقاف، وترأس عام ١٩٠٠م جمعيتي إحياء العلوم العربية والخيرية الإسلامية.

كان الوضع السائد في مصر في عهده قد أثر في تكوينه الذهني والفكري فآمن بالإصلاح سبيلاً للخلاص وبالتدرج أسلوباً للنجاة فبعد عودته إلى مصر اعتنى بالإصلاح الديني والاجتماعي، فكان يكتب في "المقتطف" و"الأهرام"، و"المنار" صحيفة تلميذه الشيخ رشيد رضا، وكان يدرس كتاب "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني، وله منهج خاص في التفسير لا يتقيد فيه بسلفه، وقع فيه من التعسف في التأويل وتطبيق العقل فاعترض عليه علماء عصره، وقد تغير فكره بعد رحلاته إلى أوربا، كان درسه مجمعاً لرجال القانون، والأدب، والصحافة، والتعليم، وكان معجباً بالمعتزلة، ولذلك عارضه العلماء، وتوفي سنة ١٩٠٥م.

اتخذ محمد عبده عدة خطوات ومقترحات للإصلاح المطلوب حسب نظرته، ومنها: إنشاء الجمعيات مثل جمعية التأليف والتقريب بين الأديان السماوية، والجمعية الخيرية الإسلامية، وجمعية إحياء الكتب العربية، ومعهد القضاة، ومنها إصلاح التعليم وإصلاح المدارس وخاصة الأزهر، وإصلاح المحكمة الشرعية، ولكن شك بعض الباحثين في برنامجه الإصلاحي، واتهمه بالتعاطف مع الإنجليز، وقد كتب غازي توبة: "إن هذا الطريق الإصلاحي أو قل إن هذا الأسلوب في معالجة الواقع قد أوقع

www.abulhasanalinadwi.org

محمد عبده في أخطاء سياسية من جهة وانحرافات فكرية من جهة أخرى"[١].

أسلوبه

كان محمدعبده معجباً بالأسلوب القديم، بعكوفه على دراسة الكتب القديمة، وشغفه بعلم الكلام، وكتب البلاغة، والنحو، لكنه تحول إلى الأسلوب المرسل بتوجيه السيد جمال الدين الأفغاني، وقد تغير أسلوبه برئاسة تحريره في "العروة الوثقى"، فأصبح داعياً إلى الأسلوب المرسل، وأنشأ جيلاً من الكتاب في الأسلوب الحديث، فكان بحق رائد هذا الأسلوب[٢].

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"وعني الشيخ محمد عبده بإصلاح أساليب اللغة العربية، وقد دعا إلى تدريس كتب المتقدمين الذين كانوا أصحاب الذوق الأصيل، وكان سبباً في نهضة لغوية أدبية في مصر، وتحول الكتابة من كتابة مسجوعة سخيفة إلى كتابة مرسلة جميلة، وخلف مدرسة فكرية تأخذ بتعاليمه في الأقطار الإسلامية المختلفة".

نموذج من أسلوبه

كتب في سنة ١٨٧٦م في إحدى مقالاته في صحيفة "الأهرام":

"لما انتشر نوع من الإنسان في أقطار الأرض، وبعد ما بينهم في الطول والعرض، مع ما بينهم من المعاملات، ومواثيق المعاهدات، احتاجوا إلى التخاطب في شؤونهم، مع تنائي أمكنتهم، وتباعد أوطانهم، فكان لسان المرسِل إذ ذاك لسان البريد، وما يدريك هل حفظ ما يبدئ المرسل وما يعيد، وإن حفظ هل يقدر على تأدية ما يريد بدون أن ينقص أو يزيد، أو يبعّد القريب، أو يقرب البعيد".

وفي عام ١٨٨١م كتب في جريدة "العروة الوثقى" في أمر الشورى:

"معلوم أن الشرع لم يجئ ببيان كيفية مخصوصة لمناصحة الحكام،

١- الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقديم للأستاذ غازي توبة ص: ٣٣ دار القلم بيروت، لبنان.

٢- الأدب العربي المعاصر شوقي ضيف.

www.abulhasanalinadwi.org

ولا طريقة معروفة للشورى عليهم، كما لم يمنع كيفية من كيفياتها الموجبة لبلوغ المراد منها، فالشورى واجب شرعي، وكيفية إجرائها غير محصورة في طريق معين".

يقول الشيخ محمد عبده في رسالة له إلى أحد إخوانه وهو في سجن القاهرة بعد أن اتهم بالاشتراك في حوادث الثورة العرابية، وذلك في ٩ من المحرم سنة ١٣٢٠هـ الموافق ٢٠ من شهر نوفمبر سنة ١٨٨١م:

عزيزي:

تقلدتني الليالي وهي مدبرة
كأنني صارم في كف منهزم

هذه حالتي: اشتد ظلام الفتن حتى تجسم بل تحجر، فأخذت صخوره من مركز الأرض إلى المحيط الأعلى، واعترضت ما بين المشرق والمغرب، وامتدت إلى القطبين، فاستحجرت في طبائع الناس! إذ تغلبت طبيعتها على المواد الحيوانية أو الإنسانية، فأصبحت قلوب الثقلين كالحجارة أو أشد قسوة فتبارك الله أقدر الخالقين.

رأيت نفسي اليوم في مهمه.لا يأتي البصر على أطرافه، في ليلة داجية، غطي فيها وجه السماء بغمام سوء، فتكاثف ركاما، لا أرى إنساناً، ولا أسمع ناطقاً، ولا أتوهم مجيباً:

أسمع ذئاباً تعوي، وسباعا تزأر، وكلاباً تنبح، كلها يطلب فريسة واحدة، وهي ذات الكاتب، والتف على رجلي تنينان عظيمان، وقد خويت بطون الكل، وتحكم فيها سلطان الجوع، ومن كانت هذه حاله فهولا ريب من الهالكين.

تقطع حبل الأمل، وانفصمت عروة الرجاء، وانحلت الثقة بالأولياء، وضل الاعتقاد بالأصفياء، وبطل القول بإجابة الدعاء، وانفطر من صدمة الباطل كبد السماء، وحقت على أهل الأرض لعنة الله والملائكة والأنبياء والناس أجمعين.

www.abulhasanalinadwi.org

سقطت الهمم، وخربت الذمم، وغاض ماء الوفاء، وطمست معالم الحق، ومزقت الشرائع، وبدلت القوانين، ولم يبق إلا هوى يتحكم، وشهوات تقضي، وغيظ يحتدم، وخشونة تنفذ، تلك سنة الغدر، والله لا يهدي كيد الخائنين.

ذهب ذوو السلطة في بحور الحوادث الماضية يغوصون لطلب أصداف من الشبه، ومقذوفات من التهم، وسواقط من اللمم ليموهوها بمياه السفسطة، ويُغشوها بأغشية من معادن القوة ليبرزوها في معرض السطوة، ويغشوا بها أعين الناظرين، لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه، أو لمستور يكشفونه، أو لحق خفي فيظهرونه، أو خرق بدا فيرتقونه، أو نظام فسد فيصلحونه، كلا بل ليثبتوا أنهم في حبس من حبسوه غير مخطئين"[١]

ΔΔΔ

www.abulhasanalinadwi.org

مصطفى لطفي المنفلوطي

١٢٩٣-١٣٤٣هـ (١٨٧٦-١٩٢٤م)

نشأته وحياته

ولد مصطفى بن محمد لطفي المنفلوطي سنة ١٨٧٦م في بلدة "منفلوط" بصعيد مصر، لأسرة مصرية معروفة بالشرف والحسب، ونشأ في بيت كريم بالدين، وجليل بالفقه، توارث أهله منصب القضاء، وحفظ القرآن الكريم في الكتاب كعادة أقرانه من أبناء الريف. ثم انتقل إلى القاهرة، ودخل الأزهر، ومكث به عشر سنوات، يدرس ويحصّل، وكان في طبعه ميالاً إلى الأدب، فدرس كتب الأدب بنفسه، فهو يحفظ الأشعار، ويتصيد الشوارد، ويصوغ القريض، وينشيء الرسائل، ثم انضم إلى حلقة الشيخ محمد عبده الذي كان يدرس حينذاك في الأزهر للطلاب كتابي عبد القاهر الجرجاني في البلاغة "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" ولزم دروسه، فأفاد من معارفه، ونال شهرة في الأزهر بذكاء القريحة، وروعة الأسلوب.

الكتب المفضلة لديه

درس "العقد الفريد" و "الأغاني" و "زهر الآداب" و"دواوين المتنبي"، و"البحتري" و"أبي تمام"، و"الشريف الرضي"، و"ابن الرومي"، و"أبي العلاء"، وقرأ كتب عبد الحميد، وابن المقفع، والجاحظ، وابن خلدون، وبديع الزمان الهمذاني، وابن الأثير، كما قرأ كتب النقاد: الآمدي، والباقلاني، وعياض، وغيرهم ممن تناولوا وصف الكلام الجيد، وله كتاب "مختارات المنفلوطي" فيه منتخبات لمن سميناهم.

وبعد وفاة الشيخ محمد عبده عاد المنفلوطي إلى منفلوط، ومكث

www.abulhasanalinadwi.org

بها سنتين، يراسل صحيفة " المؤيد" بأسبوعياته، ثم عاد إلى القاهرة، وكان من المعجبين به سعد زغلول باشا، فرفعه سعد إلى مناصب الحكومة، حينما تولى وزارة المعارف، عينه محرراً عربياً لوزارته، ولما انتقل سعد إلى وزارة العدل نقله معه وولاه فيها مثل هذا المنصب، ولكنه لم يظل في الوظيفة، فقد فصل منها بعد خروج سعد زغلول من الوزارة، وظل يكتب في الصحف، حتى إذا قام البرلمان سنة ١٩٢٣م عينه سعد رئيساً لفرقة كتاب مجلس الشيوخ، وظل في هذا المنصب حتى وافاه الأجل.

أخلاقه

كان رضي الطبع، هادئاً، رزيناً، فيه شيء من الانقباض، رقيق الفؤاد، يتألم بمآسي الإنسان، وآلامه، كان يكره الاحتلال الإنجليزي، والحضارة الغربية، ويدافع عن الحضارة الشرقية بحماسة، وكان سليم القلب، وصحيح العقيدة، وكان فيه طموح .

آثاره

ترك المنفلوطي آثاراً كثيرة منها :

١. النظرات، ثلاثة أجزاء
٢. العبرات، مجموعة قصص
٣. الشاعر أو سيرا نودي برجراك
٤. الفضيلة، أو بول وفرجيني
٥. في سبيل التاج
٦. مجد ولين أو تحت ظلال الزيزفون

وللمنفلوطي شعر قليل، وله "مختارات المنفلوطي" وهي لطلاب المدارس.

موضوع المنفلوطي

عني المنفلوطي بالأمراض الاجتماعية خاصة في إصلاح الأخلاق، وتطهير المجتمع من المفاسد، وصور البؤس، والشقاء، والاستغلال، وذكر

www.abulhasanalinadwi.org

الانتحار، وسوء تصرف المترفين، وله أبحاث أدبية، ونقدية كذلك، وهو ينتقد انحراف الأدب الحديث.

وتحتوي مباحثه على فصول ورسائل، وكلمات متعددة الأغراض منها الاجتماعية، ومنها الإسلامية، ومنها الأدبية، ومنها الرثائية، ومنها القصصية، وكلها مجتمعة في كتابيه "النظرات" و"العبرات" وكتب في أدوار الشعر العربي، وفي تعريف الشعر، وفي نقد حافظ وشوقي، وفي نقد النحاة وجهودهم، والكتاب وغموض بيانهم، واعتني بالقصة اعتناءاً كبيراً.

أسلوبه

كان المنفلوطي أديباً موهوباً، وحظ الطبع فيه أكثر، ويتسم أسلوبه بالطلاوة والعذوبة، والرصانة، واللفظ المختار، والتصوير الفني، والاتزان بين العبارة، ويميل إلى الإطناب والتفصيل، وسمته الغالبة العاطفة و الانفعال.

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي عن المنفلوطي:

"وهو أديب مطبوع يرسل النثر حلواً مرسلاً، محبوكاً، كان دقيق الحس، رقيق العاطفة، رشيق القلم، سهل البيان، حلو العبارة، مشرف الديباجة".

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد:

"إن المنفلوطي يعرف بمكانته الأدبية العامة، فلا يعرف له نظير بين أعلام الأدباء الناثرين من مطلع النهضة الكتابية قبل مولده إلى ما بعد وفاته، فليس بين أدبائنا الناثرين من استطاع أن يقرب بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الكتابة كما استطاع صاحب النظرات، والعبرات، فربما ذهب القصد في الكتابة بجمال الإنشاء في أساليب الناثرين المجيدين، وربما ذهب الأسلوب" الإنشائي" الجميل بالمعنى المقصود في كتابة أدباء الفكر والتعبير، ولكن المنفلوطي ـ قبل غيره ـ هوالذي قارب بين الجمال والصحة على نسقه الفصيح في سهولة لفظ ووضوح معنى وسلاسة نغم، وهو لا يبلغ مبلغ

www.abulhasanalinadwi.org

التبرج بالصقل ، والزينة ، ولا يترك التبرج والزينة ترك المتقشف في مسوح النساك ، وليس لدروس الإنشاء نموذج أصلح من هذا النموذج من وجهته الفنية ، وعن أدبه هذا أقول في بعض فصول "المراجعات".

"إنه أحد الذين أدخلوا المعنى والقصد في الإنشاء العربي ، بعد أن ذهب منه كل معنى وضل به الكاتبون عن كل قصد.. وكانت الكتابة قبل جيله قوالب محفوظة تنقل في كل رسالة.. وكانت أغراض الكتابة كخطب المنابر تعاد سنة بعد سنة بنصها ولهجة إلقائها. وقد اطلعت على مجموعة وافية مما كتب المنفلوطي للفن وما كتب بغير كلفة ، فكان لكتابته على كلا النمطين المتباعدين طابع الرائد المجاهد في أمثال هذه الرسالة : رسالة التقريب بين حفاوة الإنشاء ورخصة الخطاب وإطراح الكلفة.

ويتمثل طابع الرائد في تباعد الشقة بين موضع الحفاوة وموضع الرخصة مما يكتب للفن ، وما يكتب لخاصة أمره.. فكان المنفلوطي يدبج مقالاته الفنية فلا يفوته موضع العناية بكل كلمة وكل فاصلة ، وكان يكتب رسائله لصحبه ـ ومنهم المتعلمون بل المعلمون ـ فلا يبالي أن ترد فيها أمثال هذه التعبيرات الدارجة : "فيدوني تلغرافيا" أو"مرسول لحضرتكم" أو"تأملوا الاسطوانات حتى لا تكون مستعملة ثم أرسلوها في البوسطة "أو فهموها أن ترسل شهادة المدرسة المتخرجة فيها" ..أو أهديك سلامي"أو"تلامذتك بخير يسلمون عليك وأرجو تبليغ سلامي لحضرات الأفاضل إخوانك المعلمين.."

وكلها من شواهد النظر إلى الكتابة الفنية كأنما هي كتابة "الاستعداد والحفاوة" وما عدا ذلك من كتابة الأغراض الخاصة فرخصة العرف فيها أولى من كلفة الاستعداد ، أو كلفة السمعة والحشمة !"

وتعيد إلينا قدرة المنفلوطي على تبسيط الأسلوب الجميل كلمة "أناتول فرانس" التي يقول فيها : "إن البساطة الجميلة هي القدرة على إخفاء الجهد والكلفة ، وإن النور الأبيض بسيط في النظر ، ولكنه أوفر الألوان تركيباً لأنه"توليفة من جميع الألوان[١]

[١]– رجال عرفتهم/عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

www.abulhasanalinadwi.org

نموذج من أسلوبه

يقول وهو يناجي القمر:

أيها القمر المنير:

إنك أنرت الأرض، وهادها ونجادها، وسهلها ووعرها، وعامرها وغامرها، فهل لك أن تشرق في نفسي فتنير ظلمتها، وتبدد ما أظلمها من سحب الهموم والأحزان؟

أيها القمر المنير:

إن بيني وبينك شبهاً واتصالاً، وأنت وحيد في سمائك، وأنا وحيد في أرضي كلانا يقطع شوطه صامتاً هادئاً منكسراً حزيناً، لا يلوي على أحد ولا يلوي أحد عليه، وكلانا يبرز للآخر في ظلمة الليل فيسايره ويناجيه، يراني الرائي فيحسبني سعيداً، لأنه يغتر بابتسامة في ثغري وطلاقة في وجهي، ولو كشف له عن نفسي ورأى ما تنطوي عليه من الهموم والأحزان لبكى لي بكاء الحزين إثر الحزين، ويراك الرائي فيحسبك مغتبطاً مسروراً، لأنه يغتر بجمال وجهك ولمعان جبينك وصفاء أديمك، ولو كشف له عن عالمك لرآه عالماً خراباً، وكوناً يباباً، لا تهب فيه ريح ولا يتحرك شجر، ولا ينطق إنسان، ولا يبغم حيوان.

أيها القمر المنير:

كان لي حبيب يملأ نفسي نوراً، وقلبي لذة وسروراً، وطالما كنت أناجيه ويناجيني بين سمعك وبصرك، وقد فرق الدهر بيني وبينه، فهل لك أن تحدثني عنه، وتكشف لي عن مكان وجوده؟ فربما كان ينظر إليك نظري، ويناجيك مناجاتي، ويرجوك رجائي.

وهأنذا يخيل إليّ أرى صورته في مرآتك، وكأني أراه يبكي من أجلي كما أبكي من أجله، فازداد شوقاً إليه، وحزناً عليه.. فابق مكانك طويلاً تطل وقفتنا، ويدوم اجتماعنا.

أيها القمر المنير:

www.abulhasanalinadwi.org

ما لي أراك تنحدر قليلاً قليلاً إلى مغربك كأنك تريد أن تفارقني وما لي أرى نورك الساطع قد أخذ في الانقباض شيئاً فشيئاً، وما هذا السيف المسلول الذي يلمع من جانب الأفق على رأسك؟

قف قليلاً، لا تغب عني، لا تفارقني، لا تتركني وحيداً، فإني لا أعرف غيرك، ولا آنس بمخلوق سواك.

آه، لقد طلع الفجر، ففارقني مؤنسي، وارتحل عني صديقي، فمتى تنقضي وحشة النهار، ويقبل إليّ أنس الظلام!![1]

ويقول وهو يرثي لولده، متأثراً لما سقاه من الدواء، والموت يقتطع الحياة من بين جنبيه قطعة قطعة:

"لقد كان خيراً لي ولك يا بني أن أكِلَ إلى الله أمرك في شفائك ومرضك، وحياتك وموتك، وأن لا يكون آخر عهدك بي في يوم وداعك لهذه الدنيا تلك الآلام التي كنت أجشمك إياها، فلقد أصبحت أعتقد أنني كنت عوناً للقضاء عليك، وأن كأس المنية التي كان يحملها لك القدر في يده لم تكن أمرَّ مذاقاً في فمك من قارورة الدواء التي كنت أحملها في يدي".

ويقول وهو يصف البعوض ومن يشبهه من الناس:

"البعوض سيء التصرف في شؤون حياته، لأنه لا يسقط على الجسم إلا بعد أن يدل على نفسه بطنينه وضوضائه، فيأخذ الجالس منه حذره، ويدفعه عن مطلبه، أو يفتك به قبل بلوغه إليه، فمثله في ذلك كمثل بعض الجهلة من أصحاب المطالب السياسية، يطلبون المآرب النافعة المفيدة لأنفسهم ولأمتهم، غير أنهم لا يكتمونها، ولا يحسنون الاحتفاظ بها في صدورهم، ولا يبتغون الوسيلة إلا بين الصراخ والضجيج، ولا يمسكون بالحلقة الأولى من سلسلتها حتى يملأوا الخافقين بذكرها، ويشهدوا الملأ الأعلى والأدنى عليها، وهناك يدرك عدوّهم مقصدهم فيعدّ له عدّته، ويتلمس وجه الحيلة في إفساده عليهم هادئاً ساكناً من حيث لا يشعرون".

[1]- النظرات ج ١

www.abulhasanalinadwi.org

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠-١٩٣٧م (١٢٩٨- ١٣٥٦هـ)

عصره

عاش مصطفى صادق الرافعي عصراً مليئاً بصور التحول المصيري للشعوب، وتغيرت فيه كثير من مفاهيم الفكر، والسياسة، والاجتماع، وتضاريت الآراء والاتجاهات، بتأثير الحريات التي توافدت مع الحضارة الغربية، توزعت المذاهب، وتفرقت المسالك، وسلكت الأمم طرائق قدداً في الحياة المعاصرة.

وازداد اتصال الغرب بالشرق، وإهتمامه به، وتبادل بينهما التراث، وتنافس العالم في الأخذ والعطاء، والتطلع إلى آفاق واسعة في الفكر، والأدب، بما كانت تمتد به أسباب النهضة من مخترعات العلوم، ومبتكرات الفنون، كما أشار إلى ذلك الدكتور عمر الدسوقي في كتابه "في الأدب الحديث".

أسرته

يرجع نسبه إلى أسرة معروفة في طربلس الشام، نزح أحدها إلى مصر، واستقر فيها، ثم تبعه غيره من هذه الأسرة، واستوطنوا وادي النيل، ومنهم والده عبد الرازق، واشتغلوا فيها بالقضاء الشرعي، فكان والده رئيساً للمحاكم الشرعية في كثير من أقاليم مصرية، وقد عين أحد أفراد أسرة الرافعي وهو الشيخ عبد القادر الرافعي مفتياً بعد الإمام محمد عبده، فالبيئة التي نشأ فيها الرافعي كانت بيئة إسلامية عربية.

نشأته وحياته

ولد مصطفى صادق بن عبد الرازق بن محمد بن سعيد بن أحمد بن

www.abulhasanalinadwi.org

عبد القادر الرافعي في بهتيم إحدى قرى محافظة القليوبية في يناير من عام ١٨٨٠م، الموافق ١٢٩٨م، حفظه أبوه القرآن الكريم صغيراً ولقنه كثيراً من العلوم الإسلامية قبل أن يذهب إلى المدرسة، ثم تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة دمنهور الابتدائية.، ثم في المنصورة، وحصل على الشهادة الابتدائية في السنة السابعة عشرة من عمره عُين على أثرها كاتباً في محكمة طنطا الأهلية، ثم أصيب بمرض شديد خلف أثره البالغ على رأسه وصحته، ثم تطور المرض ليصيب أذنه فاشتدت آلامه وتزايدت معوقاته، فضعف سمعه حتى انتهى به الأمر إلى الصمم، وهو في سن الثلاثين من عمره.

وبعد إصابته بالصم تعذر على الناس مخاطبته إلا بالكتابة إليه، فانقطع الرافعي إلى دراسة الكتب يعوض بها ما فاته في الدراسة في معاهد التعليم، فكسب من العلم والمعرفة ما لم يحصل كثيرون ممن واصلوا دراساتهم التعليمية في المدارس و الجامعات، وتفيد كتب التراجم وبعض من أرخوا لسيرته أنه ظل في محكمة طنطا إلى نهاية حياته، عاكفاً على الدراسة والبحث والتحقيق في مكتبة أبيه الحافلة بكتب الفقه والدين، واللغة، والآداب وبخاصة دواوين الشعر وكتب التراث الإسلامي، الأمر الذي زوده بثقافة واسعة متنوعة، فكان يكتب المقالة، والرسالة، والقصيدة، والدراسة النقدية والمقالة الصحفية، ويؤرخ لآداب العرب، وتراثهم، وغير ذلك من فنون المعرفة التي تضمنتها آثاره النفيسة المتعددة المذاقات والاتجاهات .

فكان الرافعي أديباً حقاً، وشاعراً أصيلاً مطبوعاً، طلع نجمه في بداية القرن العشرين.

عاش الرافعي طوال حياته موظفاً صغيراً يتقاضى راتباً ضئيلاً يعيش عليه بقناعة لأن الوظيفة في حياته كانت وسيلة تعينه على العيش بالكفاف ليفرغ لنفسه بعد ذلك، يقودها إلى العليا في مراتب الثقافة والأدب والفكر ليتسنم قممها العالية ويمثل مكانته اللائقة به بين كبار أدباء عصره.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أشاد بمكانته في الأدب وقرظه محمود سامي البارودي رائد الشعر الحديث، والكاتب الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي والإمام محمد عبده.

في مجال التأليف

نشر الرافعي الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٢م والجزء الثاني عام ١٩٠٣م وقرظهما محمود سامي البارودي، والجزء الثالث عام ١٩١٢م، وقرظه شاعر النيل حافظ إبراهيم، وكان الرافعي قد نشر ديواناً من الشعر باسم "النظرات" عام ١٩٠٨م، غير الديوان المذكور أعلاه، ويدل هذا الديوان على ملكة في الشعر أصيلة وموهبة ناضجة.

وفي سنة ١٣٢٩هـ مال الرافعي إلى النثر الأدبي، فأتى في هذا المجال بأعمال باهرة، استوجبت الثناء والتقدير.

يقول سعد زغلول عن أدبه وبيانه "بيان كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الكريم".

ومن بواكيره تاريخ آداب العرب في ثلاثة أجزاء، يشتمل كل جزء منها على بضعة أبواب، نشر جزأه الأول سنة ١٩١١م، وفي العام التالي نشر جزأه الثاني وجعله في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ثم نشر كتابه "حديث القمر" سنة ١٩١٢م، وكتابه "المساكين" عام ١٩١٧م، ثم كتاب "رسائل الأحزان" ثم كتاب "السحاب الأحمر" ثم نشر كتابه "أوراق الورد" عام ١٩٢٤م، وكتبه الأربعة "حديث القمر" و"رسائل الأحزان" و"السحاب الأحمر" و"أوراق الورد" في الحب والزواج والمرأة والجمال.

وخاض الرافعي المعركة بين القديم والجديد التي أثارها الدكتور طه حسين، ببحوثه ومقالاته، فألف الرافعي في هذه المعركة كتاب "تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد"، وقد هاجم في كتابه هذا كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين، وهاجم في كتابه "على السفود" المجددين من الشعراء.

www.abulhasanalinadwi.org

وكتب في "الرسالة" التي كان يصدرها الدكتور أحمد حسن الزيات، فشارك فيها بعدد من المقالات ثلاث سنوات (١٩٣٤ - ١٩٣٧م) وقد جمعت هذه المقالات في كتاب "وحي القلم".

لقد أدى الرافعي دوراً كبيراً في الدفاع عن حمى الإسلام وحمى التراث وحماية حصوننا المهددة أو المهدمة من داخلها، ووقف أمام تيار التغريب في الأدب العربي، وكافح المذاهب الفكرية والأدبية الدخيلة.

موقفه من الحضارة الغربية

يقرر الرافعي أن الحضارة الغربية أطلقت حرية العقل فتقدمت وأطلقت حرية الغرائز والأهواء، فضلت وأضلت، فيقول:

"فالحضارة الغربية أطلقت حرية العقل تجدد وتبتدع، وأطلقت من ورائها الأهواء تلذ وتتمع وتشتهي، فضربت الخير بالشر ضربة لم تقتل، ولكنها تركت الآثار التي هي سبب القتل إذ لا تزال تمد مدها حتى تنتهي إلى غايتها، وذلك هو السر في أنه كلما تقادمت الأزمنة على هذه الحضارة ضجّ أهلها، وأحدثت عللاً اجتماعية لم تكن فيهم من قبل[1].

ولعب الرافعي دوراً كبيراً في تصحيح مسيرة الأدب العربي حتى لا تنقطع صلة هذا الأدب بتراثه ولا يفقد أصالته، ولا تشوه لغته تحت شعار تسهيل اللغة وقواعدها، أو يدعى إلى العامية بحجة صعوبة الفصحى وعدم صلاحيتها للحياة.

أسلوبه

مصطفى صادق الرافعي أديب راسخ لا يزل ولا ينحرف، وصير في حاذق، كأن كلماته دنانير مصقولة، يلفظ الدر وينفث السحر، قال الأمير شكيب أرسلان، إن العربية لم تنجب مثله من عدة قرون، وقال محب الدين الخطيب في مجلة الفتح:

"من خمسائة سنة وأكثر لم يحمل هذا القلمَ كاتب أمتن في العربية

---

[1]- الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد/ مصطفى نعمان البدري.

www.abulhasanalinadwi.org

قولاً، وأبلغ معنى، وأغزر حكمة، وأوجز في التعبير، عن دقائق الخواطر، من فقيد الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي"[١].

ويقول الأستاذ حسن الأمراني:

"الرافعي منفتح على عصره، متتبع لما ينتجه المنتجون، ويحبره المحبرون، ويبدعه المبدعون، ثم هو مقبل على ذلك إقبال الدارس الحصيف، وينقده فعل الناقد البصير، لا يجور به الهوى، ولا يثنيه تعصب عن الحق، وهو يقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت".

ويقول الدكتور صلاح الدين عبد التواب أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالأزهر:

"يعد الأديب العالم والناقد المتذوق الرافعي واحداً من أفذاذ العلماء العرب والمسلمين في عصرنا الحديث الذين أسهموا بقسط وافر من الدراسات الأدبية والنقدية التي قامت حول قضية الإعجاز في القرآن الكريم" ويعد الرافعي أول من أثار فكرة الإعجاز بالنظم من طريق الإيقاع الصوتي للآيات المحكمات".

ويقول الدكتور وليد قصاب:

"الرافعي أمة في واحد، والخوض في عالمه الأدبي والنقدي، مثل الخوض في بحر متلاطم زخار، وهو يشبه الغوص في أعماق مليئة باللؤلؤ والمرجان، ومهما جهد المبحر في غوصة أو غوصتين، فهل يستطيع أن يحمل إلا أقلّ القليل من هذا البحر الغني".

ويقول الدكتور عبد الحليم عويس كما قال الأستاذ سعد زغلول:

"أسلوبه بيان كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم".

ويقول الدكتور مكارم الديري الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة كلية دار العلوم بجامعة الأزهر:

"ينتمي الرافعي إلى الاتجاه البياني المحافظ في الأدب، والذي اعتمد

[١]- مجلة الأدب الإسلامي، عدد خاص عن مصطفى صادق الرافعي، العددان ٣٤-٤٤، ٢٠٠٤م.

www.abulhasanalinadwi.org

على استلهام النماذج الجيدة التي خلفتها عصور الازدهار الأدبي وجعل هذه النماذج قلباً للتعبير، وكأن أساس هذا الاتجاه: "اعتماد الفصحى في التعبير، ورفض العامية، وضرورة المحافظة على قوانين اللغة، ومميزاتها الخاصة، ورفض التقليد والجمود والتكلف والتعقيد وتطوير القيم التعبيرية".

ويتميز أسلوب الرافعي بالخصوبة والتنوع، والقدرة على الوصف، ووصف الشخصيات، واتجه الرافعي في أسلوبه إلى الشكل القصصي ليذهب الرتابة والملل عن القارئ، ويقدم الفكرة بطريق غير مباشر، وهو راو مليح ومحدث ظريف، ويتلوّن الخيال الأدبي عند الرافعي".

ويقول الدكتور أحمد حسن الزيات:

"الرافعي أمة وحده، لها وجودها المستقل، وعالمها المتفرد، مزاجها الخاص، وأكثر الذين كرهوه هم الدين جهلوه.. إنما يحب الرافعي ويبكيه من عرف وحي الله في قرآنه، وفهم إعجاز الفن في بيانه وأدرك سر العقيدة في إيمانه".

ويقول الدكتور محمد سعيد العريان:

"لقد عاش الرافعي حياته يجاهد لأمته ما لم يجاهد أديب في العربية منذ قرون، وقضى حياته يلقي من العقوق ونكران الجميل ما لم يلق أديب من العربية منذ كانت العربية".

ويتسم شعر الرافعي بالصياغة القديمة على شاكلة البارودي، وقد فسح للغزل في دواوينه كما فسح للتهاني والمشاعر الوطنية والإسلامية، وأحاسيس المرارة من حالة مصر الاجتماعية. ويبعث الرافعي شعور الثقة إلى أبناء وطنه.

وكان يهتم في شعره ونثره بقضية المرأة العربية محذراً لها من المغالاة في تقليد الافرنجيات اللائي لا يَعْصِمْهنّ دين ولا عقيدة، وقد عني مع ذلك بوصف الطبيعة ووصف بعض المخترعات الحديثة.

www.abulhasanalinadwi.org

نموذج من كلامه

"كان القط الهزيل مرابطاً في زقاق، وقد طارد فأرة فانجحرت في شق، فوقف المسكين يتربص بها أن تخرج، ويؤامر نفسه كيف يعالجها فيبتزها، وما عقل الحيوان إلا من حرفة عيشه لا من غيرها، وكان القط السمين قد خرج من دار أصحابه يريد أن يفرج عن نفسه بأن يكون ساعة أو بعض ساعة كالقططة بعضها مع بعض، لا كأطفال الناس مع أهليهم وذوي عنايتهم، وأبصر الهزيل، من بعيد فأقبل يمشي نحوه، ورأه الهزيل وجعل يتأمله وهو يتخلّع تخلع الأسد في مشيته، وقد ملأ جلدته من كل أقطارها ونواحيها، وبسطته النعمة من أطرافه، وانقلبت في لحمه غلظاً، وفي عصبه شدة، وفي شعره بريقاً، وهو يموج في بدنه من قوة وعافية، ويكاد إهابه ينشق سمناً وكدنة، فانكسرت نفس الهزيل، ودخلته الحسرة، وتضعضع لمرأى هذه النعمة مرحة مختالة، وأقبل السمين حتى وقف عليه، وأدركته الرحمة له، إذ رآه نحيفاً متقبضاً طاوي البطن، بارز الأضلاع، كأنما همت عظامه أن تترك مسكنها من جلده لتجد لها مأوى آخر.

فقال له: ماذا بك، ومالي أراك متيبساً كالميت في قبره غير أنك لم تمت، وما لك أعطيت الحياة غير أنك لم تحي، أو ليس الهرّ منا صورة مختزلة من الأسد، فمالك ـ ويحك ـ رجعت صورة مختزلة من الهر، أفلا يسقونك اللبن، ويُطعمونك الشحمة واللحمة، ويأتونك بالسمك، ويقطعون لك من الجبن أبيض وأصفر، ويفتون لك الخبز في المرق، ويؤثرك الطفل ببعض طعامه، وتدللك الفتاة على صدرها، وتمسحك المرأة بيديها ويتناولك الرجل كما يتناول ابنه. . ؟ وما لجلدتك هذا مغيراً كأنك لا تلطعه بلعابك. ولا تتعهده بتنظيف، وكأنك لم ترقط فتى أو فتاة يجري الدهان بريقاً في شعره أو شعرها، فتحاول أن تصنع بلعابك لشعرك صنيعتها، وأراك متزايل الأعضاء متفككاً حتى ضعفت وجهدت، كأنه لا يركبك من حب النوم على قدر من كسلك وراحتك، ولا يركبك من حب

الكسل على قدر من نعيمك ورفاهتك، وكأن جنبيك لم يعرفا طنفسة ولا حشية ولا وسادة ولا بساطاً ولا طرازاً، وما أشبهك بأسد أهلكه ألا يجد إلا العشب الأخضر والهشيم اليابس، فما له لحم يجئ من لحم، ولا دم يكون من دم، وانحط فيه جسم الأسد، وسكنت فيه روح الحمار!

قال الهزيل: وإن لك لحمة وشحمة، ولبناً وسمكاً، وجبناً وفتاتاً وإنك لتقضي يومك تلطع جلدك ماسحاً وغاسلاً، أو تتطرح على الوسائد والطنافس نائماً ومتمدداً؟ أما والله لقد جاءتك النعمة، والبلادة معاً، وصلحت لك الحياة وفسدت منك الغريزة، وأحكمت طبعاً ونقضت طباعاً، وربحت شبعاً وخسرت لذة، عطفوا عليك وأفقدوك أن تعطف على نفسك، وحملوك وأعجزوك أن تستقل، وقد صرت معهم كالدجاجة تسمن لتذبح، غير أنهم يذبحونك دلالاً وملالاً.

إنك لتأكل من خوان أصحابك، وتنظر إليهم يأكلون، وتطمع في مؤاكلتهم، فتشبع بالعين والبطن، والرغبة ثم لا شيء غير هذا، وكأنك مرتبط بحبال من اللحم تأكل منها وتحتبس فيها.

إن كان أول ما في الحياة أن تأكل فأهون ما في الحياة أن تأكل، وما يقتلك شيء كاستواء الحال، ولا يُحييك شيء كتفاوتها، والبطن لا يتجاوز البطن ولذته لذته وحدها، ولكن أين أنت عن إرثك من أسلافك، وعن العلل الباطنة التي تحركنا إلى لذات أعضائنا، ومتاع أرواحنا، وتهبنا من كل ذلك وجودنا الأكبر، وتجعلنا نعيش من قبل الجسم كله، لا من قبل المعدة وحدها؟

قال السمين: تا لله لقد أكسبك الفقر حكمة وحياة، وأراني بإزائك معدوماً بزوال أسلافي مني، وأراك بإزائي موجوداً بوجود أسلافك منك، ناشدتك الله إلا ما وصفت لي هذه اللذات التي تعلو بالحياة عن مرتبة الوجود الأصغر من الشبع، وتستطيل بها إلى مرتبة الوجود الأكبر من الرضى؟

www.abulhasanalinadwi.org

فقال الهزيل: إنك ضخم ولكنك أبله، أما علمت - ويحك - أن المحنة في العيش هي فكرة وقوة، وأن الفكرة والقوة هما لذة ومنفعة، وأن لهفة الحرمان هي التي تضع في الكسب لذة الكسب، وسُعار الجوع هو الذي يجعل في الطعام من المادة طعاماً آخر من الروح، وأن ما عُدل به عنك من الدنيا لا تعوضك منه الشحمة واللحمة، فإن رغباتنا لابد لها أن تجوع وتغتذي كما لابد من مثل ذلك لبطوننا، ليوجد كل منهما حياته في الحياة، والأمور المطمئنة كهذه التي أنت فيها هي للحياة أمراض مطمئنة، فإن لم تنقص من لذتها فهي لن تزيد في لذتها، ولكن مكابدة الحياة زيادة في الحياة نفسها.

وسر السعادة أن تكون فيك القوى الداخلية التي تجعل الأحسن أحسن مما يكون، وتمنع الأسوأ أن يكون أسوأ مما هو، وكيف لك بهذه القوة وأنت وادع قار محصور من الدنيا بين الأيدي والأرجل؟ إنك كالأسد في القفص، صُغرت أجمته ولم تزل تصغر حتى رجعت قفصاً يحده ويحبسه، فصغر هو ولم يزل يصغر حتى أصبح حركة في جلد، أما فأسد على مخالبي ووراء أنيابي، وغيضتي أبداً تتسع ولا تزال تتسع أبداً، وإن الحرية لتجعلني أتشمم من الهواء لذة مثل لذة الطعام، وأستروح من التراب لذة كلذة اللحم، وما الشقاء إلا خلتان من خلال النفس: أما واحدة فأن يكون في شرهك ما يجعل الكثير قليلاً، وهذه ليست لمثلي ما دمت على حد الكفاف من العيش، وأما الثانية فأن يكون في طعمك ما يجعل القليل، غير قليل، وهذه ليس لها مثلي ما دمت على ذلك الحد من الكفاف، والسعادة والشقاء كالحق والباطل، كلها من قبل الذات، لا من قبل الأسباب والعلل، فمن جاراها سعد بها، ومن عكسها عن مجراها فبها يشقى.

ولقد كنت الساعة أختل فأرة انجحرت في هذا الشق، فطعمت منها لذة وإن لم أطعم لحماً، وبالأمس رماني طفل خبيث بحجر، يريد

عقري فأحدث لي وجعاً، ولكن الوجع أحدث لي الاحتراس، وسأغشى الآن هذه الدار التي بإزائنا، فأيُة لذة في السلة والخطفة والاستراق، والانتهاب ثم الوثب شداً بعد ذلك؟ هل ذقت أنت بروحك لذة الفرصة والنهزة، أو وجدت في قلبك راحة المخالسة واستراق الغفلة من فأرة أو جرذ، أو أدركت يوماً فرحة النجاة بعد الروغان، من عابث أو باغ أو ظالم؟ وهل نالتك لذة الظفر حين هولك طفل بالضرب، فهولته أنت بالغض والعقر، ففر عنك منهزماً لا يلوي؟

قال السمين: وفي الدنيا هذه اللذات كلها وأنا لا أدري؟ هلم أتوحش معك، ليكون لي مثل نكرك ودهائك واحتيالك، فيكون لي مثل راحتك المكدودة، ولذتك المتعبة، وعمرك المحكوم عليه منك وحدك وسأتصدى معك للرزق أطارده وأواثبه، وأغاديه وأراوحه، فقطع عليه الهزيل وقال: ياصاحبي، فإن عليك من لحمك ونعمتك علامة أسرك، فلا يلقانا أول طفل إلا أهوى لك فأخذك أسيراً، وأهوى علي بالضرب لأنطلق حُراً، فأنت على نفسك بلاء، وأنت بنفسك بلاء علي.

وكانت الفأرة التي انجحرت قد رأت ما وقع بينهما، فسرها اشتغال الشر بالشر وطالت مراقبتها لهما حتى ظنت الفرصة ممكنة، فوثبت وثبة من ينجو بحياته، ودخلت في باب مفتوح، ولمحها الهزيل، كما تلمح العين برقاً أومض وانطفأ، فقال للسمين: اذهب راشداً فحسبك الآن من المعرفة بنفسك وموضعها من الحياة، أن الوقوف معك ساعة هو ضياع رزق، وكذلك أمثالك في الدنيا، هم بألفاظهم في الأعلى وبمعانيهم في الأسفل...[1]

كتبه

١. تاريخ آداب العرب في ثلاثة أجزاء.١٩١٨م
٢. تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد عام ١٩٢٦م
٣. على السفود، مجموعة مقالات نقدية. ١٩٣٠م

---

[1]- وحي القلم/ للأستاذ مصطفى صادق الرافعي.

www.abulhasanalinadwi.org

٤. حديث القمر/مجموعة فصول من الأدب التأملي ١٩١٢م
٥. رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، ١٩٢٤م
٦. السراب الأحمر، ١٩٢٤م.
٧. أوراق الورد، ١٩٣١م.
٨. كتاب المساكين. ١٩١٧م
٩. وحي القلم في ثلاثة أجزاء
١٠. كلمة كليمة .
١١. ديوان مصطفى صادق الرافعي .

♣♣♣

www.abulhasanalinadwi.org

الأمير شكيب أرسلان

(١٨٦٩-١٩٤٦م)

الكاتب الإسلامي الكبير أمير البيان شكيب بن حمود حسن بن يونس أرسلان، يتصل نسبه بالملك المنذر بن النعمان الشهير بأبي قابوس، أشهر ملوك الحيرة الذي اعتذر له النابغة الذبياني:

أتأني - أبيت اللعن - أنك لمتني
وتلك التي اهتم منها وأنصب

نشاته وحياته

ولد شكيب بالشويفات بلبنان عام ١٨٦٩م، وبدأ التحصيل العلمي بالدرس على أيدي معلمين خصوصيين، حتى بلغ العاشرة من عمره، فانتقل من بلدته إلى بيروت، ودخل "مدرسة الحكمة"، ودرس فيها سبع سنوات، تلقى في أثنائها أصول العربية والفرنسية، ثم انتقل إلى "المدرسة السلطانية"، فتعلم التركية والفرنسية، والألمانية، والإنجليزية وأتقنها، وبعض العلوم الدينية وغيرها، وأفاد من صحبة السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده الذي كان له أثر كبير في حياته وهو الأثر الذي كان من العمق والقوة إلى حد التشكيل الكامل لأهدافه وغاياته في الحياة، ونشأ على حب هذه المدرسة وحب العقيدة الإسلامية، واشتغل بالأدب، والإنشاء، والسياسة من أوائل عمره، والتقى في مصر بأعلام ورواد النهضة وقتها أمثال سعد زغلول، وعلي يوسف، وأحمد زكي، ويعقوب صروف، وحفني ناصف والأمير عمر طوسون، ورشيد رضا، ولما أتم التعليم تولى بعض المناصب الحكومية، وانتخب نائباً عن مقاطعة

www.abulhasanalinadwi.org

"حوران" في عام ١٩٠٨م ، بعد إعلان الدستور العثماني الذي أجرى بعده انتخاب نواب من البلدان العثمانية لمجلس النواب العثماني ، فقصد الآستانة لأداء واجبات النيابة .

كان شكيب من أشد مناصري العثمانيين ، فكراً وكتابة ، وعملاً ، فلما غزت إيطاليا سنة ١٩١١م طرابلس الغرب دفعه ولاؤه للعثمانيين إلى الذهاب لمقاومة إيطاليا الغازية ، فحضر الحرب في طرابلس ، ونفس هذا الولاء هو الذي دفعه في أثناء الحرب العالمية الأولى إلى مناصرة تركيا والدعوة لها ، وكان يكافح الحركة المضادة للأتراك ، ويرفض فكرة انفصال العرب عنهم.

ثم أقام بألمانيا رئيساً للنادي الشرقي ، الذي أسسه عام ١٩١٨م ، وكان من نشاطه في هذه الفترة إصلاح الخلافة العثمانية وتحرير الأوطان الإسلامية ، التي وقعت تحت براثن الاستعمار.

وفي عام ١٩٢١م انتخب سكرتيراً للوفد الذي شكله المؤتمر السوري الفلسطيني ليدافع عن استقلالهما أمام الأمم المتحدة في جنيف .

وبعد سقوط الخلافة تحول ولاؤه وجهده إلى العرب ، وبدأ يسعى لتحرير العرب من الاستعمار الأوربي ، الذي حل محل الخلافة العثمانية. ودافع عن قضية سوريا وفلسطين ، وعمل لتحريرهما من براثن الاستعمار. فانتقل من "برلن" عام ١٩٢٥م حيث كان مقيماً إلى جنيف ، وأقام بها حتى نهاية حياته سنة ١٩٤٦م .

وقد قام أرسلان بأسفار كبيرة إلى البلاد الأوربية ، والشرقية ، ومن البلدان العربية التي زارها أو أقام فيها عدا الشرق العربي : تركيا ، وإيطاليا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وإنكلترا ، وأسبانيا ، وأمريكا وغيرها ، وسجل انطباعاته عن هذه الزيارات ، فكانت ذات ثمار أدبية وسياسية ، وكان دائماً مفاخراً بالمدنية الإسلامية معتزاً بها ، وتتقد فيه الغيرة الدينية ، واستخدم قلمه السيال ، وفكره الفياض ، وعاطفته الوقادة لخدمة

www.abulhasanalinadwi.org

الوحدة الإسلامية، وردّ تُهم الأعداء، وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته، وقد نقل أيضاً عن الآداب الأوربية إلى العربية.

أسلوبه

فالأمير شكيب أرسلان صاحب نثر ونظم، كان له تأثير على الفكر العربي، عالم بالأدب والسياسة، ومؤرخ، ومن أعضاء المجمع العلمي بدمشق، ويمتاز بين كتاب عصره بالرسوخ في اللغة العربية، والتضلع من أمثال العرب، والأساليب القديمة، يعطف على السجع أحياناً، وله في الكلام المرسل إحسان وإبداع، ألف كتباً قيمة، وكتب ألوفاً من الصفحات أحسنها وأشهرها حواشيه على حاضر العالم الإسلامي.

يميل أرسلان إلى الفخامة والجزالة، وأحياناً يستخدم الغريب للتفخيم، وكذلك يميل إلى ابتكار العبارات المجازية، ولكنه يأتي بها متينة جميلة لا تشوبها غرابة، ويمتاز أسلوبه بدقة الوصف، فهو يصور المنظر تصوير فنان لبق.

نقده الأدبي

ولشكيب يد طولى في النقد، لكنه يدافع عن عمود الأدب العربي القديم، ويرد آراء الأجانب في حياة العرب وأدبهم، ولا يقلدهم، ومن نماذج نقده، مقدمته التي صدَّر بها كتاب الغمراوي في الرد على كتاب طه حسين "الأدب الجاهلي".

ويبدو موقفه من قوله في تقديم كتاب خليل السكاكيني "مطالعات في اللغة والأدب"، فيقول: قصارى الأديب العربي اليوم أن يتمكن من إفراغ الموضوع العصري في قالب عربي بحت، لا يخرج باللغة عن أسلوبها.

وقد تصدى لبعض المستشرقين، ونقد جهلهم بأصول العربية، وبين أن هذا الجهل أوقعهم في أخطاء كثيرة. وأنه من الواجب أن لا نجاريهم في كل ما يقولون، بل علينا أن نتحفظ وننظر في أحكامهم بروية ودقة.

وخلاصة القول إن شكيب أرسلان كاتب في الطليعة من كتاب

www.abulhasanalinadwi.org

العرب، الذين جاؤوا بعد عصر الرواد، ونبغوا في النصف الأول من القرن العشرين، فقد حمل من القرن الماضي وأساتذته الشغف بالقدماء، واختبر أحوال القرن العشرين سياسياً واجتماعياً، فصورها بقلم متمكن من اللغة، حريص على أساليب بيانها، فلا بدع أن يلقبه المعجبون به بأمير البيان، كما لقبوا شوقي بأمير الشعراء.

وعرفه خليل مطران بإمام المترسلين فقال عنه: "حضري المعنى، بدوي اللفظ، يحب الجزالة، حتى يستهل الوعورة، فإذا عرضت له رقة ألان لها لفظه فتلك زهرات ندية ملية شديدة الريا ساطعة البهاء، كزهرات الجبل".

ووصفه السيد رشيد رضا بأمير البيان، وقال له السيد جمال الدين الأفغاني حين التقيا: "أهنئ أرض الإسلام التي أنبتتك" وقال فيه الدكتور مصطفى السباعي: سلام عليك أبا غالب، أمير البيان، أمير القلم.

مؤلفاته

١٧٨١ رسالة وخاصة ١٧٦ مقالة في الجرائد.

١. الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ٣ مجلدات
٢. محاسن الساعي
٣. غزوات العرب في فرنسا، وشمالي إيطاليا، وجزائر البحر المتوسط
٤. لماذا تأخر المسلمون؟
٥. الارتسامات اللطاف
٦. رحلة إلى الحجاز
٧. شوقي أو صداقة أربعين سنة
٨. السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة
٩. أناطول فرانس
١٠. حاضر العالم الإسلامي
١١. تاريخ لبنان

www.abulhasanalinadwi.org

١٢. رحلة إلى ألمانيا
١٣. الشعر الجاهلي أ منحول أم صحيح النسبة.
١٤. رواية آخر بني سراج.
١٥. وله ديوان شعر.
١٦. تاريخ العرب في الأندلس
١٧. تعليقات على ابن خلدون

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات قام الأمير شكيب بتحقيق عدة كتب قديمة منها:

الدرة اليتيمة لابن المقفع

رسائل الصابي

مناقب الإمام الأوزاعي

أخبار العصر في انقضاء بني نصر

وله عدة ترجمات: ككتاب أناتول فرانس في مباذله، وآخر ملوك بني سراج.

نماذج من أسلوبه

يقول مفاخراً بالمدنية الإسلامية:

"المدنية الإسلامية هي من المدنيات الشهيرة التي يزدان بها التاريخ العام، والتي تغص سجلاته الخالدة بآثارها الباهرة، وقد بلغت بغداد في دور المنصور والرشيد والمأمون من احتفال العمارة وتناهي الترف والثروة ما لم تبلغه مدنية قبلها ولا بعدها إلى هذا العصر، حتى كان أهلها يبلغون مليونين ونصفاً من السكان".

ويقول وهو يرثي للسيد رشيد رضا واصفاً أيضاً صاحبيه محمد عبده وجمال الدين الأفغاني:

" وهؤلاء المصلحون الثلاثة هم لات هذا الرأى وعزّاه ومناته، والذين بهم سطعت براهينه وبيناته، وقد لقوا في سبيله الأهوال، وتعرضوا

لكيد الرجال، وقيل فيهم ما قيل في غيرهم ممن قبلهم ممن أرادوا الإصلاح ما استطاعوا، فتناولهم أهل عصرهم بقوارص الانتقاد وسلقوهم بألسنة حداد، حتى إذا ما تعاقبت الأعصار أقرت الأمة بفضلهم ورجعت إلى رأيهم، وحصل لهم من الإقبال والحظ بعد الممات، ما لم يحصل في هذه الحياة، فهؤلاء هم الفريق الذي يزداد حياة بعد الممات، وقياماً بعد رفات، وإقبالاً بعد الذهاب، وعلواً بعد المواراة في التراب".

يقول شكيب في مقدمة "غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط":

"ولعمري إن هذا التاريخ المجيد وإن سقته سيول المحابر، واخضرت له أعواد المنابر، وسبقت فيه تآليف استولى أصحابها على الأمد إخراجاً، ولمعت فيه كتب لو لاحت لكانت بروجاً، ولو نضدت لكانت أبراجاً، لا تزال فيه نواقص بادية العوار، ومعالم طامسة الآثار، ومظان متوارية غامضة، ومعلومات قاعدة غير ناهضة، تحتاج إلى همم بعيدة من الأفواج الآتية ليثيروا دفائنها، وإلى معارف واسعة، عند السلائل المقبلة لينثلوا من كفائنها". وعلى هذا النمط سائر مقدماته.

ويقول في وادي ليّة:

"وهو الذي فيه الروض النضير، والماء الغزير، والدوح الكبير، والكروم التي ليس لها نظير، والرمان الذي حبه كحب اليواقيت والذي ذكره في البلاد يسير[1].

ويقول في مياه القطر الشامي:

"وقد أبى الله إلا أن يجعل بإزاء كل سهل حزناً، وأن لا يدع الكمال نصيب شيء في الدنيا، فكثرة المياه في القطر الشامي التي هي مصدر رخائه، مرجع نضارته وبهائه، هي أيضاً سبب وبائه وشدة بلائه، فقد تقرر أن الأوبئة تتفشى في البلاد التي تشرب من الأنهار أكثر مما تتفشى

[1]- الارتسامات اللطاف

www.abulhasanalinadwi.org

بالبلاد التي تشرب من الآبار"[1].

من أقواله وآرائه

"مهما حاولت محو نفسي، وإلقاء ستار الإهمال على تاريخ حياتي، فلن يعدم الميدان أناساً يجولون في هذا الموضوع، فيخبطون خبط عشواء، ويزيدون أو ينقصون بغير علم".. هكذا كتب موضحاً سبب كتابته لسيرة حياته التي جمعها في كتاب مؤلف من مائتي صفحة كبيرة وأودعها في مكتبة المؤتمر الإسلامي في القدس لتنشر بعد وفاته.. وهي متاحة الآن في المكتبات.

سيطرة تيارين:

كان يرى أن تردي العالم الإسلامي وتأخره راجع إلى سيطرة تيارين أحلاهما مر: الجامدين والجاحدين، الجامدون: هم المتمسكون بحرفية التراث، والجاحدون: هم الذين يديرون ظهورهم إلى التراث للحاق بركب الحضارة الغربية، إضافة إلى الواقع المزري المتمثل في الشقاق والخلاف بين المسلمين، فيقول: إني لأجد هذا الشقاق في كل أمة، ولا يخلو منه مكان، وقد وقع بين الصليبيين أنفسهم، ولكن إن كان الشقاق عاماً فلا شك في أن تسعة أعشاره هي عند المسلمين، والعشر الواحد عند سائر الأمم بأجمعها، وإن فسح لي الوقت لأكتبن كتاباً وأسميه: "الفوضى الإسلامية وما جنته على المسلمين"، وقد وفي الرجل بعهده، فكتب كتابه الأشهر "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟" بإيعاز من السيد رشيد رضا بعد عودته من إسبانيا.. وكان قد أتم السبعين من عمره، ويقول في بعض صفحاته:

"إن حالة المسلمين الحاضرة في القرن العشرين لا ترضي أشد الناس تحمساً للإسلام، لا من جهة الدين، ولا من جهة الدنيا، ولا من جهة المادة، ولا من جهة المعنى، فالمسلمون متأخرون عمن يجاورهم ويساكنهم.. إلا في البوسنة وفي روسيا والصين.. إن أسباب الارتقاء في

---

[1]- نفس المصدر.

www.abulhasanalinadwi.org

الماضي كانت عائدة في جملتها إلى الديانة الإسلامية التي جمعت العرب بعد فرقة، وبدلت طبائعهم ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم في أواخر خلافة علي رضي الله عنه لكانوا أكملوا فتح العالم.. وقد نقلهم القرآن من ذل إلى عز ولم يستقلوا إلا بالإسلام، ولكن لم يبق من الإيمان إلا اسمه ومن الإسلام إلا رسمه".

وكان يرى أن سبب تأخر المسلمين هو: "الجهل، والعلم الناقص، وفساد الأخلاق، وتشجيع العلماء الفاسدين، وسكوتهم على الضلال والطغيان، ثم يقول: هذا والعامة المساكين مخدوعون بعظمة عمائم هؤلاء العلماء وعلوّ مناصبهم يظنون فتاواهم صحيحة وآراءهم موافقة للشريعة، والفساد بذلك يعظم، ومصالح الأمة تذهب، والإسلام يتقهقر والعدو يعلو ويتنمر".

ومن أعظم أسباب انحطاط المسلمين في نظره هو: "فقدانهم كل ثقة بأنفسهم... وفي ختام الكتاب وجه الدعوة إلى المسلمين لينهضوا ويتقدموا ويجاهدوا بالمال والنفس، وأن يترقوا كما ترقى غيرهم من الأمم، فهم رجال كما أولئك رجال، ويجب أن يبتعدوا عن التشاؤم والاستخذاء وانقطاع الآمال".

www.abulhasanalinadwi.org

إبراهيم عبد القادر المازني

١٨٨٩م-١٩٤٩م

عصره

كانت مصر لدى ولادته في قلق واضطراب للاحتلال البريطاني، ونشأت في شبابها المتنورين عاطفة التحرر من العبودية، ما أدى إلى نشوء أحزاب سياسية.

ومن الناحية الاجتماعية كان هناك صراع بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية، وبين القديم والجديد، فئة محافظة تتمسك بما ورثته عن الآباء والأجداد، وفئة ثائرة عليه، مندفعة على وجهها مع تيار المدنية الطاغي على البلاد.

وكذلك الأمر في الحياة الفكرية، فالثقافة الغربية الجديدة التي غزت العالم العربي من وراء البحر، فتحت أمام أبنائه آفاقاً واسعة من المعرفة، وحركت فيهم الرغبة في الاستقاء من مناهل العلوم الجديدة، فاندفعوا نحوها، وكان لهذا الاندفاع تأثير واضح على أساليب تفكيرهم والإبانة.

في عصر هذا التطور السياسي والاجتماعي والفكري نشأ المازني وخاض غمار الحياة الأدبية، وأصبح من أعلامها المجددين.

نشاته وحياته:

ولد إبراهيم عبد القادر المازني في القاهرة سنة ١٨٨٩م في بيئة دينية متواضعة، إذ كان أبوه محامياً شرعياً، ولم يحظ طويلاً برعاية أبيه، فقد مات أبوه وهو في سنيه الأولى، فاستولى أخوه الأكبر على مال والده، وبدده، فشب إبراهيم في عيش ضيّق، وحالة ضنك، وعسر مالي، وربته

www.abulhasanalinadwi.org

والدته التي كانت حكيمة ذات حنان وعطف، يقول المازني عنها واصفاً حاله بعد وفاة أبيه: "صارت أمي هي الأب والأم، ثم صارت مع الأيام هي الصديق والروح الملهم".

بعد إكمال دراسته الابتدائية والثانوية طمح إلى الالتحاق بمدرسة الطب، لكنه لم يكد يدخل غرفة التشريح حتى أصابه غثيان شديد، فانصرف عن الطب، وفكر في الالتحاق بمدرسة الحقوق، إلا أن ضيق ذات يده صرفه عنها، والتحق بمدرسة المعلمين حيث أكمل دراسته العالية، ونال شهادتها في عام ١٩٠٩م، وانخرط في سلك التعليم إلا أنه لم يكن ميالاً إلى مهنة التعليم، فيقول:

"صرت معلماً وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك، ولكني لم أفرح بها لأن ذلك كان بكرهي"، وكان قد أراد تعلم الهندسة، فلم يجد لها الوسائل، فعُيّن أستاذاً للترجمة في المدرسة السعيدية، ثم في المدرسة الخديوية، وترجم لتلاميذه قطعاً مختلفة من "كلية ودمنة" إلى الإنجليزية، كما ترجم لهم من هذه اللغة كثيراً من نماذجها التي قرأها لكبار كتابها وشعراءها، وسرعان ما تعرف على "العقاد" وكوّن معه ومع "شكري" الجيل الجديد، واتجه هذا الجيل إلى صنع الشعر على غرار ما يصنع الغربيون شعرهم الغنائي، ونشر "شكري" أول محاولة للجماعة ممثلة في ديوانه "ضوء الفجر"، وأشاد المازني بالمحاولة، وجره ذلك إلى نقد "حافظ" وشعره التقليدي نقداً عنيفاً، واتفق أن كان وزير التربية والتعليم حينئذ ـ أحمد حشمت (باشا) ـ صديقاً لحافظ، فنقل المازني إلى مدرسة العلوم، فغضب وقدم استقالته في سنة ١٩١٣م، وخرج إلى الحياة الحرة، فاشتغل مدرساً مع العقاد بالمدرسة الإعدادية، وظل على ذلك أربع سنوات، أخرج فيها الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩١٤م، ثم الجزء الثاني عام ١٩١٧م، وترك التعليم في سنة ١٩١٩م، وهي سنة الثورة المصرية، واحترف الصحافة والكتابة، وقد رأس تحرير جريدتي "السياسة" و "البلاغ".

www.abulhasanalinadwi.org

ثقافته

لم تنحصر مطالعة المازني على الكتب الدراسية، بل كان طموحاً إلى العلم، فعكف على دراسة نوابغ الأدب العربي في عصوره المتقدمة، يقرأ في كتابات الجاحظ، وكتاب الأغاني، وفي الكامل للمبرد، والأمالي لأبي القالي، وغير ذلك من النثر العربي القديم، كما درس الشريف الرضي، ومهيار، وابن الرومي، والمتنبي، وأضرابهم من الشعراء البارعين، ثم أقبل على الأدب الغربي، والفلسفة الأوربية، فصار ذا ثقافة عالية، قال زميله العقاد: إنه طالع دواوين الشعراء، والكتاب الأوربيين كـ "بيرون"، و"شيلي" و"شكسبير"، وقرأ كتب النقد، وتاريخ الأدب في كتب النقاد الممتازين، كـ هازليت، وآرنولد، وماكولي، وسانتسبري، وطائفة من كتاب المقالة الأدبية والنقدية والاجتماعية أمثال لاي هنت Leigh Hunt وتشار لزلامب، وسويفت، وأديسون، وأحب الروائيين إليه والترسكوت Scott وديكنز Dickens، وثاكري، وكنجزلي Kingsley.

كانت هذه القراءات تحدث أثرها العميق في نفس المازني، فإذا هو ينقلب من شاعر وجداني تطفح نفسه بالمرارة والألم إلى كاتب من طراز ساخر يستخف بالحياة، وبكل من فيها وما فيها من أشخاص وأشياء وأماني وآلام. ويترك المدرسة الإعدادية، وينظم في سلك الصحافة إلى نهاية حياته.

يقول شوقي ضيف:

"وهو في الحق أحد الكتاب الممتازين الذين استطاعوا أن يحدثوا لنا أدبا مصرياً جديدا، وهو أدب مليئ بالفكر والشعور، والسخرية الحادة، وإنه يتميز أيضاً بأسلوب خاص كان لا يتحرج فيه من استخدام بعض الكلمات العامية ما دامت توجد في العربية الفصيحة، وبذلك كان له أسلوبه الشخصي الذي ينفرد به بين معاصريه، لا بخصائصه اللفظية فحسب، بل أيضاً بخصائصه المعنوية، وما فيه من سخرية، وفكاهة

www.abulhasanalinadwi.org

مستملحة[١].

وكان من السابقين إلى الإيمان بفكرة جامعة الدول العربية، فقد كتب في سنة ١٩٣٥م مقالا تحت عنوان" القومية العربية" دعا فيه إلى جمع كلمة العرب وأن تنتظمهم هيئة سياسية واحدة تؤلف بينهم ضد الاستعمار والمستعمرين.

المازني الكاتب

ترك المازني للأجيال العربية كثيراً من النثر والشعر، وله روايات وقصص، ومقالات.

ويصور المازني في مقالاته ما يستوحيه من جوّ بيئته وحياته كالمقالات التالية:

"الصحراء" و"صفحة سوداء من مذكراتي"و" النجاح" و "الأدب ينهض في عصر الشدة "و"رأي في مستقبل الأدب" و"الكتب والخلود "و" القوة الدافعة ومقاومة الجماهير" و"الجمال في نظر المرأة " و" الحدود الطبيعية" و"متاعب الطريق"، و"مجالسة الكتب"و"بين البحر والصحراء".

ففي جميع هذه المقالات تلوح شخصيته للقارئ بين السطور فيراه أمامه بصراحته الدالة على الثقة بالنفس، وسخريته المستخفة بأعراض الدنيا، وثورته على القديم البالي من التقاليد والعادات، وفيما يلي بعض أمثلة توضح أسلوبه في هذا الباب

نموذج من نثره

أطلّ المازني من نافذته فرأى الناس على اختلاف أحوالهم وأشكالهم يمرون أمامه فتنثال إليه الأفكار والخواطر، ويقص علينا ما أثارته في نفسه تلك المناظر:

"وتحت نافذتي اليوم معرض أزياء وأذواق - فإنه الأحد والساعة العاشرة، والنساء كثيرات على الرصيف في حلل شتى، ومع بعضهن

[١]- الأدب العربي المعاصر في مصر، للدكتور شوقي ضيف، ص : ٢٦٤، دار المعارف بمصر ١٩٦١.

www.abulhasanalinadwi.org

حقائب صغيرة، أو سلال فيها على الأرجح طعام وشراب، ومع بعضهن أزواجهن، أو إخوتهن، أو أصدقائهن، وفيهن العجوز والصغيرة والنصف، ولكنهن جميعاً في حفل من الزينة، وليس بينهن مصرية إلا أن تكون عابرة سبيل، ومن أين تجئ المصرية وهي لا تخرج إلا لقضاء حاجة، أو زيارة، أو سينما، أو نحو ذلك، ولا تحسن أن تقضي ساعات الراحة أو يومها أو أيامها إلا في بيتها أو في مباذلها" ولكن هؤلاء نادرات والنادر لا حكم له ولا قياس عليه".

ومعلوم أن الحال قد تغيرت عما كانت عليه يوم أطلّ من نافذة داره، على أن تلك النافذة قد تركت لنا مجموعة طريفة من أقواله.

ويكثر في أحاديث المازني الحوار بينه وبين من يحدثنا عنهم، ولعل ذلك في قصصه أظهر، وحواره كما تقول نعمات أحمد فؤاد: "كسائر كتابته تتمثل فيه البساطة التي لم يعدُ عليها الفن، فلا يتكلف، ولا يتعمل، ولا يفتعل الكلام افتعالاً"[١]

وسواء أرسل المقالة أو قص القصة أو دخل في بحث وتحليل فإنه يأخذك بدقة الوصف، وتحليل العواطف، اسمعه يقول وقد جلس على شاطئ البحر فجاشت في نفسه ذكريات ماضية:

"وغابت الشمس، وانتشرت على الأرض غيابات الطفل، فعدت إلى مقعدي أنظر إلى الموج المشرئب، وجاش صدري مثله، وجعلت طيوف الماضي تبرز من ظلامه وتخطر أمامي، ثم تغيب ويلفّها ما هو أظلم، ولكن طيفاً واحداً ظل ماثلاً لعيني حيثما أدرتها، ومالئاً شعاب نفسي بالإحساس به، ومنادياً لي من زفيف الرياح وتهزّم الأمواج، وفيه وفيّ تمثل الحب المفقود والأمل الضائع، وخامرني هذا الخاطر، وألح عليّ حتى خلتني جثة غريق ردّها الموج الطاغي إلى رمال الشاطئ، ولجّ بي هذا الوهم حتى ملت عن الصخرة إلى الرمال ورقدت عليها، وأومأت إلى

---

[١]- أدب المازني ص ٢٠٩

www.abulhasanalinadwi.org

الأمواج أن اركدي فقد ذهب كل شئ - انتسخ الأمل وغاض معين الحب وجفت الحياة".

نقد المازني

الذي يراجع نقد المازني يجده على نوعين: نوع "اجتماعي" يوجهه إلى بيئته وما يراه فيها من تقاليد بالية، وعادات سخيفة، وتهافت على قشور الحياة دون لبابها، وأما النوع الثاني من نقده فهو "الأدبي" ويظهر في كتابته بمظهرين أولهما دراساته لبعض رجال الأدب القديم، والثاني نقده لبعض الأدباء المعاصرين.

أما دراساته للقدماء فهي مسبوكة بروح نزيهة متعالية عن التعصب والهوى، فإذا نظرت مثلا فيما كتبه عن بشار وابن الرومي والمتنبي وعمر الخيام رأيته يرسم لك كلا منهم في صورة تحليلية، تلذ العقل، ويقدم لك آراءه مشفوعة بالأمثلة والشواهد المقنعة.

أما المعاصرون فهو يختار أسلوب التهجم والهجاء والسخرية؛ فقد تهجم على "حديث الأربعاء" لطه حسين، وشوقي، وعبد الرحمن شكري، ويعزو محمد مندور هذا التهجم والعنف عند المازني إلى ما يسميه "مرض العصر" وهو حالة تنتاب الشباب من تصادم آمالهم بالواقع، فيتولد فيهم السخط والتمرد والشكوى والأنين على أن المازني على حد قول مندور قد أثبت أن هناك وسيلة أخرى لتخليص النفس من هذا العذاب المستحكم وهذه الوسيلة هي الفلسفة الساخرة المستخفة"[١].

المازني في مجال القصة

المازني في قصصه كاتب اجتماعي يستمد من بيئته وألوانها المحلية المصرية محللا شخصيات قصصه تحليلاً نفسياً واسعاً، باسطاً في هذا التحليل وصف علاقات الرجل بالمرأة خلال أحداث وتجارب يومية، وهو

١- محاضرات مندور ص ٣٤. نقلاً عن "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة" للأستاذ أنيس المقدسي.

www.abulhasanalinadwi.org

يتأثر في ذلك بالقصص الأوربي الواقعي التحليلي مما قرأه في الآداب الغربية المختلفة، ويصور ذلك بأسلوبه الساخر، الذي يستمد السخرية فيه من مفارقات الأمزجة واختلاف الطبائع وما يقيمه في القصة من مآزق مختلفة.

شعره

شعر المازني على غرار شعر شكري، ليس فيه سياسة ولا وطنية، ولا دعوات اجتماعية، وإنما هو تجربة نفسية تامة، تجربة تفيض بالألم والكآبة إزاء الطبيعة والتفكير في النفس والحياة الإنسانية ومتاعس البشرية، وقد كان صاحب نفس حساسة، وقد مر بتجربة مريرة في حياته، وأصيب باليتم وهو صغير، وقد أصيب بالعرج إثر حادثة فتبرم من الحياة.

اختير عضواً بمجمع اللغة العربية تقديراً له ولمكانته الأدبية وما بذل من جهود غالية قيمة في الأدب العربي المعاصر، ولم يزل مكباً على التحرير في الصحف وإخراج القصص والأعمال الأدبية حتى وافاه أجله المحتوم في سنة ١٩٤٩م.

مؤلفات عبد القادر المازني

١. حصاد الهشيم، ناقش فيه عن شكسبير، والمتنبي، وابن الرومي، ويترجم بعض رباعيات الخيام.
٢. قبض الريح،صدر عام ١٩٢٧، نقد لآراء طه حسين في الأدب الجاهلي.
٣. صندوق الدنيا، صدر عام ١٩٢٩م، فيه أسلوب ساخر، والدعابة والسخرية.
٤. إبراهيم الكاتب، عام ١٩٣٢م، قصص قصيرة.
٥. في الطريق، عام ١٩٣٦م.
٦. ميدو وشركاؤه.
٧. عود على بدء
٨. ثلاثة رجال وامرأة.

www.abulhasanalinadwi.org

٩. ع الماشي.
١٠. إبراهيم الثاني
١١. من النافذة
١٢. بيت الطاعة، أو غريزة المرأة.
١٣. الشعر.
١٤. شعر حافظ.
١٥. خيوط العنكبوت
١٦. السياسة المصرية والانقلاب الدستوري
١٧. بشارد بن برد .
١٨. رحلة الحجاز .

ترجماته

وللمازني بجانب ذلك جهد ممتاز في ترجمة بعض الذخائر الغربية، ومن أهم ما ترجمه :

"ابن الطبيعة" و"الشاردة" و"مختارات من القصص الإنجليزي"

وهو يعد في طليعة من حذقوا الترجمة والنقل من الآداب الأجنبية، وقد برهن في ترجماته كما برهن في كتاباته أن اللغة العربية مرنة، وأنها تتسع لكل المعاني الحديثة.

www.abulhasanalinadwi.org

محمد حسين هيكل

١٨٨٨- ١٩٥٦م

نشأته وحياته

ولد محمد حسين هيكل في قرية اسمها "كفر غنّام" من أعمال مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية بمصر سنة ١٨٨٨م، وكانت أسرته ريفية مصرية صميمة، وفي مدرسة القرية حفظ القرآن، ثم أرسل إلى القاهرة للتعليم في معاهدها، وهناك أكمل دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة "الجمالية الابتدائية،" ومدرسة" الخديوية الثانوية"، ثم التحق بمدرسة الحقوق حيث درس أربع سنوات، حتى نال شهادتها سنة ١٩٠٩م، ثم قصد فرنسا للتخصص، والتحق بكلية "السوربون" في "باريس"، وفي سنة ١٩١٢م - بعد دخوله السوربون بثلاث سنوات - فاز بالدكتوراه في الحقوق، ورجع إلى مصر، فاشتغل بالمحاماة في مدينة "المنصورة" حيث أنشأ مكتباً للمحاماة، و زاول هذه المهنة مدة عشر سنوات (١٩١٢-١٩٢٢) بكفاءة ومهارة، لكنه بدأ يلقي بعض المحاضرات في الجامعة المصرية الأهلية منذ ١٩١٧م لأنه كان يميل طبعياً إلى الأدب رغم اشتغاله بالمحاماة.

فانصرف إلى دراسة الآثار العربية القديمة، واتصل بلطفي السيد، فنشأت فيه عاطفة إصلاح قومه ومعالجة قضاياه، فأرهف قلمه للكتابة، وخاض به في أمهات الجرائد في سائر موضوعات الحياة، يدعو إلى التجديد، والأخذ بأسباب الحضارة والتقدم.

ودعته الجامعة المصرية إلى إلقاء المحاضرات في كلية الحقوق، فلبى دعوتها بالإضافة إلى مشاغل المحاماة.

www.abulhasanalinadwi.org

ولما قامت الأحزاب السياسية لنيل الحرية خاض محمد حسين هيكل المعركة السياسية، وانضم إلى حزب الأحرار الدستوريين، ولما أصدر هذا الحزب جريدة "السياسة" سنة ١٩٢٢م تولى هيكل رئاسة تحريرها، وبازدياد شغفه بالسياسة ترك المحاماة وانغمس في غمار الحياة الصحافية، والسياسية، وتمتد مرحلة الصحافة والسياسة من سنة ١٩٢٢م إلى ١٩٣٧م.

وفي عام ١٩٣٧م انتقل هيكل من السياسة إلى الخدمة الحكومية، فاختير وزيراً للدولة، ثم وزيراً للمعارف، ثم رئيساً لمجلس الشيوخ سنة ١٩٤٥م، وظل في هذه الرئاسة إلى سنة ١٩٥٠م، و بين الوزارة والرئاسة قضى أكثر من اثنتي عشرة سنة، لكنه احتفظ بشجاعته الأدبية، وتمسكه بمبادئه، بعيداً عن التملق والمداهنة، وأخيراً ترك الوزارة، وكرس وقته كله للأدب، فعكف على دراسة التاريخ الإسلامي، فأصدر سلسلة من الكتب في الموضوعات الإسلامية كـ "حياة محمد" وهو من المحاولات الرائدة لعرض السيرة النبوية بأسلوب علمي معاصر، وقد دفعه إلى التأليف في السيرة الشبهات والمغالطات التي بثها المستشرقون في كتبهم، وقوبل هذا الكتاب في الأوساط العلمية، ونقل إلى لغات مختلفة و"حياة الصديق أبي بكر" و"حياة الفاروق عمر" وأصدر مذكراته، ورواية" هكذا خلقت".

والأستاذ هيكل من روّاد الكتاب في القصة العربية، وقصة زينب التي ألفها تعد من الكتب الأولى في القصة العربية المعاصرة.

مؤلفاته

كتب هيكل في معظم الفنون النثرية، فأنشأ المقالات والفصول من سياسية وأدبية، وألف كتب التاريخ، والسير، والنقد، والرحلات، والقصص، ومن أهم مؤلفاته:

١. "زينب" صدر سنة ١٩٢٤م، وهي رواية ريفية مصرية.
٢. "جان جاك روسو" دراسة في حياته وكتبه، صدر الجزء الأول سنة ١٩٢١م، والجزء الثاني ١٩٢٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

٣. "في أوقات الفراغ" مجموعة رسائل أدبية تاريخية فلسفية أخلاقية، ١٩٢٥م.
٤. "عشرة أيام في السودان" وصف لما رآه في السودان، ١٩٢٧م.
٥. "تراجم مصرية وغربية" دراسات تحليلية لشخصيات تاريخية، ١٩٢٩م.
٦. "ولدى" عواطف وتأملات أوحاها إليه فقد ولده، سنة ١٩٣١م.
٧. "ثورة في الأدب" فصول في النقد الأدبي، سنة ١٩٣٣م.
٨. "حياة محمد" صلى الله عليه وسلم، سنة ١٩٣٥م.
٩. "في منزل الوحي" وصف رحلته إلى الحجاز، سنة ١٩٣٧م.
١٠. : الصديق أبو بكر" سنة ١٩٤٣م.
١١. "الفاروق عمر" سنة ١٩٤٦م.
١٢. "مذكرات في السياسة المصرية" سنة ١٩٥١م.
١٣. "هكذا خلقت" قصة من صميم حياة مصر المدنية، سنة ١٩٥٤م.

موقف هيكل إزاء الحضارة الغربية: الوسطية

هيكل ليس من الدعاة إلى تقليد الغرب كلياً، كما يراه طه حسين وسلامة موسى وغيرهما من الكتاب، وإنما يقف إزاءه في الوسط، فهو يدعو إلى أخذ ما يليق أخذه من حضارة الغرب، في أرضية شرقية. فهو يرى أن يتم غرس الحضارة الغربية في أرض الشرق، فتنمو نمواً طبيعياً ملائماً لطبيعة الحياة الشرقية، وهو يؤمن بحرية الشرق، ويدافع عن إصلاح الأوضاع الفاسدة في الشرق، كذلك أسلوب كتابته ليس غربياً ولا قديماً بل أسلوب يحمل مزايا الأسلوبين بامتزاج عادل، وقد وصف طه حسين أسلوبه بأسلوب معتدل، فقال: .

وهو يشير إلى الركود الذي كان يسود الأدب في أوائل عهد هيكل:

"وكان هيكل كما كان بعض زملائه يحاولون أن يخرجوا من هذا الركود الأدبي، وألا يقلدوا قديماً ولا يقلدوا جديداً، وأن ينشؤا في مصر

www.abulhasanalinadwi.org

أدباً مصرياً لا يخرج عن اللغة العربية الفصيحة السمحة، ولا يتورط في الابتذال في المعاني ولا في هذا التكلف القديم، تكلف الجناس والاستعارة وفنون البديع.

ويقول: أشهد أن هيكل من أبرع الجيل الذي نشأ فيه فما أسرع ما استكشف شخصيته، وما أسرع ما فرضها على الذين يقرأونه وما أسرع ما فرضها على العصر الذي عاش فيه".

المادة والروح

إنه كان رجل مثل ومبادئ، وعقيدته لا تحيد ولا تتغير، وكان مبدأه أن الإصلاح تطور مستمر، لا تغير عنيف مفاجئ، وقد عبر عن هذا المبدأ في روايته، "هكذا خلقت".

ومن طبيعة هيكل أداء الواجب، وكان ذلك دأبه في حياته المهنية والصحافية والسياسية، كما كان في المناصب الحكومية وما فوضته إليه من مسئوليات عمومية، فمهما كانت المغريات لم يضعف عزمه أمامها، ولم ينحرف لأجلها عن القيام بما يطلب منه على أحسن وجه.

وفي شؤون الحياة يميل هيكل إلى التفاؤل، وهو من المؤمنين بالمثل العليا التي تضعها الشرائع الإلهية لتنير للإنسان سبيل الحياة الفضلى، وكان طوال حياته يعتقد بقوة روحية، تدبر الكون وتسيره نحو الخير الأعظم، ومثل هذا الاعتقاد يملأ الإنسان بروح الثقة، والرجاء، ويحفزه إلى العلم والكفاح، ومكافحة كل ما يقف عثرة في سبيل التقدم.

وكان هيكل يعتمد العقل في كل شيء، فالتجديد عنده سواء أكان في اللغة أوفي العادات أو المعتقدات، يجب أن يكون مبنياً على أساس عقلي راهن، لكي يأتي بالثمار المطلوبة، وكان متزن التفكير، لا يسمح العاطفة أن تغلب على العقل.

يرى هيكل أن الأدب رسالة لها قيمة وتأثير، فيجب على الأديب حسن استخدامه، ويدعو هيكل إلى "الأدب الذي يقتحم الحياة حراً طليقاً

www.abulhasanalinadwi.org

غير هياب ولا متردد ـ الأدب الحريص على الحق الذي هو صلة الإنسان بالوجود كله ـ بهذه الأفلاك التي نرى، وبهذه السماوات التي تغمرها، وبالروح الفياض بالضياء، والذي يحيط بذلك كله - ويبعث إليه الحياة والنور، وصلة الإنسان بالوجود، وبهذا الروح الذي ينظم الوجود جميعاً، هي الحقيقة العليا التي يجب أن تكون محجّ كل باحث، وكل كاتب، وأن تكون رسالة كل أدب يطمح في أن تقوم على أساسه حضارة سليمة تكفل للإنسانية المجد والسعادة[1].

أسلوبه

يمتاز أسلوبه بدقة الوصف، وتصوير المشاعر، والاتزان في التحليل، والسهولة والبلاغة التي لا تكلف فيها.

نموذج من أسلوبه

يصف هيكل في روايته "زينب" وهي باكورة إنتاجاته الأدبية كتبها في باريس يوم كان يتخصص في الحقوق:

"هو ذا بطل القصة حامد يجلس أمام النافذة في ليلة ممطرة، وهو ساهد مثقل الصدر، والمطر متتابع لا ينقطع، تتسلى به آذان ذلك الساهر في أحلامه، وحوله في الغرف المجاورة كل مرتاح البال ذاهب في نومه، ثم بعد أن أفرغت السماء جعبتها تبين حامد من الزجاج شعاعاً ينساب في الظلمة الدامسة .. ثم يتقشع السحاب بطيئاً بطيئاً، وأسفر القمر مريضاً ناحلاً. . . وعاود السكون كل شيء، فلم يعد يسمع صوتاً ولا يميز حركة، وكأن ذلك أحدث وحشة في نفس حامد، فانقلب إلى مرقده وقضى بقية ليله بين أحلام لا تنتهي".

ويصف في هذه الرواية المزارع والغيطان، وطلوع الصباح، وغياب الشمس، والترع، وحياة الفلاحين وعواطفهم، وما إلى ذلك.

ويصف شعوره يوم عاد من أوربا إلى مصر وركب القطار إلى القرية

---

[1]- ثورة الأدب، ص: ٢٤١.

www.abulhasanalinadwi.org

التي نشأ فيها:

"فلما ركبت القطار إلى قريتنا، ونزلت منه في محطتها وامتطيت الجواد نحو نصف الساعة بينها وبين منزلنا، وسرت على هذه الطريق وبين هذه المزارع التي شهدت طفولتي واستمتع بها صباي، نسيت أوربا وريفها وأهلها وكل ما فيها، وشعرت بقلبي يتفتح، ونفسي تنتشر في أرجائها السعادة، ووجودي يكاد يطفر من فرط الطرب، وأحسست كأني عدت اختلط بكل فرع، بل بكل ورقة من هذه الأشجار، وبكل قطرة من هذا الماء المتقلب في الترعة، وبكل ذرة من هذا الهواء، هواء قريتنا الصغيرة الجميلة "[١]

وكتاب هيكل "في منزل الوحي" من أهم الكتب التي ألفت في الرحلات الحجازية، تتجلى فيه قدرته للوصف والتعبير عن المشاعر، فيقول وهو يصف مدينة جدة أول ظهورها له وهو في الباخرة:

"اقتربنا من جدة، وبدت لناظرها دورها وعماراتها، وازدادت وضوحاً على رغم نزول الظلام، وكان مظهرها يغري بالظن أنها خططت تخطيطاً جميلاً، وبنيت على الطراز الحديث، وذلك الشأن في كل ما يبدو، وللمقبل في البحر من مظاهر اليابسة، فإذا اقتحمناه كنا كالجراح إذ يقتحم بمشرطه جسداً جميلاً، وأحسب الذين لم يعرفوا من ذلك ما عرفت قد خدعوا بمظهر جده، وكان من حقهم أن يخدعوا بهذه المباني التي تمتد أمامهم على الشاطيء أميالاً في نظام زاده البعد اتساقاً وجمالاً".

ويقصد الطائف، فيصف الطريق إليها، ويصل مساء إلى حيث كانت تقام قديماً سوق عكاظ، ويقف ليقول:

"وهنا المكان الذي يقولون إنه عكاظ، أما أنا فلم أر شيئاً استطيع أن أتبينه، فقد هبطت كسف الظلام، وانطوى الوجود في دجنة الليل، وكنا في الثلث الأخير من ذي الحجة، فلم أر للقمر في السماء من أثر، ولم

---

[١]- ثورة الأدب ص : ١١٤.

www.abulhasanalinadwi.org

تكن النجوم لتكشف من غطاء الليل شيئاً، وهذه الأودية الصامتة في رابعة النهار هي الساعة أشد صمتاً ومهابة".

والذي يلاحظه الناظر في كتابته الوصفية أن أروعها ما يتناول الصور المعنوية أو المشاعر النفسية، فها هو مثلاً يزور غار حرا في الحجاز، فتهتز نفسه لديها لذكرى النبي صلى الله عليه وسلم، ونزول القرآن عليه، ويتخطى بذهنه القرون إلى الماضي البعيد، وإذا هو مسحور بصورة ذلك اليوم الفذ في التاريخ، إذ يتراءى له النبي بعين الخيال متمدداً في الغار وكأنه يسمع صوت الملك إذ يهيب بالنبي أن يقرأ فيتردد وجلاً، ويعود إليه الصوت: أن اقرأ، فيجيبه ماذا أقرأ؟ فيتلو عليه الصوت.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١]

وهنا يقف هيكل متأثراً فيقول:

"خيل إلي وأنا في موقفي من الغار، أني أرى هذا المشهد الفذ، وأني أسمع هذه الأصوات، فصفدني الفزع مكاني، وأقمت أنتظر ما يكون من بعد، فإذا النور الباهر يرتفع، ومحمد في الغار يتصبب عرقاً، ويدور بنظراته فيما حوله، ويهتز مضطربا من رأسه إلى أخمصه، ثم يفرك ويمسح بيده جبينه العريض، المضيئ سمة من يخشى مكروهاً أصابه، ويزداد به الرعب، فينطلق من الغار هائماً في شعاب الجبل لعل في هوائه ما يدفع عنه روعه.

ها هو ذا يقف منصتاً كأنما يناديه مناد من السماء - إنه الصوت الذي كان يحدثه في الغار - وهو يحدق في مصدر الصوت ويرى صاحبه فيزداد فزعاً، ويقفه الرعب مكانه، ويلقي بنظره إلى الجبل، ويصرف وجهه يمنة ويسرة، ثم لا ينفك يسمع ويرى، ليست حواسه إذن مصدر

[١]- العلق: ١-٥

www.abulhasanalinadwi.org

سمعه ورؤيته ، إنما مصدرها روحه.

وهذا الصوت الذي اتصل به هو صوت الروح الأمين ، ما أشد هذه الساعة هولاً ، وهي مع ذلك للإنسانية ساعة النور والرحمة والهدى[١]".

▣ ▣ ▣

[١]- منزل الوحي- محمد حسين هيكل.

www.abulhasanalinadwi.org

عباس محمود العقاد

١٨٨٩م-١٩٦٤م

نشأته وحياته

ولد عباس محمود العقاد في "أسوان" سنة ١٨٨٩م في أسرة متوسطة، وكان أبوه أميناً للمحفوظات، وقد تلقى دراسته الابتدائية في كتاب بلدته، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، فالمدرسة الثانوية، وكان في منتهى الذكاء والمواهب منذ حداثته، وشغوفاً بالمطالعة، وطموحاً إلى نيل منزلة عالية من العلم والمعرفة، وسافر إلى القاهرة وهو في الرابعة عشرة من عمره.

ومال إلى اللغة الإنجليزية منذ وقت مبكر، فأتقنها، ومما دفعه إلى الاهتمام المبكر بالإنجليزية، وجود جالية إنجليزية في أسوان أثناء حملة السودان، وأثناء بناء خزان أسوان، وما استتبعه وجود جالية من مجلات وصحف وكتب وما اقتضاه من وسطاء مترجمين.

ولم يكمل تعليمه في المدارس والمعاهد الرسمية، بل كان منقطعاً عن التعليم النظامي، وعكف على المطالعة، فأخذ يدرس معتمداً على ذوقه، وأتم دراسته معتمداً على ذهنه الخصب، ومطالعته واسعة الآفاق، واتصاله برجال الفكر، تأثر العقاد أول ما تأثر بجريدة "الأستاذ" التي أصدرها عبد الله النديم وقد وجهته هذه الجريدة إلى الكتابة والصحافة، ودرس في هذه المدة "كارليل" "ماكولي"، "هازلت"، "لي هنت"، "آرنولد" وغيرهم من أئمة فنّ المقالة في القرن التاسع عشر. ثم التحق ببعض الوظائف الرسمية ردحاً من الزمن، ثم تركها، وانقطع إلى الصحافة والكتابة.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد مال العقاد إلى حزب الأمة الذي كان يدعو إلى الاستقلال المصري الخالص، وأراد أن يشارك في" الجريدة" لسان حال ذلك الحزب، ولكن لم يجد في أسرتها التعاون والتجاوب مع الطريقة التي يريد، وانحاز إلى جريدة "الدستور" الذي يصدرها محمد فريد وجدي، وراح يحرر فيها إلى أن توقفت عن الصدور، فعاد إلى بلدته، وبعد عامين عاد إلى القاهرة، وبدأ يكتب لمجلة" البيان" التي كان يصدرها عبد الرحمن البرقوقي.

وهناك توثقت علاقته بإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، وصارت هذه الصداقة مدرسة أدبية للشعر والنقد، وبثت هذه المدرسة روحاً جديدة في الشعر الغنائي، ودفعته قدماً نحو تطور واسع، وكان العقاد في آرائه يعتمد على دراسته وذهنه أكثر من اعتماده على التقليد أو النقل.

وفي سنة ١٩١٢م ألحق موظفاً بديوان الأوقاف، ومن عام ١٩١٢م إلى عام ١٩١٤م ظل يكتب فصولاً نقدية في مجلة" عكاظ"، ثم اتجه خلال نشوب الحرب العالمية الأولى إلى التدريس في المدارس الحرة.

وأصدر عبد الرحمن شكري ديوانه عام ١٩١٣م، فقدم له العقاد، كما قدم لديوان المازني الذي أخرجه في سنة ١٩١٤م، وهاجم هؤلاء الثلاثة المدرسة القديمة، تصدى المازني لحافظ إبراهيم في مجلة"عكاظ" سنة ١٩١٤م، وتصدى العقاد لشوقي في كتاب" الديوان" سنة ١٩٢١م.

وأخرج العقاد أول ديوان من دواوينه سنة ١٩١٦م، وتعاقبت دواوينه حتى بلغت أربعة دواوين، وطبعت في سنة ١٩٢٨م مجموعة باسم "ديوان العقاد"، ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عاد العقاد والمازني إلى الصحافة، فحرر العقاد صحيفة "الأهالي" التي أنشأها محمد سعيد باشا رئيس الوزراء لتكون لسان حاله في نهاية الحرب العالمية، ثم تركها وحرر في"الأهرام" وفي غيرها من الصحف والمجلات، ثم تعرف على سعد زغلول، وأصبح كاتب حزب الوفد ولسانه في الجمهور، وكان يكتب

www.abulhasanalinadwi.org

في جريدة" البلاغ" الوفدية.

ثم وصل نائباً إلى البرلمان الذي تشكل برئاسة سعد زغلول عام ١٩٢٦م، وقد أصدر في هذه الفترة كتابه "الحكم المطلق في القرن العشرين".

وشكلت آراء المازني والعقاد، وآراء هيكل وطه حسين اتجاهاً جديداً في دراسة الأدب، ودخل العنصر التحليلي في النقد والأدب ومباحثهما، وكان ذلك سبباً في ظهور ملاحق أدبية للصحف اليومية، فأخرج هيكل "السياسة"، والعقاد مجلة" البلاغ" الأسبوعية، ونتج عن ذلك نهضة أدبية واسعة، وجمعت مقالاتهما في كتب، ونشرت، فنشر العقاد "مجمع الأحياء" و"مراجعات في الأدب والفنون"و"مطالعات في الكتب والحياة" و" الفصول"، ونقل كثيراً من الأفكار الأوربية، وسلّط عليها من شخصيته ما طبعها بطابعه الخاص.

وفي حكم إسماعيل صدقي(١٩٣٠ـ ١٩٣٤م) دخلت مصر في عهد استبدادي ألغي فيه الدستور، والحياة السياسية، فثارت ثائرة كتاب الأحزاب، وعلى رأسهم العقاد، وهاجم العقاد صدقي وانتقده، فبسبب هذا الانتقاد اعتقل العقاد، وحكم عليه بالسجن لتسعة أشهر، و واصل في السجن الكفاح في سبيل بلاده، وبعد خروجه من السجن نشر كثيراً من بحوثه ومقالاته في" المقتطف" و"الهلال".

وهاجم العقاد "معاهدة الصداقة" التي وقعها "مصطفى النحاس" مع الإنكليز سنة ١٩٣٦م في صحيفة "مصر الفتاة"، وفي سنة ١٩٣٨م انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية، وعين عضواً في مجلس الشيوخ، وظل يكتب في جريدة" الأساس" حتى امتنعت عن الظهور.

موضوعاته

كتب العقاد في السياسة، والأدب، والفلسفة، والاجتماع، والتراجم والسير، وقام بتحليل الشخصيات، وقد يجد القارئ له صعوبة في فهم آرائه ولغته، فهو ليس بكاتب الرجل العادي، فيحتاج القارئ إلى

www.abulhasanalinadwi.org

التعمق، فإذا كان قادراً على ذلك وجد اللذة.

وهو واسع الثقافة، والمطالعة، درس الكتاب الغربيين، والعرب القدماء، ومال إلى التحليل، ويجنح إلى العقل أكثر من العاطفة، وهو كثير التأليف، تشكل كتبه مكتبة كاملة في كل فن من الفنون، إلا أن عبقرياته نالت شهرة عامة، وقبولاً كبيراً، وكذلك كتابه في نقد الاشتراكية.

عبقرياته

شهد العالم خلال القرن العشرين يقظة فكرية، تجلت مظاهرها في عودة كثير من الأدباء، والكتاب إلى رحاب الإسلام، والاغتراف من منابعه، وخلع ما سواه، وهؤلاء الأدباء قدموا عدداً كبيراً من الكتب والدراسات الإسلامية، التي اتسمت بعمق الرؤية والتجديد في العرض خاصة أنهم يمتلكون معايير النقد الفني والأدبي، والفلسفي فأمسكوا بناصية البيان وساسوه بمهارة عالية، مما جعل كتاباتهم تحظى بالانتشار والقبول لدى القارئ بمختلف ثقافاته ومشاربه، فكتبوا عن أعلام الإسلام وفرسانه الأوائل، وحظيت شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم بالنصيب الأوفر، من تلك الكتابات، ولعل الحنين إلى رسول الإنسانية الأعظم صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على الكتاب والأدباء المسلمين فحسب بل تخطاهم إلى غيرهم من أصحاب الملل والديانات والأجناس الأخرى، فالكاتب المسيحي نظمي لوقا كتب "محمد الرسول والرسالة" وكتب الدكتور نبيل بباوي "محمد من مولده إلى وفاته" وكتب المفكر المسيحي اللبناني نصري سلهب "في خطى محمد" كما كتب ول ديورانت" أعظم عظماء التاريخ" وكتب ن رينية "محمد رسول الله" وكتب مايكل هارت "الخالدون مائة أعظم محمد" وكتب مونتجمري "محمد في مكة" وكتب آخرون أمثال توليستوي، ولامارتين، وفولتير، ومرادهوفمان، وجارودي وغيرهم من الغربيين.

وتميز العقاد في هذا المجال بفن العبقريات، فله فيها أسلوب خاص،

www.abulhasanalinadwi.org

ومذاق خاص، طريقة خاصة تجمع بين السيرة والتاريخ، والعنصر الشخصي، وقد أشاد مؤيدوه بهذا الفن إشادة كبيرة، واعتبروه أمارة تدل على عبقرية العقاد، وكتب العقاد في عبقرياته حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدد من الصحابة مثل الصديق، وعمر، وعثمان، وعلى، والحسن والحسين بن علي، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وخالد ابن الوليد، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وبلال رضي الله عنهم أجمعين، وشخصيات غير مسلمة مثل: فرنكلين، فرنسيين أكون، غاندي، وبرناردشو.

وقد كتب بعض الباحثين أن العقاد قد جعل من عبقرياته الإسلامية وغير الإسلامية حقلاً لتطبيق نظرياته في الفرد وشاهداً على دوره الفعال في المجتمع والتاريخ، وقد تأثر خلال دراساته ببعض الاتجاهات الفكرية الأدبية التي تضخم الفرد والمواهب الفردية كتأثره بفلسفة شوبنهور ونيتشه التي تعطى الفرد قيمة كبيرة[1].

ونال العقاد في سنة ١٩٦٠م جائزة الدولة التقديرية في الآداب تنويها بأعماله الأدبية.

نثره

يرى الدكتور شوقي ضيف أن نثر العقاد لا يقرأ بسرعة، بل يحتاج إلى تمهل وروية، وهما لا يضيعان عبثا، بل يجد القارئ فيهما متعة، وهي متعة لا تأتي من طرافة تفكيره، وعمقه البعيد، وإنما تأتي مما يمزج كتاباته من منطق حاد، يتغلب على عقل القارئ، فيذعن ويخضع لأدلته، ومن ثم كان إذا ناضل في أمر انتصر فيه ببراهينه وأسلحته المنطقية، ويقف عند رأيه كأنه حصن من الحصون، يعيش فيه، ويعيش له، ويذود عنه ذياد العربي الأصيل عن عرضه.

ويتفق الجميع على مكانة العقاد في النثر والنقد، إلا أن شاعرية

[1]- الفكر الإسلامي المعاصر، غازي توبة، ص: ١٢٧-١٤٤.

www.abulhasanalinadwi.org

العقاد كانت مثار الخلاف، فمن شداة الأدب من يرى أن لشعر العقاد مكانة عالية ومن أولئك د/طه حسين، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، وعبد الرحمن صدقي، وسيد قطب، ومنهم من رأى أن الرجل متوسط القامة في الشعر من أمثال مارون عبود، ومحمد مندور.

أسلوبه

وللعقاد قدرة فائقة على تأدية المعاني في لفظ جزل رصين، فيه قوة ومتانة، وفي دقة تدل على سيطرة صاحبها على المادة اللغوية، وهو يصوغ كلمه صياغة يجد فيها قارئوه اللذة، والمتعة، وتجري الألفاظ في نسق محكم مطرد، والعقاد يمتاز بهذا الأسلوب الرصين منذ أخذ يكتب مقالاته. ويمتاز العقاد بالعمق وسعة الدراسة والثقافة والتحليل العلمي، يكاد يكون صاحب مدرسة في الأدب الحديث.

فكان العقاد واسع الثقافة والمعرفة، قوي الشخصية، شديد الرأى، واضح البيان، رائع الأسلوب، ومتعدد الجوانب، فكان الكاتب السياسي والناقد المؤرخ والشاعر.

نموذج من نثره

يقول العقاد وهو يصف عظمة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ومكانتها في تاريخ العالم والإنسانية في كتابه عبقرية محمدﷺ:

"محمد في نفسه عظيم بالغ في العظمة، وفائق لكل مقياس صحيح يقاس به العظيم عند بني الإنسان في عصور الحضارة.

فما مكان هذه العظمة في التاريخ؟ ما مكانها في العالم وأحداثه الباقية على تعاقب العصور؟

مكانها في التاريخ أن التاريخ كله بعد محمد متصل به مرهون بعمله، وأن حادثاً واحداً من أحداثه الباقية لم يكن ليقع في الدنيا كما وقع لو لا ظهور محمد وظهور عمله.

فلا فتوح الشرق والغرب، ولا حركات أوربا في العصور

www.abulhasanalinadwi.org

الوسطى، ولا الحروب الصليبية، ولا نهضة العلوم بعد تلك الحروب، ولا كشف القارة الأمريكية، ولا مساجلة الصراع بين الأوربيين والآسيويين والإفريقيين، ولا الثورة الفرنسية، وما تلاها من ثورات، ولا الحرب العظمى التي شهدناها قبل بضع وعشرين سنة، ولا الحرب الحاضرة التي نشهدها في هذه الأيام، ولا حادثة قومية أو عالمية مما يتخلل ذلك جميعه كانت واقعة في الدنيا، كما وقعت لو لا ذلك اليتيم الذي ولد في شبه الجزيرة العربية بعد خمسمائة وإحدى وسبعين سنة من مولد المسيح.

كان التاريخ شيئا فأصبح شيئا آخر، توسط بينهم وليد مستهل في معهده بتلك الصيحات التي سمعت في المهود عداد من هبط من الأرحام إلى هذه الغبراء .. ما أضعفها يومئذ صيحات في الهواء .. ما أقواها بعد ذلك أثراً في دوافع التاريخ .. ما أضخم المعجزة".

فتوح إيمان

ويقول وهو يصف الفتح الإسلامي بفتح القلوب المغلقة وإخراج العالم من الظلمات إلى النور:

"ولقد فتح الإسلام ما فتح من بلدان لأنه فتح في كل قلب من قلوب أتباعه عالما مغلقاً تحيط به الظلمات، فلم يزد الأرض بما استولى عليه من أقطارها فإن الأرض لا تزيد بغلبة سيد على سيد، أو بامتداد التخوم وراء التخوم، ولكنه زاد الإنسان أطيب زيادة يدركها في هذه الحياة، فارتفع به مرتبة فوق طباق الحيوان السائم، ودنا به مرتبة إلى الله.

يدين بهذه الحقيقة كل من يدين بحقيقة في عالم الضمير .. فمن أنكرها، فإنما ينكر تقدم الإنسان كثيراً أو قليلاً في هذه الطريق.

عقد عالم أوربي مقارنة بين محمد وبوذا والمسيح فسأل: "أليس محمد نبياً على وجه الوجوه؟" ثم أجاب قائلاً: "إنه على اليقين لصاحب فضيلتين من فضائل الأنبياء: فقد عرف حقيقة عن الله لم يعرفها الناس من حوله، وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لا تقاوم لنشر تلك الحقيقة، وإنه

لخليق في هذه الفضيلة أن يسامى أوفر الأنبياء شجاعة وبطولة بين بني إسرائيل، لأنه جازف بحياته في سبيل الحق، وصبر على الإيذاء يوماً بعد يوم عدة سنين، وقابل النفي والحرمان والضغينة، وفقد مودة الأصحاب بغير مبالاة، فصابر على الجملة قصارى ما يصبر عليه إنسان دون الموت الذي نجا منه بالهجرة، ودأب مع هذا جميعه على بث رسالته غير قادر على إسكاته وعد ولا وعيد ولا إغراء...وربما اهتدى إلى التوحيد أناس آخرون بين عباد الأوثان، إلا أن أحداً آخر غير محمد لم يقم في العالم مثل ما أقام من إيمان بالوحدانية دائم مكين، وما أتيح له ذلك إلا لمضاء عزمه أن يحمل الآخرين على الإيمان، فإذا سأل سائل: ما الذي دفع بمحمد إلى إقناع غيره حيث رضي الموحدون بعبادة العزلة؟ فلا مناص أن نسلم أنه هو العمق والقوة في إيمانه بصدق ما دعا إليه".

والحقيقة التي يراها المنصف مسلماً كان أو غير مسلم، هي هذه: هي أن فتوح محمد فتوح إيمان، وأن قوة محمد قوة إيمان، وأنه ما من سمة لعمله أوضح من هذه السمة، ولا من تعليل لها أصدق من هذا التعليل، لقد جاء الإغراء الذي أشار إليه العالم الأوربي وهو داع مهدد في سربه، جاءه وهو عزيز الشأن بين المؤمنين بدعوته، فما حفل بالإغراء وهو بعيد من مقصده ولا حفل به وهو واصل إليه".

كتب العقاد

يبلغ عدد كتبه نحو ستين مؤلفاً، كلها تمتاز بحيوية التفكير.

(١) ابن الرومي: حياته من شعره (٢) مطالعات في الكتب والحياة. (٣) مراجعات في الآداب والفنون (٤) يسألونك (٥) الفصول (٦) رجعة أبي العلاء (٧) ساعات بين الكتب (٨) بين الكتب والناس (٩) الشيوعية والإنسانية (١٠) داعي السماء، بلال بن رباح (١١) إبراهيم أبو الأنبياء (١٢) عبقرية محمد (١٣) عبقرية الصديق (١٤) عبقرية عمر (١٥) عبقرية الإمام علي (١٦) عبقرية خالد (١٧) عبقرية المسيح (١٨) عمرو بن العاص

www.abulhasanalinadwi.org

(١٩) الفلسفة القرآنية (٢٠) مجمع الأحياء (٢١) الحكم المطلق في القرن العشرين(٢٢) عالم السجون والقيود (٢٣) الله (٢٤) سعد زغلول (٢٥) هتلر في الميزان (٢٦) الحسين أبو الشهداء (٢٧) الإسلام في القرن العشرين (٢٨) التفكير فريضة إسلامية (٢٩) عثمان ذو النورين (٣٠) مطلع النور (٣١) المرأة في القرآن (٣٢) الإنسان في القرآن (٣٣) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه (٣٤) ما يقال عن الإسلام (٣٥) فاطمة الزهراء والفاطميون (٣٦) معاوية بن أبي سفيان في الميزان (٣٧) أبو نواس الحسن بن هانئ (٣٨) جحا الضاحك والمضحك (٣٩) حياة قلم (٤٠) لا شيوعية ولا استعمار(٤١) هذه الشجرة (٤١) أنا (٤٢) سارة (٤٣) عقائد المفكرين (٤٤) إبليس (٤٥) هدية الكروان (٤٦) وحي الأربعين (٤٧) عابر سبيل (٤٨) أعاصير مغرب (٤٩) بعد الأعاصير(٥٠) المسيح(٥١) اليوميات (٥٢) الحضارة الغربية.

www.abulhasanalinadwi.org

محمود تيمور

١٨٩٤- ١٩٧٣م

نشاته وحياته

ولد محمود تيمور في سنة ١٨٩٤م في "درب سعادة" بمدينة القاهرة، ويقع حي "درب سعاة" بين" الموسكي" و"باب الخلق"، وكان والده أحمد تيمور باشا من المغرمين بجمع الكتب والمخطوطات، ومن العلماء البارزين في اللغة والأدب والتاريخ، وتيمور من أصل كردي عربي، ومن أهل اليسار، وكانت له ضياع وأملاك، وصرف هذه الثروة في اقتناء الكتب، وأنشأ مكتبة قيمة، وكان منزله منتدى الأدب والعلم، يحضره محمد عبده والشنقيطي وأمثالهما، والمستشرقون، ورجال العلم والأدب، وبعد وفاة زوجته انتقل بأبنائه إلى "عين شمس" إحدى ضواحي القاهرة، ثم اتخذ له بيتاً في "الزمالك".

في هذا الجو العلمي نشأ محمود وأخوه محمد، وانتظم محمود في المدرسة الابتدائية، ثم الثانوية، وكان أبوه يرعاه، وشغف منذ طفولته بكتب الأدب، ثم مال إلى القصة، ثم أصدر الأخوان صحيفة منزلية يسجلان فيها أخبار المنزل والأصدقاء، وأنشآ مسرحاً يمثلان فيه المسرحيات الساذجة، ثم اندفعا إلى قراءة الروايات والقصص المترجمة، وأكثرا من قراءة المنفلوطي، والآثار الجديدة التي يحدثها أدباء المهجر من أمثال جُبران، وأخذ محمود ينظم الشعر، ويكتب طرائف من الشعر المنثور.

سافر أخوه محمد تيمور إلى "باريس" سنة ١٩١١، وظل بها إلى

www.abulhasanalinadwi.org

١٩١٤م، وهناك تعرف على أدب القصة والمسرحية الأدبية، و في هذه المدة كان محمود قد أكمل دراسته الثانوية، والتحق بمدرسة الزراعة العليا، ولكن سرعان ما اضطر إلى قطع دراسته لإصابته بمرض التيفود، وعاد محمد تيمور من باريس فصور لأخيه قواعد الأدب القصصي، و التمثيلي، وحبب إليه قراءة "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي، و "زينب" لهيكل.

وأخذ محمد يلقن أخاه المذهب الواقعي في القصة الغربية، فعكف محمود على مطالعة القصة الواقعية كموباسان القصاص الفرنسي الواقعي، وأعجب بأسلوبه القصصي، ثم بدأ يكتب محاولاته في هذا الفن، فكتب أقصوصتي" الشيخ جمعة" و"يحفظ بالبوسطة".

كتب محمود تيمور بنفسه عن نشأته وما لابسها من المؤشرات في توجيهه وتكوينه، قال في الفصل الأول من كتابه "شفاء الروح":

"عند ما التفت خلفي متكشفا ماضي حياتي، أرى أربعة عوامل أساسية قد عملت في تكويني:

الأول: والدي "أحمد تيمور"، والثاني "شقيقي محمد تيمور"، والثالث" حوادث خاصة كان لها تأثير في تحويل مجرى حياتي، والرابع والأخير: مطالعاتي.

فوالدي جدير أن يكون قد أورثني مؤهلات الكتابة، وقد تعهدني منذ النشأة، وحبب إليّ المطالعة والتأليف، وأخى هذب ذلك الحب وأذكاه، وحوادث حياتي ثم مطالعاتي هي التي عينت لي تلك الوجهة التي أترسمها الآن في حياتي الأدبية[١].

ويقول في مكان آخر:

"وجدتني منذ فجر حياتي الأدبية يتنازعني عاملان جوهريان: عامل المحافظة على القديم والاعتداد به، وعامل التجديد ومجاراة سنة التطور، ورثت عن أبي العامل الأول وعن أخي العامل الآخر، كان أبي

[١]- محمود تيمور: فرعون الصغير

www.abulhasanalinadwi.org

من ذوي الحمية للغة، لا يدخر وسعاً في سبيل إحياء تراث العرب، وكان أخي أديباً فناناً نهل من الأدب الفرنسي، وتأثر بالثقافة الأوربية، فأنا في الحق مزاج من أبي وأخي"[١].

ومات محمد تيمور في شبابه عام ١٩٢١م، فتسلم محمود لواء القصة العربية، ليتم ما بدأه، فنشر مجموعته الأولى" الشيخ جمعة وقصص أخرى"، ومجموعته الثانية"عم متولي وقصص أخرى، "ثم نشر" الشيخ سيد العبيط وأقاصيص أخرى"، ويغلب على هذه المجموعات المبالغة، كما يغلب عليها شيء من النزعة الخيالية، التي تركتها في نفسه قراءاته للمنفلوطي وأدباء المهجر، كما يبدو من ملاحظة هذه المجموعات أنه يميل إلى الخير والإصلاح الاجتماعي.

ثم سافر محمود إلى "فرنسا" و"سويسرا" فاطلع على الأدب الفرنسي من قريب، وقرأ الأدب الروسي عند نور حنيف، وتشيخوف وأمثالهما، ودرس الآداب الغربية المختلفة.

ثم صدرت له مجموعات أخرى، وأقاصيصه في هذه المجموعات منوعة تنويعاً واسعاً، وهي في أكثرها لوحات لأحداث ومواقف، وأحوال اجتماعية ونفسية، ويظهر في كثير منها نزعة تحليلية لا مبالغة فيه، وإنما فيه الصدق وتمثيل الواقع في بساطة، ولا تقف أقاصيصه عند غايات محلية، بل تتسع لنزعات إنسانية عامة، كنزعة الخير، أو نزعة الكمال، أو نزعة الشعور بالجمال في الطبيعة، أو في الموسيقي.

يقول الدكتور شوقي ضيف: والحق أنه بلغ في كل ذلك مرتبة رفيعة، ويكفي أنه مؤسس فن الأقصوصة في الأدب العربي الحديث، حقاً سبقه إليها أستاذه وأخوه محمد تيمور، ولكنه هو الذي نماها ووسع طاقتها"، وترجمت كثير من أقاصيصه إلى الفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والإنجليزية، والروسية، ولم يقتصر محمود على الأقصوصة

[١]– عشرة أدباء يتحدثون، فؤاد دوارة ص: ٧٢.

www.abulhasanalinadwi.org

القصيرة، بل كتب القصة الطويلة أيضاً.

ومحمود تيمور يقوم بالتحليل، وعرض الواقع، والأحداث، والظروف التي يعيشها، بأسلوب عربي فصيح، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية تقديراً لمكانته الأدبية، ونال عدة جوائز، منح الجائزة الأولى من المجمع اللغوي بالقاهرة عام ١٩٤٧م تقديراً لإنتاجه، وفي عام ١٩٥٠ نال جائزة الدولة للآداب بالاشتراك مع توفيق الحكيم، وفي عام ١٩٥١م منح جائزة واصف غالي عن كتابه "عزرائيل القرية" وفي عام ١٩٦٢م منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب، وبلغت مؤلفاته نحو خمسين كتاباً في القصة القصيرة، والطويلة، والصور، والخواطر، والرحلات، والمسرحيات التاريخية، والوطنية، والدراسات اللغوية والأدبية والعلمية.

ويقول طه حسين وهو يستقبل محمود تيمور حين اختير عضواً بالمجمع اللغوي عام ١٩٤٧م:

"وإنك لتوفي حقك إذا قيل إنك أديب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة، وأوسعها ولا أكاد أصدق أن كاتباً مصرياً مهما يكن شأنه قد وصل إلى الجماهير المثقفة وغير المثقفة كما وصلت أنت إليها، فلا تكاد تكتبه، ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما تكتب حتى يصل إلى قلوبهم كما يصل الفاتح في المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كله".

ويقول د/محمد عبد المنعم خفاجي: "وقدم محمود تيمور للأدب العربي الحديث خدمات جليلة طيلة أربعين عاماً بالتنويه به والتعريف بأعلامه، ووضع أسس علمية لدراسته وتحديد خصائصه".

ويقول: "وهو صاحب أسلوب متميز واضح السمات الأصيلة، من بين أساليب أعلام الأدب المصري الحديث، طابعه الصدق، والبساطة، والقدرة الفنية الباهرة في رسم الشخصيات، وتصويرها، وبعث الحياة فيها"[1].

---

[1]- دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، للدكتور عبد المنعم خفاجي، الجزء الثاني ص: ٤٤٦، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كتب محمود تيمور لمجتمعه، يوافقه وأناسه، وأنتج الكثير من القصص التي تحلل طبائع الأفراد وسلوك النفوس، وشملت أعماله شخوصاً مختلفة، وأنماطاً متعددة، فمنهم من كان يمثل الطبقة القادحة، ومنهم من يمثل الطبقة الأرستقراطية، ومنهم من كان شاباً و امرأة، ومن كان طفلاً أو فتاة في سن المراهقة، كما حاول في أعماله الكشف عن نواح من الصراع بين الطبقات.

والحق أن محمود تيمور واحد من الأدباء الكبار الذين كان لهم الفضل الأكبر في بعض الحياة في أوصال الأدب العربي وإثرائه بألوان فنية جديدة، وكان لجهودهم فيها أعمق الأثر فيما تلاهم من نتاج أدبي ترسم خطاهم واهتدى بهديهم.

وإذا كانت قد سبقت قصص محمود تيمور محاولات أخرى عديدة في تأليف القصة العربية كمحاولات المويلحي، ولطفي جمعة، وطاهر لاشين، ومحمد تيمور وغيرهم، فالذي لا شك فيه أن هذه المحاولات لم تكن في معظمها أكثر من إرهاصات أولية في علاج القصة ظلت في حاجة إلى موهبة أصيلة ناضجة لتتحول إلى قصص فني مكتمل العناصر وكان محمود تيمور هو صاحب هذه الموهبة الأصيلة المثقفة، التي أرسلت للقصة مكاناً راسخاً في الأدب العربي

نموذج من كلامه

"...توالت الأيام، والزهرة والفرفور ينعمان بحبهما الفياض، يقضيان النهار وهما يتناجيان بحديث الغرام، أو يتناويان رواية النوادر والقصص عن الإنسان، ذلك الآدمي الجهول الذي بزّ الكائنات الأخرى بغباوته وصلفه، حتى إذ ما أقبل الليل فتحت الزهرة لصديقها صدرها، فيدخل مطمئناً إلى ذلك الخدر الدافئ العطر، ويتوسد موضع قلبها، فتطبق عليه أوراقها، وهي تحتضنه وتقبله في شغف وحنان، وينامان كأنهما كائن واحد ويستمتعان معا بأحلام متشابهة.. وعند السحر تهبط أول قطرة من

www.abulhasanalinadwi.org

قطرات الندى على جبين الزهرة الهادئ، وتتدحرج على خدها تدغدغها، وهي تهجس لها:

- قومي أيتها الزهرة الكسول، واستقبلي طلائع الفجر ! ألا تشمين غير أنفاسه وقد بدأت تغمر الكون؟...

"فتستيقظ الزهرة مبتسمة، وتتمطى بعودها اللدن، ثم تأخذ تنفض أوراقها وتراقب في تضاحك ومرح فرفورها الثمل بلذة النوم، ويصحو الفرفور فيدور مترنحاً حول زهرته وأحلام الليل العذبة تتطاير منه كأنها نفحات عبقة.

"كذلك عاشت الزهرة والفرفور في بحبوحة الحب لا يعنيهما من أمر العالم المحيط بهما شيء، إنهما في سكرة لا صحوة منها ..

"وتوردت الزهرة ، وامتلأت حياة ونوراً فأضحت فتنة الخميلة كلها وجاءها البستاني يتملقها بعطفه، وعنايته، فنبش الأرض حولها يمنع عنها تزاحم الحشائش المتطفلة، ورعاها بالماء يسقيها ويرشها وهو ينظر إليها معجباً فخوراً زاعماً أنها ربيبته المختارة وثمرة كده وخبرته .. وأصبحت الزهرة قبلة الأنظار من زوار الخميلة يقفون أمامها طويلاً مدهوشين من روعة حسنها.

"أما الفرفور فقد زهي لونه وتلألأ، وازداد نشاطاً وخفة، فأطلق لنفسه حرية المجون والعبث، فكان يتربص للقادمين فإذا ما دخل الخميلة واحد منهم، هب الفرفور منطلقاً خلفه وهوى على قفاه يعضه ويخزه ثم عاد مسرعاً إلى زهرته واندفع كلامهما يضحك مما نال القادم من أذى وضيق"[1].

مؤلفات محمود تيمور

مجموعات قصصية

(١) كل عام وأنتم بخير (٢) مكتوب على الجبين (٣) شفاه غليظة (٤) إحسان لله (٥) شباب وغانيات (٦) فرعون الصغير (٧) أبو الشوارب (٨)

[1] القصة وتطورها في الأدب المصري الحديث، لدكتور مصطفى علي.

www.abulhasanalinadwi.org

أبو علي الفنان (٩) زامر الحي
قلب غانية (١٠) ثائرون (١١) دنيا جديدة (١٢) نبوت الخفير (١٣) تمر حنا عجب

قصص مطولة

(١) كيلو باتره في خان الخليلي (٢) سلوى في مهب الريح (٣) نداء المجهول (٤) شمروخ (٥) حلو ومر

صور وخواطر

(١) ملامح وغضون (٢) النبي الإنسان (٣) شفاء الروح (٤) عطر ودخان

رحلات

(١) أبو الهول يطير (٢) شمس وليل

قصص تمثيلية

(١) صقر قريش (٢) سهاد أو اللحن التائه (٣) المنقذة وحفلة شاي (٤) المخبأ رقم ١٣ (٥) المزيفون (٦) فداء (٧) عوالي (٨) أبو شوشة والموكب (٩) قنابل (١٠) حواء الخالدة (١١) اليوم خمر (١٢) ابن جلا (١٣) أشطر من إبليس (١٤) كذب في كذب.

دراسات لغوية وأدبية

(١) مشكلات اللغة العربية (٢) دراسات في القصة والمسرح (٣) محاضرات في القصص في أدب العرب (٤) صفارة العيد (٥) قال الراوي (٦) رجب آفندي (٧) ما تراه العيون (٨) الشيخ رجب (٩) الوثبة (١٠) الزهرة العاشقة (١١) الحب بين دمعة اليأس وقليلة الأمل (١٢) معجم الحضارة .

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور طه حسين

١٨٨٩م-١٩٧٣م

نشاته وحياته

ولد طه حسين سنة ١٨٨٩م في قرية في صعيد مصر على مقربة من مدينة "مفاغة" التي تقع على الجانب الأيسر للنيل، وكان أبوه حسين بن علي بن سلامة موظفاً صغيراً في شركة زراعية من شركات السكر.

فقد طه حسين بصره في الثالثة من عمره، ولكنه عوض عن بصره ذكاء حاداً، وذاكرة قوية، التحق بكتاب من كتاتيب قريته، حفظ فيه القرآن الكريم، ولما أتم حفظه أخذ في حفظ "مجموع المتون" وقراءة بعض الكتب والأشعار القديمة استعداداً لدخول الأزهر، ففي سنة ١٩٠٢م دخل الأزهر، وعكف على دراسة العلوم الدينية واللغوية بها، وأعجب بالشيخ سيد علي المرصفي [١]، ولزم دروسه التي كان يقرأ فيها "الكامل" للمبرد، و"الآمالي" لأبي علي القالي، و"حماسة" أبي تمام، فصل من الأزهر لسوء أدبه مع أستاذه كما ذكره هو في كتابه"الأيام"، فثار على الأزهر ونظامه.

وكان من زملائه في هذه الدراسة الأستاذ أحمد حسن الزيات، والشيخ محمود زناتي، وحبّب الشيخ المرصفي إليهم الأدب فشغفوا

[١]- هو سيد بن علي المرصفي الأزهري، عالم بالأدب واللغة، مصري، كان من جماعة كبار العلماء في الأزهر، وتولى تدريس اللغة فيه إلى أن نالت منه الشيخوخة، وكسرت ساقه، فاعتكف في منزله بالقاهرة، وأقبل عليه طلاب الأدب، فكان يعقد لهم حلقات للدرس، إلى أن توفي، له كتب منها: رغبة الآمل، من كتاب الكامل، (٨ مجلدات) وهو شرح الكامل للمبرد، وأسرار الحماسة وهو في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، توفي سنة ١٩٣١م، (الأعلام لخير الدين الزركلي: ٣/١٤٧.

www.abulhasanalinadwi.org

بالأدب إلى أقصى حدود الشغف وما لبث أن أخذ يخوض في خضم الحركات الإصلاحية التي كان ينادي بها تلاميذ الشيخ محمد عبده، وسرعان ما تحول إلى أحمد لطفي السيد[١] الذي كان يدعو في "الجريدة" إلى مقاييس جديدة في السياسة والأخلاق والاجتماع، يستضيء به في حياته العقلية، وشاركه في جريدته، كما شارك في الكتابة بعض المفتونين بالحضارة الغربية كيعقوب صروف[٢] وشبلي شميل[٣]، وفرح أنطون[٤].

وأنشأت فيه الدراسة في الأزهر الحرص الشديد على التعمق في فهم النصوص، وتجنب السطحية والعلم المحفوظ، وكانت الدراسة في الأزهر في تلك الأيام تمتاز بتنشئة الملكات التي تتيح الفهم والتعمق والصبر على البحث.

ومن الأساتذة الذين تأثر بهم طه حسين غير الشيخ السيد مرصفي الذي وجهه إلى الدراسة الأدبية، نلينوا أستاذ تاريخ الأدب العربي، وسانتيلانا، أستاذ الفلسفة الإسلامية، ودوركايم أستاذ علم الاجتماع،

---

١ – ولد في سنة ١٩٧٢م في قرية "برقين" بمديرية "الدقهلية" وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس مختلفة، وسافر إلى استانبول وتعرّف على جمال الدين الأفغاني بوساطة علي يوسف صاحب المؤيد فلازمه مدة وتأثر به، وأتم دراسته في الحقوق عام ١٨٩٤م، وألف مع مصطفى كامل ومحمد فريد الحزب الوطني، وسافر إلى سويسرا حيث اتصل بقاسم أمين صاحب "تحرير المرأة" ومحمد عبده وسعد زغلول، وأخرج صحيفة "الجريدة" عام ١٩٠٧م، ثم ألف حزب الأمة واختير سكرتيراً له، وعيّن وكيلاً للجامعة الأهلية المصرية ثم مديراً لها، بعد تحويلها إلى جامعة حكومية، وفي سنة ١٩٢٨م نقل إلى وزارة التعليم والتربية، وله مؤلفات منها: "الأخلاق".

٢ – هو الفيلسوف المحقق والصحفي الدكتور يعقوب صروف منشيء "المقتطف" وأحد الدعاة إلى الحضارة الغربية، توفي سنة ١٩٢٧م.

٣ – هو شبلي بن إبراهيم شميّل مترجم نظرية "دارون" وُلد في قرية "كفرشيما" بلبنان عام ١٨٥٣م، وتعلّم في الجامعة الأمريكية في بيروت، وقضى مدة في أوربا، وسكن مصر، ثم أقام في الإسكندرية، ثم في طنطا، ثم في القاهرة، وتوفي فيها عام ١٩١٧م، وكان ينهج منهج الفلاسفة في حياته وآرائه، أصدر مجلة "الشفاء" سنة ١٨٨٦م، وله مؤلفات منها: "فلسفة النشوء والارتقاء".

٤ – فرح بن أنطون بن إلياس أنطون، صحفي روائي، ولد عام ١٨٧٤م ونشأ وتعلّم في طرابلس الشام، وانتقل إلى الإسكندرية، وأصدر مجلة "الجامعة" وتولى تحرير مجلة "صدى الأهرام" لمدة، وسافر إلى أمريكا ١٩٠٧م، وعاد إلى مصر، وشارك في تحرير بضع جرائد، وكتب عدة روايات تمثيلية إلى أن تُوفيّ ١٩٢٢م، ومن مؤلفاته "ابن رشد وفلسفته"

www.abulhasanalinadwi.org

ويلوك أستاذ التاريخ الروماني، وجلاتس أستاذ التاريخ اليوناني، وليفي بريل أستاذ الفلسفة، وغرس هؤلاء الأساتذة الغربيون في ذهن طه حسين عظمة الحضارة اليونانية، ومجد الروم.

ومن الكتب المحببة إليه كتاب سيبويه، والمفصل للزمخشري، والكامل للمبرد، وكتب الجاحظ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، والكتاب المنسوب إليه في النثر أيضاً، وكان ينصح الأدباء بدراسة هذه الكتب.

وفي سنة ١٩٠٨م التحق بالجامعة المصرية الأهلية، وسمع إلى من كانوا يحاضرون بها من أمثال الشيخ المهدي، ومحمد الخضري، وحفني ناصف [١]، وإلى الأساتذة الأوربيين، أمثال نالينو، وجويدي، وتعلم الفرنسية في مدارس ليلية لتدريس اللغات حتى يفهم المحاضرات التي كانت تلقى بها، وفي سنة ١٩١٤م نال في هذه الجامعة الدكتوراه في الآداب على رسالته "ذكرى أبي العلاء"، ثم أوفدته الجامعة المصرية في بعثة إلى فرنسا في مطلع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، فنزل في "مونبلييه" في جنوبي فرنسا، والتحق بجامعتها، وظل فيها نحو عام، عاد في نهايته إلى مصر لسوء حالة الجامعة المالية، وسرعان ما تحسنت ظروف الجامعة، فرجع بعد ثلاثة أشهر إلى "باريس" عام ١٩١٥م، وهناك تلقى علومه على دوركايم عالم الاجتماع الكبير، واشترك في محاضرات المؤرخين والأدباء في "السوربون" و"الكوليج دي فرانس" حيث نال الدكتوراه الثانية في الفلسفة على رسالته "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية"، وتعلم اليونانية واللاتينية، ونال

---

[١]– وهو ركن من أركان النهضة الأدبية الحديثة، وُلد في "بركة الحج" إحدى ضواحي القاهرة عام ١٢٧٢هـ، تلقى تعليمه الابتدائي في كُتّاب القرية، ثم سافر إلى الأزهر، وبعد قضاء ثلاث سنوات فيه دخل دار العلوم فثقف علومها، وعيّن أستاذاً للغة العربية في المدارس الأميرية، ثم أختير للتدريس في مدرسة الحقوق، ودرس القانون وأنتخب كاتباً للنائب العمومي، ثم عُيّن قاضياً سنة ١٨٩٢م في المحاكم الأهلية، ثم صار وكيلاً لمحكمة طنطا الأهلية ودرّس الأدب العربي في الجامعة المصرية، وبعد تقاعُد حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية الأكبر في وزارة المعارف خَلَفه الأستاذ ناصف، وتُوفي سنة ١٩١٩م، وله أعمال علمية منها: "مميزات لغة العرب" و"كتاب حياة اللغة العربية".

www.abulhasanalinadwi.org

شهادة الدراسة العليا في التاريخ.

وخلال إقامته بباريس ارتاد الأندية الفكرية والأدبية والتقى بعدد من مفكري ومؤرخي فرنسا، فاتصل ببوجليه، ولاتسون، وليفي وميرول وغيرهم.

وعاد إلى مصر عقب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩م وعمل أستاذاً في الجامعة المصرية، فدرس تاريخ اليونان والرومان، وكان افتنانه بالحضارة الغربية بالغاً إلى حد التخمة، تدل على ذلك كتبه حول التراث الأوربي، فأخذ يلقي محاضراته في الجامعة حول تاريخ اليونان وأدبهم، و أخرج كتابين هما" صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان" و"نظام الأثينيين" لأرسطاليس، ونقل طائفة من تمثيليات سوفوكليس باسم" من الأدب التمثيلي اليوناني"، وفي سنة ١٩٢٢م ترجم كتاباً في علم النفس التربوي من تأليف لوبون بعنوان "روح التربية"، وانضم إلى صحيفة "السياسة" التي يصدرها حزب الأحرار الدستوريين، وعين محررها الأول، فكان ينشر يوم الأحد قصة ملخصة من الأدب الفرنسي، وفي يوم الأربعاء ينشر بحثاً في الشعر العربي، ونشر في سنة ١٩٢٤م كتابه" قصص تمثيلية" لطائفة من أشهر الكتاب الفرنسيين، ونقل بعد ذلك مسرحية "اندروماك" لراسين" و"زاديج" لفولتير.

وفي سنة ١٩٢٤م عين عميداً لكلية الآداب في الجامعة المصرية، ونشر كتاب "قادة الفكر"، وألقى محاضرات حول الشعر الجاهلي بقسم اللغة العربية بالجامعة، ثم نشرها في سنة ١٩٢٦م باسم "في الشعر الجاهلي" وبني دراسته فيه على منهج ديكارت الذي يدعو إلى الشك في كل شيء، ويعتقد أنه اقتبس أفكاره من رسالة في أصول الشعر الجاهلي لمرغليوث، شك في صحة رواية الشعر الجاهلي، واتهم الرُواة بالوضع والانتحال، فثارت قضية الوضع والانتحال في الشعر الجاهلي، وتحوّلت إلى معركة أدبية، وكان ممن خاضوا هذه المعركة علي جمعة، والأمير شكيب

www.abulhasanalinadwi.org

أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي ورجال الأزهر، ولكن العاصفة مرت بسلام، ودافع أحمد لطفي السيد عن الكتاب والكاتب مستدلاً بحرية البحث العلمي واستقلال الجامعة الفكري، ولكن ثورة الناس أدت به إلى الاستقالة من مديرية الجامعة، وأعاد طه حسين طبع كتابه باسم "في الأدب الجاهلي" بعد حذف بعض الفقرات الشائنة التي كانت مثاراً للأزمة والجدال عام ١٩٢٧م[1]، وكتب ترجمته الذاتية "الأيام" فنشر الجزء الأول منها في سنة ١٩٢٩م بعد أن نشره فصولاً في مجلة "الهلال" وفي سنة ١٩٣٠م أصبح عميداً لكلية الآداب مرة ثانية، ثم أبعد عن الجامعة في عهد إسماعيل صدقي لاصطدامه بوزارة إسماعيل عام ١٩٣٢م، وانتقل إلى وزارة المعارف، واستمر تقلبه في المناصب بين وزارة المعارف والجامعة المصرية إلى أن أنشئت جامعة الإسكندرية عام ١٩٠م واستلم مديريتها قبل ثورة ١٩٥٢م، وانضم إلى حزب الوفد، وكتب في "صحيفة كوكب الشرق"، وأخرج صحيفة "الوادي" ووجه انتقادات حادة إلى صدقي.

في سنة ١٩٣٢م ألف كتابه "في الصيف" وهو مجموعة رسائل كتبها بأوربا في سنة ١٩٢٨م، وفي سنة ١٩٣٣م نشر دراسته عن "حافظ وشوقي" كما نشر أول جزء له من سلسلة "على هامش السيرة"، وعاد إلى عمادة كلية الآداب، في سنة ١٩٣٤م، ويبدأ ينشر سلسلة من محاضراته في نشأة النثر العربي وفي طائفة من الشعراء العباسيين باسم "من حديث الشعر والنثر"، وفي سنة ١٩٣٦م وضع كتاباً عن المتنبي سماه "مع المتنبي" وفي سنة ١٩٣٩ أصدر كتابه "مستقبل الثقافة"، وكان قد ترك الجامعة ليعمل في وزارة التعليم والتربية، وعين مستشاراً فنياً لهذه الوزارة، ثم عين مديراً لجامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٢م.

---

[1] للتفصيل راجع "طه حسين في ميزان النقد" للأستاذ أنور الجندي، و"مصادر الشعر الجاهلي" للدكتور ناصر الدين الأسد، و"مقدمة كتاب المتنبي" للدكتور محمود محمد شاكر بعنوان "رسالتي مع الحياة الأدبية"

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد استقالة الوزارة الوفدية خرج من الحكومة، وحرر صحيفة "الكاتب المصري" ويصبح في سنة ١٩٥٠م وزيراً للتربية والتعليم، فينادي بتكافؤ الفرص، وفي سنة ١٩٥٩م منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب تنويهاً بجهوده الأدبية، ومنحته كلية ترينتي بجامعة أكسفورد في إنكلترا درجة الدكتوراه الفخرية في الأدب، وتوفي في عام ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)[١].

كان طه حسين من تلامذة المستشرقين، فنقل أفكارهم، وانتقد التاريخ الإسلامي، وهاجم الشخصيات الإسلامية، وكان حاد الطبع، متصلب الرأى، فعارض آراء السلف ومعاصريه من الأدباء في القضايا الفكرية والتاريخية والأدبية، فأثارت آراؤه حركة علمية وأدبية وفكرية، تصدى فيها المحافظون على الإسلام والعروبة، لرده، وألفوا كتباً قيمة في الفكر والأدب والشعر. ومن كتبه التي تمثل أفكاره الشاذة ذكرى أبي العلاء، وقد فند آراءه الشيخ عبد العزيز الراجكوتي في كتابه أبو العلاء وما إليه، وكتاب مستقل الثقافة في مصر، وكتاب مع المتنبي، وقد فند آراءه في هذا الكتاب الدكتور محمود شاكر في كتاب المتنبي، الذي كشف فيه زيغ طه حسين، وتأثره بأفكار المستشرقين، واتهم بعض الكتاب طه حسين بأنه ناقل أفكار المستشرقين إلى العربية، وكذلك سلسلة كتبه الفتنة الكبرى، علي وبنوه، وعثمان ومرآة الإسلام، وقادة الفكر الذي مجّد فيه حضارة الروم البائدة.

يقول الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي وهي يعترف بفضل طه حسين العلمي والأدبي، وشخصيته المؤثرة:

"لقد كان من المتوقع، ومن المعقول جداً أن مثل الدكتور طه حسين صاحب الشخصية القوية في الأدب والعلم، الذي حفظ القرآن في الصغر، ودرسه في الكبر، وتعلم في الأزهر ونظر في العلوم والآداب نظرة حرة واسعة، ورأى شقاء أوربا بحضارتها المادية وفلسفتها الإلحادية،

[١]– من الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف، وعشرة أدباء يتحدثون لفؤاد دوّاره

www.abulhasanalinadwi.org

وحكوماتها القومية ، وتذمر مفكريها والعلماء الأحرار فيها ، ودرس تاريخ العرب والسيرة المحمدية دراسة تذوق وإتقان ، ولقد كان من المتوقع والمعقول جداً ، أن يدعو مصر إلى الاستقلال الفكري والحضاري ، وتربية شخصيتها الإسلامية العربية ، والنهوض برسالتها العظيمة التي تستطيع أن تحدث انقلاباً في الأوضاع العالمية ، وتمنح مصر مركز الزعامة والقيادة والتوجيه حتى ولو كانت مصر جزءاً من العالم الغربي وقطعة من أوربا ، فالرسالات السماوية الإنسانية أسمى وأوسع وأبقى من الحضارات وهي غنية عن الحدود الجغرافية والأدوار التاريخية ، وإذا فعل ذلك ، وقام بهذه الدعوة كان رائد النهضة الفكرية الحقيقية والثورة المصرية المباركة ، واتفق ذلك مع مواهبه العظيمة كل الاتفاق.

ولكن كان من نتائج تغلغل الثقافة الغربية في الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي وسيطرتها على التفكير والمشاعر ، وضعف المجتمع الإسلامي وسيطرتها على التفكير والمشاعر ، وضعف المجتمع الإسلامي الذي نشأ وعاش فيه طه حسين ، أنه قام يدعو مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب ، ويجند كل ذكائه وإنشائه ودراسته التاريخية لإثبات أن العقلية المصرية عقلية أوربية ، أو قريبة قرباً شديداً من الأوربية ، ولها اتصال وثيق ، بالعقلية اليونانية ، وبعيدة كل البعد عن العقلية الشرقية ، وهي منذ قديم الزمان ، وهي منذ العهد الفرعوني لم تتأثر بالطارئ عليها في أي عصر ، فلم تتغير بالفرس ، ولا بالرومان ، ولا بالعرب والإسلام ، و"إن العقل المصري منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، وأن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط".[1]

ويقول :

"إن من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من

[1] مستقبل الثقافة في مصر ، ص: ٣٢

www.abulhasanalinadwi.org

الشرق واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين".[١]

وعلى هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم، ومشاركة الغربيين أعضاء الأسرة العقلية الواحدة في جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم، فيقول:

"أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرّها، وما يحبّ منها وما يكره، وما يُحمد منها وما يعاب"[٢]

"وأن نشعر الأوربي باننا نرى الأشياء كما يراها ونقدم الأشياء كما يقدمها ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها"[٣].

وكان طه حسين من تلاميذ المدرسة الكلاسيكية الأوربية. وقد شك الناس في عقيدته، ويرى بعض الناس أنه تاب في آخر عهده، إلا أن كتبه لا تزال تؤثر في النفوس، وتحدث انفعالات وردود فعل، ولم يعلن براءته.

أسلوبه

يمتاز أسلوب طه حسين بالقوة والجزالة، وفيه محسنات بيانية أو خطابية كالتكرار والاستهزاء.

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"له أسلوب خاص يعرف به، يتسم بنقاء الكلمات، وتبسيط الموضوع، وتكرار المادة، ويحسن كتابة شيء كثير لا يعتقده ولا يتحمس له، وتلك صناعة لا يحسنها كل واحد"[٤]

إن أسلوب طه حسين فردي متميز الشخصية، فقد تأثر في مطلع حياته بالمنفلوطي في أسلوبه، وبأحمد لطفي السيد في تفكيره، ومذهب طه

---

[١]– أيضاً ص: ٤١

[٢]– أيضاً ص: ٤١

[٣]– أيضاً ص: ٤٤، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية للشيخ الندوي، ص: ١١٠–١١١.

[٤]– مختارات من أدب العرب، ص١/١٤٠ للشيخ أبي الحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

حسين في النثر الفني هو تطوير لمذهب المنفلوطي، فخصائص الأسلوب عندهما تكاد تكون واحدة، مع مقدرة طه حسين الفائقة، وله مدرسة جديدة سار في أثره الكثيرون من أعلام الكتاب كما نهج نهجه تلامذته الجامعيون.

نموذج من كلامه

يقول في كتابه الأيام:

"كان من أول أمره طُلَعَةً [1] لا يحفل بما يلقى من الأمر في سبيل أن يستكشف ما لا يعلم، وكان ذلك يكلفه كثيراً من الألم والعناء، ولكن حادثة واحدة حدت ميله إلى الاستطلاع، وملأت قلبه حياء لم يفارقه إلى الآن، كان جالساً إلى العشاء بين إخوته وأبيه، وكانت أمه كعادتها تشرف على حفلة الطعام، ترشد الخادم وترشد أخواته اللاتي كن يشاركن الخادم في القيام بما يحتاج إليه الطاعمون، وكان يأكل كما يأكل الناس، ولكن لأمر ما خطر له خاطر غريب! ما الذي يقع لو أنه أخذ اللقمة بكلتا يديه بدل أن يأخذها كعادته بيد واحدة؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة؟ لا شيء، وإذن فقد أخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها من الطبق المشترك ثم رفعها إلى فمه، فأما إخوته فأغرقوا في الضحك، وأما أمه فأجهشت بالبكاء، وأما أبوه فقال في صوت هادئ حزين ما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني.. وأما هو فلم يعرف كيف قضى ليلته.

من ذاك الوقت تقيدت حركاته بشيء من الرزانة والإشفاق والحياء لا حد له، ومن ذلك الوقت عرف لنفسه إرادة قوية، ومن ذلك الوقت حرم على نفسه ألواناً من الطعام لم تبح له إلا بعد أن جاوز الخامسة والعشرين، حرم على نفسه الحساء والأرز وكل الألوان التي توكل بالملاعق، لأنه كان يعرف أنه لا يحسن اصطناع الملعقة، وكان يكره أن يضحك إخوته، أو تبكي أمه، أو يعلمه أبوه في هدوء حزين.

[1]- طلعة: كثير التطلع

www.abulhasanalinadwi.org

هذه الحادثة أعانته على أن يفهم حقاً ما يتحدث به الرواة عن أبي العلاء من أنه أكل ذات يوم دبساً، فسقط بعضه على صدره وهو لا يدري، فلما خرج إلى الدرس قال له بعض تلاميذه: يا سيدي أكلت دبساً؟ فأسرع بيده إلى صدره وقال: نعم قاتل الله الشره! ثم حرم الدبس على نفسه طوال الحياة.

وأعانته هذه الحادثة على أن يفهم طوراً من أطوار أبي العلاء حق الفهم، ذلك أن أبا العلاء كان يتستر في أكله حتى على خادمه، فقد كان يأكل في نفق تحت الأرض، وكان يأمر خادمه أن يُعد له طعامه في هذا النفق ثم يخرج، ويخلو هو إلى طعامه فيأخذ منه ما يشتهي، وقد زعموا أن تلاميذه تذاكروا مرة بطيخ حلب وجودته، فتكلف أبو العلاء وأرسل إلى حلب من اشترى لهم منه شيئاً فأكلوا، واحتفظ الخادم لسيده بشيء من البطيخ وضعه في النفق، وكأنه لم يضعه في المكان الذي تعود أن يضع فيه طعام الشيخ، وكره الشيخ أن يسأل عن حظه من البطيخ، فلبث البطيخ في مكانه حتى فسد ولم يذقه الشيخ [1].

.ويقول في موضع آخر من كتابه الأيام:

"كانت أيام السفينة الستة طوالاً ثقالاً، قد ألقى عليها الحزن غشاءاً شاحباً بغيضاً، فلم يجد الصاحبان فيها للذة السفر وراحته طعماً، وإنما كان الهم يصبحهما ويُمسّيهما وكان خيبة الأمل حديثه في النهار حين يلتقيان، وحديث نفسيهما في الليل حين يفترقان، وما لهما لا يشقيان بهذه العودة المفاجئة، وأحدهما قد أنفق في باريس أعواماً طويلاً، ثم لم يُحقق من آماله شيئاً وإنما همّ ولم يفعل، فتعلّم الفرنسية واختلف إلى الدروس وأخذ يتهيأ لإعداد رسالته التي ينال بها درجة الدكتوراه، وإذا الحرب تردّه عن ذلك رداً، فإذا عاد إلى فرنسا واستأنف ما كان فيه من استعداد للرسالة والامتحان ردّته الأزمة المالية التي أدركت الجامعة إلى وطنه خائباً فارغ

[1]- الأيام

www.abulhasanalinadwi.org

اليدين، ولم يصنع شيئاً ولم يظفر بشيء.

ولو قد التمس لنفسه عملاً حين تخرّج في دار العلوم ولم يتكلّف ما تكلّف من السفر والغربة، لكان في ذلك الوقت معلماً في هذه المدرسة أو تلك من مدارس الدولة، ولكنه يرى نفسه ضائعاً لا يكاد يدنو من الغاية حتى يُصدّ عنها صداً، تصدُّه الحرب مرة، وتصدُّه الأزمة المالية مرة أخرى، وهو يعود إلى مصر ليعيش فيها فارغاً لا يدري ماذا يعمل ولا يعرف كيف يكسب القوت.

وأما الآخر فقد جدّ وكدّ واحتمل المشقة والعناء، وداعب الأحلام والآمال، حتى إذا أشرف على البعثة ولم يكن يقدّر أنه سيشرف عليها ردّه عنها إعلان الحرب، فعاش شهراً عيالاً على أبيه وأخيه وذاق مرارة الحياة التي لا تُغني عنه وعن غيره شيئاً، ثم أتيحت له البعثة فأقبل على عمله مغتبطاً سعيداً يكاد يخرجه النشاط من إهابه، وقد حاول من أمور الدرس ما أتيح له فيه كثير من التوفيق، حتى ظن أنه بالغ ما يريد، ثم عرض له أثناء إقامته في فرنسا ما أحيا في نفسه آمالاً لم تكن تخطر له ببال، فهو قد عرف أنه يستطيع أن يكون كغيره من الناس، بل خيراً من كثير من الناس، يحيا حياة فيها رضى وغبطة، وفيها نعمة وبهجة، وفيها سكون إلى هذه الرحمة التي كان قد استيأس منها والتي كان أبو العلاء قد ألقى في روعه أنه لن يذوقها ما أعشى، وإذا الأيام تدنيه منها أوتدنيها منه[1].

مؤلفاته

(١) الأيام، ثلاثة أجزاء

(٢) حديث الأربعاء، ثلاثة أجزاء، عالج فيها الأدب والأدباء

(٣) على هامش السيرة، ثلاثة أجزاء

(٤) الشيخان: (أبو بكر وعمر)

(٥) الفتنة الكبرى (عثمان)

---

[1]- الأيام ص: ٥٤٧-٥٤٨، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٦م.

www.abulhasanalinadwi.org

(٦) علي وبنوه
(٧) في الأدب الجاهلي
(٨) فصول في الأدب والنقد
(٩) من حديث الشعر والنثر
(١٠) الوعـــد الحق
(١١) بين بين
(١٢) مـــرآة الإسلام
(١٣) مع المتنبي
(١٤) أبو العلاء المعري
(١٥) المعذبون في الأرض
(١٦) جنة الشوك
(١٧) مرآة الضمير الأدبي، وهي رسائل في نقد الأخلاق والمجتمع
(١٨) جنة الحيوان
(١٩) ألوان
(٢٠) صوت باريس
(٢١) لحظات
(٢٢) نفوس للبيع
(٢٣) خصام ونقد
(٢٤) من بعيد
(٢٥) من أدبنا المعاصر
(٢٦) حافظ وشوقي
(٢٧) أديب
(٢٨) أحاديث
(٢٩) الحب الضائع
(٣٠) دعاء الكروان

www.abulhasanalinadwi.org

(٣١) شجرة البؤس
(٣٢) القصر المسحور
(٣٣) رحلة الربيع الصيف
(٣٤) من لغو الصيف إلى جد الشتاء
(٣٥) أحلام شهر زاد
(٣٦) الأدب التمثيلي
(٣٧) من الأدب التمثيلي اليوناني
(٣٨) اندروماك
(٣٩) قصص تمثيلية
(٤٠) القدر
(٤١) أوديب ثيسيوس
(٤٢) قادة الفكر
(٤٣) نظام الأثنيين
(٤٤) مستقبل الثقافة في مصر
(٤٥) فلسفة ابن خلدون الاجتماعية
(٤٦) روح التربية .

www.abulhasanalinadwi.org

توفيق الحكيم

١٨٩٨-١٩٨٧م

نشأته وحياته

ولد توفيق الحكيم في الإسكندرية عام ١٨٩٨م، وكان والده يشتغل في السلك القضائي في قرية "الدلنجات" إحدى قرى "إيتاي البارود" بمحافظة البحيرة، وكانت له ضيعة كبيرة ورثها عن أمه، فكان يعد من أثرياء الفلاحين، وقد تعلم، وانتظم في وظائف القضاء، وتزوج بسيدة تركية كانت معتزة بجنسيتها التركية، وتشعر بكبرياء، فكانت تعزل ابنها عن الفلاحين، وأترابه من الأطفال.

ولما بلغ توفيق السابعة من عمره ألحقه أبوه بمدرسة "دمنهور" الابتدائية بمحافظة "البحيرة"، وقضى بها مرحلته الابتدائية، ثم انتقل إلى القاهرة، والتحق بإحدى مدارسها الثانوية، وكان لتوفيق الحكيم عمان في القاهرة، يشتغل أحدهما مدرساً بإحدى المدارس الابتدائية، أما الثاني فكان طالباً بمدرسة الهندسة، وكانت تقيم معهما أخت لهما، فرأى والده أن يعيش مع عميه وعمته ليساعدوه على التفرغ للدرس، فعاش مع عميه بعيداً عن أمه التركية، وشغف خلال دراسته في القاهرة بالموسيقي والعزف على آلة العود، وعني بالتمثيل، وراح يتردد على الفرق المختلفة التي كانت تقيم الحفلات التمثيلية في المسارح، ومن أهمها فرق عكاشة، وجورج أبيض، ونجيب الريحاني، وعلى الكسار، وسيد درويش، ولكنه في هذه الأثناء أتم تعليمه الثانوي، والتحق بمدرسة الحقوق، وغلبت عليه النزعة الأدبية، ورأى محمد تيمور، وكثيراً من الشباب حوله يقومون

www.abulhasanalinadwi.org

بالتمثيل في المسرحيات، فشغف بالتمثيل، والكتابة فيه.

وفي عام ١٩١٩م انفجرت الثورة المصرية التي كانت ينبوعاً لأعمال الكثير من الأدباء والفنانين حيث أثارت الثورة الروح القومية في قلوبهم فأسرعوا يقدمون إنتاجاتهم التي تفيض بالوطنية، فلم يلبث توفيق أن كتب في عام ١٩٢٢م مجموعة من المسرحيات، مثلت بعضها فرقة عكاشة على مسرح الأزبكية، كانت منها: "المرأة الجديدة" و"الضيف الثقيل" و"علي بابا" وهي محاولاته الأولى البدائية.

وتخرج توفيق في الحقوق سنة ١٩٢٤م، وسافر إلى باريس لإكمال دراسته في القانون، وأمضى أربع سنوات، عكف خلالها على قراءة القصص وروائع الأدب المسرحي في فرنسا، بالإضافة إلى دراسة القانون، و شغف بالموسيقي الغربية، وكان يتردد في باريس على مسارحها للاستمتاع بالحفلات التمثيلية، ويقرأ ويفهم ويتمثل ثقافات العصور الغابرة والمعاصرة.

وألف بعد هذه الدراسة "عودة الروح" ونشرها في سنة ١٩٣٣م في جزءين، وعقب عودته إلى مصر في سنة ١٩٢٨م عمل لفترات طويلة في سلك النيابة، حتى سنة ١٩٢٤م، ثم عين مديراً للتحقيقات بوزارة التربية والتعليم، وظل بها إلى ١٩٣٩م، إذ نقل إلى وزارة الشؤون الاجتماعية مديراً لمصلحة الإرشاد الاجتماعي.

وعكف توفيق على التأليف أولاً في القصص التاريخية الإسلامية، كقصة "أهل الكهف"، ثم ألف "شهرزاد" و"عصفور من الشرق"، وصور توفيق الحياة الريفية في كتابه "يوميات نائب في الأرياف" ووصفها وصفاً دقيقاً، وعرض الحوادث والأشخاص عرضاً واقعياً في سخرية مرة، وفي مقابلة حادة بين واقعية الفلاحين والمثالية، ثم أخرج "أهل الفن" وهي ثلاث قطع مسرحية فكاهية قصيرة، و"سيرة محمد"، والتقى بطه حسين في صيف سنة ١٩٣٦م، بقرية من قرى جبال الألب في فرنسا، وكتب معه "القصر

www.abulhasanalinadwi.org

المسحور".

ثم ألف مسرحية "براكسا أو مشكلة الحكم"، ونشرها في عام ١٩٣٩م، وكتب في سنة ١٩٤٢ "مأساة بيجماليون" على غرار الأسطورة الإغريقية، وهذه المسرحيات صورة مستوحاة من التراث الإغريقي القديم.

واستقال من الوظيفة الحكومية سنة ١٩٤٣م، وعكف على كتابة مقالات نقدية في الصحف، وقصص اجتماعية، كـ" مسرح المجتمع" عالج فيها المشاكل الاجتماعية والسياسية بروح فكهة، مستوحياً من المحيط الاجتماعي المصري تارة، وتارة من موضوعات قديمة وأساطير إغريقية، وغير إغريقية.

وكتب توفيق في موضوعات دينية، واختار سليمان الحكيم، وقصة الهدهد وبلقيس التي وردت في القرآن، وكتب مسرحية "سليمان الحكيم".

وعلى غرار الأسطورة الإغريقية ألف" الملك أو ديب" في سنة ١٩٤٩م، وفي آخر أيامه ألف ثلاث مسرحيات رائعة، هي"إيزيس" و"السلطان الحائر" و"صفقة".

وقد نقلت آثاره إلى اللغات الأوربية لما فيها من جمال ودقة وعمق، وقد أشاد طه حسين بأول آثاره المسرحية، "أهل الكهف" فقال: إنها حدث في تاريخ الأدب العربي، وإنها تضاهي أعمال فطاحل أدباء الغرب، فلما تولى وزارة التربية والتعليم عينه مديراً لدار الكتب المصرية سنة ١٩٥١م، وعين في سنة ١٩٥٦م عضواً في المجلس الأعلى للآداب والفنون، وفي سنة ١٩٥٩م عين مندوباً في"اليونسكو" لمصر، ونال عدة جوائز.

ومن مزايا توفيق براعته في الكتابة في المآسي، والأفراح والسعادة، والفكاهة، وهو رغم ثقافته الغربية يحارب أحياناً غزو العقل، والمادة، وكتاب "عصفور من الشرق" خير دليل على ذلك، يقول فيه: ما صنع لنا العلم وماذا أفدنا منه؟ الآلات التي أتاحت لنا السرعة وماذا أفدنا من هذه

www.abulhasanalinadwi.org

السرعة؟ البطالة التي تلم بعمالنا وإضاعة ما يزيد من وقت فراغنا فيما لا ينتفع"، وهو يثبت أن هناك قوة تسيطر على الإنسان، والإنسان لا يعيش وحده في الكون، بل تسيطر عليه قوة إلهية، علوية، توجهه وتوحي إليه وتدفعه يميناً وشمالاً.

وفي آخر أيام حياته أثار كتابه "رأيت الله" ضجة، وأثار الكتاب ردود فعل في الأوساط الدينية.

نموذج من كلامه

"وإذا به يسمع صوتاً يناديه، فالتفت خلفه فرأى (عبدالمقصود) يدعوه إلى المنزل حالاً، لأن الست تطلبه، فعاد محسن مسرعاً وقلبه يدق حتى بلغ البيت ودخل، فقابلته والدته بخطاب في يدها، وقالت له: إن هذا باسمه، ولم تتم عباراتها لأن يد محسن امتدت إلى الخطاب في حركة آلية عصبية، فاختطفه وما أن صار في كفه حتى تمتم وهو ينظر إلى مظروفه.

"آه ... صحيح .. لي .. لي

"ثم حمله في يده دون أن يضعه، وذهب به نحو الباب، واختفى بأسرع من البرق تاركاً والدته تنظر إلى ذلك حائرة دهشة.

"وما صار محسن خارج البيت حتى وضع الخطاب في جيبه، وسار هنا وهناك كالمجنون، وكأنما الدنيا به فرحاً.. وخطر له أن يذهب إلى آخر الحقل عند مجرى الماء حيث الخضرة والماء وخطاب سنية، وفي الحال جَرى وهو واضع يده على جيبه كأنما يحمل كنزاً يخشى سقوطه حتى وصل إلى المكان الذي انتقاه، فجلس هنيهة على حافة الجدول، ثم نهض كأن البقعة لم تعجبه، وجلس في بقعة أخرى، ثم نظر إلى ما يحيط به من منظر.. متعمداً التريث والهدوء والتأمل، غير أن قلبه كان يدق، وكأن شيئاً يدفعه دائماً إلى وضع يده في جيبه وإخراج الخطاب.

"وأخيراً فعل، ولكنه لم يفتحه، بل ظل يقلبه في كفه، وينظر تارة إلى ختم البوستة، وتارة إلى العنوان متمعنا الخط، كل ذلك ويده ترتجف

www.abulhasanalinadwi.org

فرحاً وهو بين عاملين، الرغبة في فض الغلاف، في الحال، والرغبة في التريث والاستمهال كأنما يريد أن يطيل فرحته باستلامه، أو كأنما يخشى إن هو قرأه الآن أن تذهب لذته وشيكاً بمجرد الفراغ من تلاوته.. وهكذا باتت تنازعه الرغبتان وقتاً، حتى تغلبت في النهاية رغبة حب الاستطلاع، فجعل يفض الغلاف في تأن وحذر، خشية أن يمزق من ورقه أكثر مما ينبغي، وكأنه يضن بقطعة من ورق الخطاب الثمين برميه للبريح[١].

كتبه

توفيق الحكيم من أغنى أدباء هذا العصر فكراً وفناً، وقد صبهما في مؤلفات تزخر بالمعرفة، وعمق النظرة، ورهافة الحس، وسداد الرأي، منها:

(١) محمد (٢) شهرزاد (٣) عودة الروح (٤) أهل الكهف (٥) تحت شمس الفكر (٦) أشعب (٧) عهد الشيطان (٨) براكسا أو مشكلة الحكم (٩) راقصة المعبد (١٠) نشيد الإنشاد (١١) حمار الحكيم (١٢) سلطان الظلام (١٣) من البرج العاجي (١٤) تحت المصباح الأخضر (١٥) تأملات في السياسة (١٦) بيجماليون (١٧) الأيدي الناعمة (١٨) لعبة الموت (١٩) حماري قال لي (٢٠) أشواك السلام (٢١) رحلة إلى الغد (٢٢) رحلة الربيع والخريف (٢٣) يوميات نائب في الأرياف (٢٤) عصفور من الشرق (٢٥) سليمان الحكيم (٢٦) زهرة العمر (٢٧) الرباط المقدس (٢٨) شجرة الحكم (٢٩) الملك أوديب (٣٠) مسرح المجتمع (٣١) مسرحية من الأدب (٣٢) عداته ومن(٣٣) أرني الله(٣٤) عصا الحكيم التعادلية (٣٥) إبريس (٣٦) الصفقة (٣٧) المسرح المنوع (٣٨) السلطان الحائر(٣٩) يا طالع الشجرة (٤٠) الطعام لكل فم(٤١) سجن العمر(٤٢) شمس النهار(٤٣) مصير صرصار(٤٤) الورطة (٤٥) ليلة الزفاف (٤٦) قالبنا المسرحي (٤٧) مجلس العدل.

١- القصة وتطورها في الأدب المصري الحديث، الدكتور مصطفى علي عمر ص: ٢٣٠

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور نجيب الكيلاني

١٩٣١-١٩٩٥م

نشاته وحياته

ولد نجيب الكيلاني في أول يونيه/حزيران عام ١٩٣١م بقرية"شرشابة" التابعة لمركز" رفتي" في محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية، وفي سن الرابعة أدخل مكتب تحفيظ القرآن، حيث تعلم القراءة، والكتابة، والحساب، وقدراً من الأحاديث النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقصص الأنبياء، وقصص القرآن، ثم التحق بالمدرسة الأولية، ثم انتقل إلى مدرسة الإرسالية الأمزيكية الابتدائية بقرية"سبناط" التي تبعد عن قريته حوالي خمسة كيلو مترات، كان يقطعها مشياً على الأقدام ذهاباً وإياباً، وكانت أسرته تعمل بالزراعة، وكان منذ صغره يمارس العلم مع أبناء الأسرة في الحقول.

وقضى المرحلة الثانوية في مدينة" طنطا" عاصمة المحافظة الغربية، ثم التحق بكلية الطب بجامعة القاهرة، وتخرج فيها أوائل الخمسينات، وعمل بمستشفيات الحكومة، ولكنه تعرض للاعتقال والتعذيب أكثر من مرة لاهتمامه بالدعوة الإسلامية، اعتقل مرتين: الأولى عام ١٩٥٤م، وأفرج عنه سنة ١٩٥٨م، والثانية عام ١٩٦٥م، وأفرج عنه عام ١٩٦٩م.

وفي فترة الاعتقال جمع ديوانه الشعري الأول"أغاني الغرباء" ثم كتب روايته الأولى "الطريق الطويل" التي فازت بجائزة وزارة التربية، ونشرتها وزارة الثقافة والإرشاد آنذاك، وقدمها له وزيرها المرحوم فتحي رضوان، وفاز بجائزة التراجم والسير عن كتابه "إقبال الشاعر الثائر" عام

www.abulhasanalinadwi.org

١٩٥٧م.

وفي عام ١٩٥٨م فاز مرة أخرى بعدد من جوائز وزارة التربية والتعليم، ففي مجال الدراسات النفسية والاجتماعية فاز كتابه "المجتمع المريض" وهو دراسة متميزة عن مجتمع السجون، وفي مجال التراجم والسير فاز كتابه" شوقي في ركب الخالدين" وفي مجال الرواية فازت قصته "في الظلام" كما فاز بجائزة مجلة "الشبان المسلمين" في مسابقة القصة القصيرة التي أعلن عنها عام ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٥٩م فاز بجائزة القصة القصيرة لنادي القصة القصيرة، (اتحاد الكتاب) والميدالية الذهبية المهداة من الدكتور طه حسين، كما فاز في العام الثاني بجائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآدب، عن روايته"اليوم الموعود".

وغادر مصر بعد هزيمة ١٩٦٧م للعمل في البلاد العربية، فعمل طبيباً أول الأمر في دولة الكويت، وثانياً في دولة الإمارات العربية المتحدة، ثم تقلب في عدد من المناصب المتعلقة بمهنته كطبيب، كان أهمها أنه قضى عشر سنوات كاملة مستشاراً لوزير الصحة بالإمارات العربية المتحدة، ثم وصل بعد ذلك إلى منصب مدير التثقيف الصحي بوزارة الصحة، ولما أحيل إلى المعاش سنة ١٩٩٢م عاد إلى مصر، بعد غربة تجاوزت ثلاثة وعشرين سنة، وتوفي بعد مرض عضالي عانى منه أشد المعاناة، وكان في أثناء مرضه مثال المؤمن المحتسب، وكانت وفاته في ١٥/١٠/١٤١٥هـ المصادف ٦/٣/١٩٩٥م.

ونال جائزة مجمع اللغة العربية في أوائل السبعينات عن روايته "قاتل حمزة" وحولت روايته"ليل وقضبان" إلى فيلم سينمائي، وقد نال الفيلم الجائزة الأولى في مهرجان طشقند الدولي، ونال ميدالية العلامة الفيلسوف الشاعر محمد إقبال الذهبية مهداة من الرئيس الباكستاني الشهيد ضياء الحق، في الذكرى المئوية للشاعر.

من أهم منجزاته الدعوة إلى قيام أدب إسلامي منذ الخمسينات،

www.abulhasanalinadwi.org

فقد أصدر في هذا المجال عدداً من الكتب النظرية (ثمانية) وعددا من الإبداعات الفنية، التطبيقية في الرواية، والقصة والشعر، وشارك بصورة أساسية فعالة في مؤتمرات الأدب الإسلامي، كما شارك في العديد من الندوات والمحاضرات حول هذا الموضوع طوال الربع قرن الماضي، وقد ترجم الكثير من مؤلفاته إلى اللغات، التركية، والأردية، والفارسية، والإندونيسية، والإنجليزية، والإيطالية، والروسية، والسويدية، وغيرها.

أصدر أول سلسلة من نوعها في الأدب العربي المعاصر عن بعض قضايا ومشكلات العالم الإسلامي، منها: "ليالي تركستان" و"عذراء جاكرتا" و"عمالقة الشمال" عن نيجيريا و"الظل الأسود" عن أثيوبيا وغيرها، وألف الكيلاني عدة روايات وقصص من التاريخ الإسلامي، منها "نور الله" و"قاتل حمزة" و"أرض الأشواق" و"رأس الشيطان" وعمر يظهر في القدس" و"أرض الأنبياء" وفي مجال القصص القصيرة إبداعات قيمة، وفي مجال البحث أيضاً له عدة مؤلفات.

ومن سمات رواياته أنه يضمن الحوار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتظهر براعته في الوصف، وتشخيص الأحداث، ولا توجد في كلامه الثرثرة الفلسفية، أو السياسية التي توجد في روايات كثير من الكتاب في هذا العصر، يبلغ عدد رواياته ٣٤ رواية، وله مسرحيات استلهمها من التاريخ، منها: مسرحية "على أسوار دمشق" وفي السنوات الأخيرة قفز نجيب قفزة فنية هائلة حين انتقل إلى رصد الواقع المعاصر ومعالجته روائياً، وهو في ذلك يمثل الواقعية الإسلامية، لا الواقعية الأوربية، (الانتفاضة والاشتراكية) لأنها محكومة بروح الإسلام، وعدالته غير المنحازة لطبقة أو فئة، وإنما تنحاز للحق و الإنسان.

يقول سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي عن نجيب الكيلاني:

"إن حياة الدكتور نجيب الكيلاني حافلة بالعطاءات الأدبية، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

خلد بقلمه آثاراً قيمة نالت الاعتراف من رجال الفن والأدب، وغطت أعماله جميع أقسام الأدب، فقد كان كاتباً قصصياً، له اتجاه خاص في القصة، ولم يكن الكاتب كالأدباء الآخرين مصوراً لواقع الحياة، وإنما كان معالجاً، ومحللاً لقضايا الحياة، وكانت كثير من قصصه مستوحاة من واقع الحياة التي عاشها الأديب أو عايشها، ثم كان الكيلاني شاعراً له مكانة معروفة في مجال الشعر، وألف كذلك في النقد والدراسات الأدبية، ما له مكانه في مجال النقد، والدراسات الأدبية، كما في فن كتابة السيرة الذاتية، وشرح فكرة" الأدب الإسلامي" وتصوره، وبذلك كان بحق من رواد الفكر الإسلامي المعاصر والمنظرين المبدعين لفكرة الأدب الإسلامي[1].

وقال عنه الدكتور حلمي محمد القاعود:

"إن أديبنا نجيب الكيلاني وفكره وأدبه جميعاً تصب في نهر الخير، والفضيلة، والنهضة، وهي معالم تميز شخصيته وتطبعها بطابع المودة والتسامح والإرادة الصلبة، إنه محب لخير في كل زمان، ومكان، وباحث عنه بالوسائل المتوافرة".

وكان نجيب الكيلاني شاعراً أيضاً، له أكثر من خمسة دواوين، من بينها: "أغاني الغرباء" و"عصر الشهداء" و"نحو العلاء" و"كيف ألقاك" ويتسم شعره في مجمله بالبساطة والوضوح، والتعبير الفطري المباشر، وفيه صياغة عمودية صافية.

نموذج من أشعاره

هواها الشجو والأرق   وقلبي لم يزل يشـق
أهيم بعالم النجـوى   وروحي فيه تحـترق
أنادي يا معـــذبتي   فيرجع لي الصدى القلق
فلم يبسم لنا فجـــر   ولم يعزف لنا غسق

---

[1]- مجلة الأدب الإسلامي، عدد خاص عن الدكتور نجيب الكيلاني رجب ذو الحجة ١٤١٦هـ، كانون الأول ٠(ديسمبر ١٩٩٥م) ونيسان (أبريل) ١٩٩٦م.

www.abulhasanalinadwi.org

وتظلم صفحة الدنيا ويغمر أضلعي ألـف[1]

وقال :

ليلي : تعالي فقيس في متاهتـه طالت قصـائد قيس في صبابته
اليأس أستمه والحزن أسكـره عدوي تعد لفتاك بعض صحوته

وقال :

أيخفى الحب أسراراً وكيف سوره عبق
إذا أخفيت عاطفـة تراوغني وتنطلـق
ودمع العين فضـاح كذاك الشعر والورق

وقال :

يا لعصر مفـــزع يا لأرض مفزعـة
أفقرونا برغـم مـا هيأ الله من سعـــة
جهلوا العدل بالهوى ومشوا خلف إمعة
أخرسوا كل صادق ثم غالوا مسامعـه
وتغنت منـــابر بالخطايا المجمعـــة
طاردوا كل طاهر لوثوا كل رابعـــة
وأباريق ليلنـــــا بالمهانات مشرعـــة
سكر الناس الأسى ريح قلبي وبالضعة
أتراني مفارقـــا أم مع الحشد إمعة
ارتدى ثوب عــزتي أم ثيابا مرقعـــــة
أيها الشعب لم يزل في طريق المنى سعة
رب زيف مسيطــر يكشف الحق يرقعه
أنت يا شعب لم تزل صادق الضر مرجعه
تروع الشوك صـابراً لا تبالي مواقعـــه
كل شعر مجاهـــد نصره زاحف معـه

---

[1]- ديوان مهاجر ص: ٢٨ مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م

www.abulhasanalinadwi.org

نموذج من نثره

"كانت زينب ابنة الحاج مصطفى فتاة وادعة، قليلة الكلام، ذات وجه مثلث تزينه عينان واسعتان سوداوان، وفم دقيق، ولسمرة وجهها جاذبية حلوة، وميلها إلى الصمت يسبغ عليها رونقاً أخاذاً، ويزيد من شدة التعلق بها، والتفكير فيها.

وكانت زينب ترمق الأحداث دون أن تُبدي رأياً، أو تعلق بكلمة، لم يبد عليها أنها تمالئ أمها، أو تميل إلى رأي أبيها، سلوكها ينبي عن السلبية المطلقة، لكن لها عالمها الخاص الذي تعيش فيه والذي لا يقتحمه أحد ليعرف أسراره، وذكرياتها ضئيلة، فهي منذ زمن بعيد لم يعد يصرح لها أبوها أو أمها بمغادرة المنزل، شأن بنات الأسر الكريمة، ولا تختلط بأحد من الزائرين سوى النساء والفتيات من أمثالها، وعند ما تمت خطبتها لمصطفى الفرماوي، تناوبتها مشاعر جديدة، ثرية بالانفعالات والأشواق والأحلام، على الرغم من أنها لم تنفرد به مرة واحدة، أو تحظى بالحديث معه، فأمر زواجها كان شيئاً يخص أباها بالدرجة الأولى، ولم تعرف عن زوجها، في بداية الأمر، إلا بعض الأخبار الغامضة، التي تسمعها على استحياء، حينما تحدثها الخادمات، لكنها استطاعت أن تدبر مع إحداهن طريقة لرؤيته، أحاطتها بكل أنواع الحذر والكتمان، وهكذا أمكنها أن تراه يسير في الشارع من خلف النافذة المغلقة، كان قلبها يدقّ في رعب، ولم تستطع أن تبقى هكذا سوى لحظات قليلة، مخافة أن يفاجئها أحد متلبسة بتلك الجريمة البشعة.. وبعدها كانت تعلم من الخدم أنه قد أتى لزيارة أبيها، فتحاول أن تسترق السمع لعلها تروي شغفها وهي تستمع إلى نبرات صوته.. ومن آن لآخر تهرول إلى النافذة المعهودة لتراه من بعيد وهو ينطلق على شاطئ النيل إلى بيته.

لقد استطاع خيال مصطفى أن يؤنس وحشتها، ويروي أحلامها المتعطشة، وأن يسد فراغاً مخيفاً كان يخيم على روحها القلقة، وأصبح

www.abulhasanalinadwi.org

لاسمه رنين حلو، ولذكراه متعة فريدة لا يستشعرها إلا قلبها الخافق، وكلما اقترب موعد الزفاف سرت في جسدها رعشة لذيذة المذاق، وخالطت يقظتها أحلام جميلة في غموضها وتموجاتها، وهكذا كانت تأوي إلى فراشها وتظل لفترة طويلة مفتوحة العينين، والظلام يحيط بها، لكم تمنت أن تبقى هكذا أبد الدهر.. وتحدثها نفسها أن "مصطفى" سيأتي ويطرق باب نافذتها في رقة وهدوء، ولا شك أنها ستهرع إلى النافذة وتعالجها برفق، ثم تفاجأ بوجهه المشرق، فتشهق مذعورة، أو تبدو وكأنها مذعورة، في الوقت الذي تتمنى فيه أن تظل وقفتها إلى جواره طول العمر.. وتظل تتسمع خطوات السائرين في الطريق، تنتظر أن يأتي فتاها الحبيب لينقر على النافذة .. لكنه لا يأتي.. وتظل تنتظر وتتسمع حتى يسلبها النوم إرادتها، فتغرق في سبات عميق، ولا تكون أحلام النوم إلا امتداداً لأحلام اليقظة.. وأدركت أن دخول طيف مصطفى إلى حياتها قد أعطاها مذاقاً من نوع شهي، فلم يكن غريباً أن تقرأ "الفاتحة" كل مساء لسيدنا الحسين وللسيدة زينب، آملة أن يساعدها أولياء الله الصالحون في الإسراع بموعد الزواج المرتقب.

لكن نفير الحرب ينطلق، وطبول المعركة تدق في أنحاء القاهرة، والأنباء تترى، وعشرات بل مئات الحكايات تُروى عن الغزاة، وعن المعارك المقبلة، وأبوها يغرق في دوامة من الأعمال التي تتعلق بالحرب، وأخوها يترك البيت ولا يأتي إليه إلا لماماً، وأمها لا تفتأ تثير المناوشات والمناقشات الحادة مع أبيها، وإذا لم يكن أبوها موجوداً فأمها لا تكف عن الصخب والاحتداء مع أي إنسان في البيت، دون أن تنتظر جواباً من أحد..ومصطفى هو الآخر، ذهب إلى حيث ذهب أخوها، لكنه بقي معها.. في خيالها.. حتى لحظات الانتظار لدى النافذة في المساء ظلت تشغل فكرها، لأنها لا تستبعد أن يتسلل مصطفى الفرماوي من المعسكر، ويطرق النافذة في هدوء، ثم يشرق عليها بوجهه السمح الحلو، ولعله يجسر أن يلمس

www.abulhasanalinadwi.org

يديها.. إنها تستشعر القشعريرة تسرى في بدنها، لمجرد الفكرة، ثم تصدمها الحقيقة المرة في بعض الأحيان، وهي أن مصطفى يتخذ مكانه في الطليعة، وأنه قد يعود وقد لا يعود!...وشعرت بخنق بالغ مكتوم، وهي تتصور أنه قد لا يعود، واجتاحتها موجة غامرة من السخط الذي لا يجد له منفذا.. ما هذا الذي يحدث ؟؟ ولم كل ذلك؟؟ يبدو أن أمها كانت على صواب، حينما اقترحت الهجرة بعيداً عن القاهرة وكوارثها[١].

مؤلفات الكيلاني

أولاً: الرواية

(١) نور الله (الجزء الأول) (٢) نور الله (الجزء الثاني) (٣) الطريق الطويل (٤) اليوم الموعود (٥) قاتل حمزة (٦) مواكب الأحرار (نابليون في الأزهر) (٧) النداء الخالد (٨) دم لفطير صهيون (٩) عذراء جاكرتا (١٠) ليالي تركستان (١١) عمالقة الشمال (١٢) الظل الأسود (١٣) ليالي السهاد (١٤) رجال وذئاب (١٥) في الظلام (١٦) ليل الخطايا (١٧) ليل وقضبان (ليل العبيد) (١٨) رأس الشيطان (١٩) عذراء القرية (٢٠) الذين يحترفون (٢١) الربيع العاصف (٢٢) طلائع الفجر(٢٣) أرض الأنبياء (٢٤) عمر يظهر في القدس(٢٥) رحلة إلى الله (٢٦) رمضان حبيبي (٢٧) على أبواب خيبر(٢٨) حمامة سلام (٢٩) حكاية جاد الله (٣٠) اعترافات عبد المتجلي (٣١) امرأة عبد المتجلي (٣٢) ملكة الشعب (٣٣) قضية أبو الفتوح الشرقاوي (٣٤) مملكة البلعوطي (٣٥) أهل الحميدية (٣٦) الرجل الذي آمن (٣٧) ابتسامة في قلب شيطان (٣٨) لقاء عند زمزم (٣٩) الرايات السوداء (٤٠) أميرة الجبل (٤١) الكأس الفارغة

المجموعات القصصية

(١) عند الرجل (٢) العالم الضيق (٣) موعدنا غدا (٤) الكابوس (٥) حكايات طبيب (٦) دموع الأمير (٧) فارس هوزان

---

[١]- طلائع الفجر/نجيب الكيلاني، ص: ٥٤-٥٥

www.abulhasanalinadwi.org

الترجمة الذاتية

١. لمحات من حياتي(الجزء الأول)
٢. لمحات من حياتي(الجزء الثاني)
٣. لمحات من حياتي (الجزء الثالث)
٤. لمحات من حياتي (الجزء الرابع)
٥. لمحات من حياتي (الجزء الخامس)
٦. لمحات من حياتي(الجزء السادس)

المسرحيات

(١) على أسوار دمشق (٢) الجنرال علي (٣) محاكمة الأسود العنس (٤)الوجه المظلم للقمر

المجموعات الشعرية

(١) نحو العلا (٢) كيف ألقاك؟ (٣) عصر الشهداء (٤) أغاني الغرباء (٥) مدنية الكبائر (٦) مهاجر(٧) أغنيات الليل الطويل (٨) لؤلؤة الخليج (ديوان لم يكتمل)

دراسات متنوعة

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي(٢) آفاق الأدب الإسلامي (٣) رحلتي مع الأدب الإسلامي (٤) تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية (٥) حول المسرح الإسلامي(٦) القصة الإسلامية وأثرها في نشر الدعوة (٧) نحو مسرح إسلامي (٨) أدب الأطفال في ضوء الإسلام (٩) الإسلامية والمذاهب الأدبية (١٠) الطريق إلى اتحاد إسلامي(١١) الإسلام وحركة الحياة (الجزء الأول) (١٢) الإسلام وحركة الحياة (الجزء الثاني)

(١٣) حول الدين والدولة (١٤) تحت رأية الإسلام (١٥) نحن والإسلام (١٦) الثقافة في ضوء الإسلام (١٧) إقبال الشاعر الثائر(١٨) شوقي في ركب الخالدين (١٩) المجتمع المريض(٢٠) الإسلام والقوى المضادة (٢١) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق (٢٢) أعداء الإسلامية (٢٣) قصة الإيدز (٢٤) الثقافة الصحية (٢٥) مستقبل العالم في صحة الطفل (٢٦) الصوم والصحة (٢٧) رعاية المسنين في الإسلام (٢٨) في رحاب الطب النبوي.

www.abulhasanalinadwi.org

نجيب محفوظ

١٩١١م - ٢٠٠٦م

نشأته وحياته

ولد نجيب محفوظ في ١١/ديسمبر سنة ١٩١١م في بيت القاضي بحيّ الجمالية، نشأ في أسرة متدينة محافظة، وكان أبوه وطنياً متحمساً للزعماء المصريين الوطنيين، والتحق نجيب محفوظ بكتاب الشيخ بحيري سنة ١٩١٥م، ثم تلقى دروسه الأولى في مدرسة الحسينية الابتدائية، وانتقل في المرحلة الثانوية إلى مدرسة فؤاد الأول، وحصل على شهادة البكالوريا.

وفي سنة ١٩٢٤م انتقلت أسرته من حي الجمالية إلى حي العباسية حيث قضى فترتي طفولته وشبابه في المنزل رقم ٩ بشارع رضوان شكري، ولم يغادر نجيب محفوظ هذا المكان إلا بعد زواجه في الخمسينات.

وقد بدأت قراءات نجيب محفوظ بمطالعته للروايات البوليسية مثل "سنكلير" و"جونسون" و" ميلتون توب" وغيرها من الروايات، ولم تكن في أيامه كتب خاصة بالأطفال، لذلك كانت هذه الروايات هي بداية قراءاته في أواخر المرحلة الابتدائية، وأوائل المرحلة الثانوية، وقرأ للمنفلوطي ومترجمات الأهرام، وهي روايات تاريخية في الأغلب، لـ "بول كين" و" تشارلزجارفيس" ، ثم قرأ طه حسين، وعباس محمود العقاد، وسلامة موسى، والمازني، وهيكل، وتوفيق الحكيم، وقرأ أيضاً "البيان والتبيين" للجاحظ، و"الآمالي" لأبي علي القالي، و" العقد الفريد" لابن عبد ربه، واتجه بعد ذلك لقراءة الشعر وبخاصة أشعار أبي العلاء المعري، والمتنبي، وابن الرومي، ودرس اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وقرأ كثيراً

www.abulhasanalinadwi.org

من الأدباء العرب والأجانب، الأدباء الروس، والفرنسيين والإنجليز، والألمانيين، والأمريكيين، ودرس الفلسفة والفنون المتصلة بالأدب، وقرأ كتب تاريخ الفن العالي قديماً وحديثاً، وهو يقول بنفسه عن تكوينه الذهني :

"من العرب تعلمت من القراءة لطه حسين، والعقاد، وسلامة موسى والحكيم، والمازني، ومن الأجانب تولستوى، ودوستويفسكي، و تشيكوف، وجيمس جولس، وشكسبير، وبرنادشو، تعلمت من طه حسين ثورته الفكرية، ومن العقاد الإيمان بقيم معينة، ومن سلامة موسى الإيمان بالعلم والاشتراكية والتسامح الإنساني".

وفي سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦م بدأ كتاباته بتأليف الشعر، وكتب في بادي الأمر شعراً موزوناً، ثم اتجه إلى كتابة القصة القصيرة سنة ١٩٢٩م، وهو طالب في مدرسة فؤاد الأول الثانوية، وفي عام ١٩٣٠م اتجه إلى كتابة المقال، ونشر أولى مقالاته "احتضار معتقدات وتولّد معتقدات" في "المجلة الجديدة" التي كان يصدرها سلامة موسى، ثم اتجه في سنة ١٩٣٢م إلى الترجمة، ونشر له سلامة موسى من مطبعة "المجلة الجديدة" أول كتاب مترجم عن "مصر القديمة" لجيمس بيلي" وقد نشرت أول قصة قصيرة بعنوان" فترة الشباب" بمجلة السياسة، وفي سنة ١٩٣٣م التحق نجيب محفوظ بمعهد الموسيقي العربية، ثم تخرج في قسم الفلسفة بالجامعة المصرية عام ١٩٣٤م، وعين موظفاً بإدارة جامعة فؤاد الأول، ثم عين سكرتيراً برلمانياً، لوزير الأوقاف حتى ١٩٥٠م.

بدأ نجيب إنتاجه بتأليف مجموعة في القصص التاريخي عن مصر الفرعونية، ثم انتقل إلى اللون الاجتماعي، وفي هذه الفترة عالج مشكلات الحياة في مصر، ومن كتبه التي ألفها في هذه الفترة كتاب "القاهرة الجديدة"، و"خان الخليلي"، و"زقاق المدق"، و"بداية ونهاية"، ويرى النقاد أن نجيب في هذه المرحلة أي ما قبل عام ١٩٥٢م كان قاصاً واقعياً، وكأنه

www.abulhasanalinadwi.org

ينقل المجتمع من خلال عدسات الكاميرا، يصور المجتمع تصويراً فوتوغرافياً، وهو صريح صادق في التصوير ليس فيه إيحاء ورموز، وأدى ذلك الالتزام أحياناً إلى ضعف البيان الروائي.

وبعد ثورة ١٩٥٢م تغير قلم الكاتب، فأصبح يصور مصر في المستقبل، بدأ الكاتب هذه المرحلة بكتابة قصة "أولاد حارتنا". كتبها في عام ١٩٥٩م، ويلجأ الكاتب في هذه القصة إلى الرموز، فيرمز بالأولاد شعب مصر، وحارتنا مصر، ويشير فيها إلى صراع بين القديم والجديد، وبين العلم والإصلاح، وبين القهر والخير الاجتماعي، واستقبلت هذه الرواية في أوساط الثوريين، وظن الماركسيون والشيوعيون أن القصة تطابق التصور الماركسي للصراع بين الفكر الموروث والفكر التقدمي، وكاد يصل إلى موقف السخرية من التصور الديني، وعمل القدر في الحياة، ونالت القصة استنكاراً شديداً من الأوساط الدينية، ونال نجيب جائزة نوبل على هذه القصة.

وكتب في ١٩٦١م قصة ثانية "اللص والكلاب" يصور فيها أيضاً الصراع بين العلم والمجتمع، ويرى الكاتب في هذه القصة أن المجرم لا يولد مجرماً، وإنما يختار الجريمة لظلم مجتمعه الذي يعيش فيه، وقد انتقد فيها الساسة الذين يدعون إلى إصلاح حياة الفرد، ومكافحة الفقر والعدل والإنصاف، ثم يمتلكون القصور، ويعيشون حياة بذخ ورخاء، ويحكى كيف يحكم القدر على حياة الطاحين.

وفي سنة ١٩٥٣م عين رقيباً على الأفلام بمصلحة الفنون، ثم عين مديراً للرقابة الفنية عام ١٩٥٤م، وعين رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة السينما، ثم مستشاراً فنياً لها عام ١٩٦٠م، ثم عين رئيساً للجنة القراءة بالمؤسسة العامة لسينما والتلفزيون سنة ١٩٦٣م، وصدر قرار جمهوري بتعيينه عضواً بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ١٩٦٥م، وعين مستشاراً لوزير الثقافة عام ١٩٦٨م، وأحيل إلى المعاش عام ١٩٧١م،

www.abulhasanalinadwi.org

وانضم إلى هيئة تحرير "الأهرام".

ونال جوائز كثيرة، نال جائزة قوت القلوب الدمرداشية عن روايته "رادوبيس" ١٩٤٣م، وجائزة من وزارة المعارف عن روايته "كفاح طيبة" عام ١٩٤٤م، وجائزة من مجمع اللغة العربية عن رواية "خان الخليلي"، وجائزة الدولة في الأدب عام ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٦٢ منح وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى، وحصل على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٧٠م، ونال وسام الجمهورية من الدرجة الأولى عام ١٩٧٢م، ومنحته رابطة التضامن الفرنسية العربية جائزتها عن الثلاثية ١٩٨٥م، وحصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م، ومنحته جامعة القاهرة درجة الدكتوراه الفخرية في الأدب سنة ١٩٨٩م.

ولما نال جائزة نوبل تصاعدت المعارضة له، واعتدى أحد المتحمسين عليه في عام ١٩٩٤م، وقد اعترف نجيب أن هذه الكتابات ترجع إلى عهده السابق، وأنه تاب عن تلك الآراء، وأنه ليس بملحد، ولم يسافر لتسلم جائزة نوبل.

وقد كتب الدكتور أحمد كمال أبو المجد في جريدة الإهرام ١٩٩٤/١٢/٢٩م :

"أوضح نجيب محفوظ حينما زرته في أعقاب الاعتداء عليه أن كتاباتي كلها القديم منها والجديد تتمسك بهذين المحورين الإسلام الذي هو منبع قيم الخير في أمتنا، والعلم الذي هو أداة التقدم والنهضة في حاضرنا ومستقبلنا، وأحب أن أقول إنه حتى رواية أولاد حارتنا التي أساء البعض فهمها لم تخرج عن هذه الرؤية، ولقد كان المغزى الكبير الذي توجت به أحداثها ان الناس حين تخلوا عن الدين ممثلاً في الجبلاوي وتصوروا أنهم يستطيعون بالعلم وحده ممثلاً في عرفة أن يدبروا حياتهم على أرضهم التي هي حارتنا اكتشفوا أن العلم بغير الدين قد تحول إلى أداة شر، وانه أسلمهم إلى استبداد الحاكم وسلبهم حريتهم فعادوا من جديد

www.abulhasanalinadwi.org

يبحثون عن الجبلاوي"[١]

ولكن الداعية الشيخ محمد الغزالي يرفض هذا التأويل فيقول:

"لقد لفت نظري أن من بين الأعمال التي رشحت نجيب محفوظ لنيل جائزة نول "رواية أولاد حارتنا التي نشرت في الخمسينات لصحيفة الأهرام وهذه الرواية هجوم على عقيدة الألوهية ورفض للوحي كله، وإنكار سافر لنبوات موسى وعيسى، ومحمد عليهم الصلوات والتسليمات ونزعة علمانية تجعل الدين أوهاماً ومهازل"[٢].

وقد اعترف سيد قطب في المرحلة الأولى بالطابع الفني لكتاباته، وتنبأ له بمستقبل باهر، ويرى الدكتور حيدر غدير أنه صاحب موهبة بالدرس والمران والصبر، وفي حياته رجل منضبط، يدعو إلى الاحترام والإكبار.

ومما لا شك فيه أنه من دعاة الليبرالية والعلمانية، وحرية الرأى، وقد دافع عن سلمان رشدي، ثم دعا إلى تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وقال نجيب رداً على النقد من قبل الأوساط الإسلامية له أن رواياته فسرت خطأً، وأنه لم يقصد فيها ما فهمه المعترضون، وكان ذلك رد سلمان على النقد الموجه إليه[٣].

نموذج من نثره

إن نجيب محفوظ كما ذكرنا أعلاه راوي وقصصي قدير وكاتب بليغ يصور مجتمعه تصويراً جميلاً مؤثراً ويقدم صوراً حية ماثلة بين يدي القارئ يشهدها ويراها ويكاد أن يخاطبها ويتمتع بأحاديثها ووقائعها، ويسائر مسائلها ومشكلاتها، ويتعاطف معها زاعماً بأنه واقع حقاً، وهو يشير إلى

---

[١]- مجلة المجتمع الكويتية العدد: ١٦٩١، ٢٠٠٦/٣/٤م

[٢]- الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية أحمد أبو زيد مكة المكرمة ١٤١٥

[٣]- نجيب محفوظ من الناحية الفكرية شخصية متنازع فيها، ألف الباحثون كتباً، وكتبوا مقالات في المجلات، وعقدت ندوات في البحث عن شخصيته، منهم من أيده ومنهم من انتقده واعتبره تأثراً كطه حسين.

www.abulhasanalinadwi.org

قدرته على الأسلوب القوي، فها هو يقدم نموذجاً لأسلوب الحياة التي يهيمن فيها كبير الأسرة وسيدها وجميع أفرادها يخضعون لأوامره صماً وبكماً وعمياً لا ينبسوه بكلمة ولا يتقدمون عليه بعمل ولا رأى، يقول في روايته (بين القصرين ص: ٢٣-٢٤):

"وجاءت الأم حاملة صينية الطعام الكبيرة فوضعتها فوق السماط، وتقهقرتْ إلى جدار الحجرة على كثب من خوان وضعت عليه قلة ووقفت متأهبة لتلبية الشارة، وكان يتوسط الصينية النحاسية اللامعة طبق كبير بيضاوي امتلأ بالمدمس المقلي بالسمن والبيض، وفي أحد طرفيها تراكمت الأرغفة الساخنة، وفي الطرف الآخر صفت أطباق صغيرة بالجبن، والليمون والفلفل المخللين، والشطة والملح والفلفل الأسود، فهاجت بطون الإخوة بشهوة الطعام، ولكنهم حافظوا على جمودهم متجاهلين المنظر البهيج الذي أنزل عليهم "كأنه لم يحرك فيهم ساكناً، حتى مد السيد (أحمد عبد الجواد) يده إلى" رغيف فتناوله ثم شطره، وهو يتمتم "كلو" فامتدت الأيدي إلى الأرغفة في ترتيب يتبع السن، ياسين فضهمي ثم كمال، وأقبلوا على الطعام بأدبهم وحياءهم".

ويكتب وهو يصف وضع البيت وحالة حارته وأطفالها:

"لبث مستلقياً في الفراش دون أن يغمض له جفن، وجعل يقلّب عينيه في سقف الحجرة وجدرانها وأرضها، وتساءل قلقاً: تُرى هل تطيب له الحياة في هذا الحي العجيبة؟ ونازعه الحنين إلى شارع قمر وحيّ السكاكيني والبيت القديم، وعلى أنه لم يفارقه كذلك ذاك الشعور المشرق بالأمل الوضاء بالتطلع، ثم ملأت البيتَ حركةٌ متصلةٌ وأتاه صوتا امه والخادم فأدرك أنهما يستأنفان نشاطهما لفرش الشقّة وإعداد الحجرات، وتصاعدت إليه من الطريق ضجة مزعجة وضوضاء فظيعة فأنكرها وأصغى إليها بانتباه فتبيَّن له أنها أصوات أطفال يلعبون ويغنون، وكأنه ضاق برقاده ذرعاً فنهض إلى النافذة المطلة على العمارات وفتحها وراح

www.abulhasanalinadwi.org

ينظر منها إلى الطريق، فرأى جماعات من الصبيان والبنات يملئون الطريق متصايحين متضاحكين، وقد انقسموا فرقاً أكبَّ كل فريق على رياضة، فبدأ الطريق وكأنه ناد رياضي ساذج فهذه جماعة تلعب بالحديد وتلهب الأكف بالطرَّة، وهذه جماعة تلعب بالبلى، وتلك عصبة تحجل وتلك أخرى تتصارع، واقتعد الصغار الطوار يرقصون ويغنون ويصفقون، اضطربت الأرض وضجّ الجو وثار الغبار فأيقين ألا قيلولة منذ اليوم! وسمع أناشيد عجيبة "يا عم يا جمّال"، و"يا أولاد حارتنا توت توت" و"الجبل ده عالي يا عمي" إلخ إلخ، فحار بين الدهشة والحنق، والسرور، ثم تصاعد صوت جهوري أجش غليظ النبرات يصيح كالرعد القاصف، "ملعون أبو الدنيا!" وكرّر صياحه بصوت منغوم على إيقاع كفين شديدتين! . . وكان الصوت صاعداً على الأرجح من دكّان تحت النافذة مباشرة، ولكن من داخلها فلم يستطع رؤية ذلك الذي يتغنى بسب الدنيا ولكنه لم يتمالك نفسه، فأغرق في الضحك حتى تورد وجهه الشاحب، واشرأب بعنقه من النافذة فاستطاع أن يرى لافتة الدكان، وقد نقش عليها بخط جميل" نونو الخطاط" . .. تُرى هل يكتب الرجل لوحات في سبّ الدنيا ويبيعها المتذمرين والساخطين؟.. ألا ما أجدر أن يبتاع منها ما يشفي غليله![1]

يتجلى من دراسة رواياته وقصصه ومسرحياته انه كاتب بارع لبق يدس السم في العسل بكل حنكة وشطارة ليس في رواية أولاد حارتنا وحدها بل في معظم قصصه ورواياته هدفه الوحيد وغايته القصوى تحويل الأمة الإسلامية من مبادئها السامية الزكية وقيمها الخلقية النبيلة إلى النظرات والمبادئ المستوردة من الغرب المادي العلماني الماجن الخليع المدمر، ولكن خاب مسعاه[2].

---

[1]– خان الخليلي، المؤلفات الكاملة نجيب محفوظ، المجلد الأول ص: ٥٣١ مكتب لبنان بيروت ١٩٩٠.

[2]– نجيب محفوظ في ميزان النقد، مجموعة مقالات قام بجمعها ونشرها الأستاذ محسن العثماني الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

يقول الباحث المحقق الكبير الإسلامي أنور الجندي:

"أما قضية أولاد حارتنا فهي عمل أدبي أريد به خدمة هدف سياسي اختير له كاتب له تطلعات ماركسية أو يسارية سبقت هذا العمل بوقت طويل، فقد كتب نجيب محفوظ في المجلة الجديدة التي كان يصدرها صلامه موسى (أكتوبر ١٩٣٠م) عن عالم جديد يقوم على احتضار معتقدات و تولد معتقدات مما يوحى بأن الشيوعية سوف تقضي على الأديان، وتقيم العدل في العالم.

وهذا المعنى هو الذي رسمته قصة "أولاد حارتنا" ووصلت إليه في نهاية المطاف.

ويقول :

"وقد حفلت قصص نجيب محفوظ التي تمثل تاريخ مصر بصور نساء غارقات في الخيانة، ومجتمعات تفوح منها رائحة الحشيش والإباحية، ولقد أعجب الغربيون والمستشرقون بهذه الصور التي قدمها كثير من كتاب القصة، وفي مقدمتهم يوسف السباعي، ونجيب محفوظ، وإحسان عبد القدوس، وتوفيق الحكيم".

ويقول أحمد عباس صالح:

"إن أغلب شخصيات نجيب محفوظ تمثل الإهباط وانه عدمياً في بعض الأحيان حيث لم يضع صورة مثالية، لما يتمناه لهذا المجتمع".

ويقول خليل عبد الكريم:

"إن روايات نجيب محفوظ حفلت بحشد هائل من البغايا والراقصات، والقوادين والديوثيين واللصوص والنشالين والفتوات وصانعي العاهات والمرتشين والملحدين (الأهالي ٢٦/١٠/١٩٨٨م)"[1]

[1]- كتاب العصر تحت ضوء الإسلام/ أنور الجندي، ص: ٢٠٠-٢٠٧.

www.abulhasanalinadwi.org

مؤلفاته

١) همس الجنون .
٢) عبث الأقدار.
٣) رادو بيس .
٤) كفاح طيبة .
٥) القاهرة الجديدة .
٦) خان الخليلي .
٧) زقاق المدق .
٨) السراب .
٩) بداية ونهاية .
١٠) بين القصرين .
١١) قصر الشوق .
١٢) السكرية .
١٣) اللص والكلاب .
١٤) السمان والخريف .
١٥) دنيا الله .
١٦) الطريق .
١٧) بيت سيء السمعة .
١٨) الشحاذ .
١٩) ثرثرة فوق النيل .
٢٠) ميرامار .
٢١) خمارة القط الأسود .
٢٢) تحت المظلة .
٢٣) حكاية بلا بداية ولا نهاية .
٢٤) شهر العسل .

www.abulhasanalinadwi.org

٢٧) الكرنك .

٢٨) أولاد حارتنا .

٢٩) قلب الليل .

٣٠) حضرة المحترم .

٣١) ملحمة الحرافيش .

٣٢) الحب فوق هضبة الهرم .

٣٣) الشيطان يعظ .

٣٤) عصر الحب .

٣٥) أفراح القبة .

٣٦) ليالي ألف ليلة .

٣٧) رأيت فيما يرى النائم .

٣٨) الباقي من الزمن ساعة .

٣٩) أمام العرش .

٤٠) رحلة ابن فطومة .

٤١) التنظيم السري .

٤٢) العائش في الحقيقة .

٤٣) يوم قتل الزعيم .

٤٤) حديث الصباح والمساء.

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الثالث

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

عبد الرحمن الكواكبي

١٨٤٨-١٩٠٢م

ولد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٨٤٨م في بيت يعتز بنسبه، وحسبه، وعلمه، وجاهه. فأسرة الكواكبي كانت فيها نقابة الأشراف في حلب، ولها مدرسة تسمى المدرسة الكواكبية، وأبوه أحد المدرسين في الجامع الأموي بحلب، والمدرسة الكواكبية فيها، وكان والده معروفاً بالفقه والعلم، والذكاء، وكرم السجايا، ورقة الطباع، توفيت أمه وهو في السادسة من عمره، فتعهدته خالة له بأنطاكية كانت من نوادر النساء في الشرف، عرفت بالأدب والكياسة وكبر العقل، قضى الكواكبي في حضانتها وتربيتها ثلاث سنوات، تعلم خلالها اللغة التركية، ثم عاد إلى حلب سنة ١٣٨٢هـ، ودخل المدرسة الكواكبية [1].

وقد تعلم الكواكبي في مكتب أنطاكية ومدرسة حلب كل ما يتلقاه التلميذ فيهما من العلوم المدرسية، وتعلم اللغتين التركية والفارسية، ومبادئ الرياضيات على الأساتذة الخصوصيين من أصدقاء أبيه، وتلقى من أبيه صفوة العلوم الدينية والأدبية، وطالع بنفسه كثيراً من الكتب التاريخية، وعني بدراسة قوانين الدولة العثمانية.

قال صاحب المنار: "إن الفقيد درس قوانين الدولة درساً دقيقاً، وكان محيطاً بها يكاد يكون حافظاً لها، وله انتقاد عليها يدل على دقة نظره في علم الحقوق والشرائع، ولهذا عينته الحكومة في لجنة امتحان المحامين،

---

[1]- زعماء الإصلاح في العصر الحديث للدكتور أحمد أمين، ص: ٢٦٧، ط: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

ولا أعلم أنه برز في فن أو علم مخصوص فاق فيه الأقران، ولكنه تلقى ما تلقاه من كل فن بفهم وعقل بحيث إذا أراد الاشتغال عملاً أو تأليفاً أو تعليماً يتسنى له أن ينفع نفعاً لا ينتظر من الذين صرفوا فيه أعمارهم ... على أن الفقيد لم يتعلم شيئاً من علوم النفس والأخلاق والسياسة وطبائع الملل والفلسفة في مدرسة، وإنما عمدته في هذه العلوم ما طالعه منها من المؤلفات والجرائد التركية والعربية"[1]

والظاهر من سيرة الكواكبي ومن كتابته معاً أنه أصاب من الثقافة القديمة والحديثة، ما يرشحه لأعماله في المدينة ولرسالته في العالم العربي والعالم الإسلامي على عمومه، فلم يوكل إليه عمل من أعمال الحكومة أو المطالب الاجتماعية إلا أثبت فيها كفاية الإدارة الحسنة والنشاط المنجز والتصرف المبتكر الذي يخرج به على الأثر من جمود الوتيرة المشهور في عرف الغربيين بالروتين، ويمضي به إلى نتيجته المقصودة التي عطلها التقليد وطول الإهمال.

وانغمس في الحياة العملية بعد إكمال دراسته، وتنوعت أعماله، وتباينت اتجاهاته، فمن محرر لجريدة رسمية، إلى رئيس كتاب المحكمة الشرعية، إلى قاض شرعي في بلدة من البلاد السورية، إلى رئيس البلدية، ثم هو بين الحين والحين يعتزل الوظائف الحكومية، فينشئ لنفسه جريدة في حلب، أو يشتغل بالأعمال التجارية، أو يقوم بمشروعات عمرانية، من كل ذلك يستفيد خبرة وتجربة بالحياة.

عمل وهو يناهز الثانية والعشرين في صحيفة "فرات" العربية التركية التي أنشأها المؤرخ التركي الكبير جودت باشا، وعمل الكواكبي فيها بنحو عشر سنوات، ثم أنشأ في سنة ١٨٧٨م في حلب أول صحيفة عربية باسم "الشهباء" مع زميله هاشم العطار، ثم أنشأ في سنة ١٨٧٩م

[1]- عبد الرحمن الكواكبي للأستاذ عباس محمود العقاد، ص: ٤، طبع: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

www.abulhasanalinadwi.org

صحيفة "الاعتدال" بعد تعطيل الشهباء لصراحتها في نقد الإدارة وتلميحها إلى وساوس السلطان عبد الحميد، فأصابها ما أصاب الشهباء بعد قليل، ثم قبل العمل في وظائف الحكومة، وتولى في هذه الوظائف ضروباً منوعة من أعمال الإدارة والقضاء والتعليم، ومنها وظائف لها اتصال بالتجارة كإدارة حصر الدخان، ولجنة البيع والفراغ التي تستبدل أرض الحكومة، و رئاسة غرفة التجارة، وفي كل الأعمال الحكومية يصطدم الكواكبي بنظام الدولة، وباستبداد الحكام، وفساد رجال الإدارة، فينازلهم وينازلونه، ويحاربهم ويحاربونه، وينتصر عليه حيناً وينتصرون عليه حينا، وسلاحه دائماً النزاهة والعدل والاستقامة، وسلاحهم دائماً الدسائس واتهامه بخروجه على النظام.

وفي سنة ١٩٨٦م استقال من وظائفه الحكومية، وفتح مكتباً للمحاماة وراح يدافع عن أصحاب الحق، ويحل عقد المشاكل، ويساعد المظلومين، حتى لقب بـ " أبو الفقراء" وقد اتهم بالتآمر مع الأرمن للقيام بثورة في حلب، فاقتيد إلى المحاكمة، فحكم عليه بالإعدام، ثم حكمت محكمة الاستئناف في بيروت ببراءته، وفي سنة ١٨٩٣ عين رئيساً لبلدية حلب، فأصلح ما استطاع إصلاحه من الفساد.

فمن مبتكراته في المجلس البلدي أنه جعل للسابلة طرقاً غير طريق الإبل والدواب، وأقام في ضواحي المدينة سلاسل من الحديد للفصل بين معالم الطريق وتيسير السير للمشاة.

ومنها أنه زاد أجور العمال سداً لذرائع الرشوة والاختلاس، وأنه رتب أوقات العمل وموضوعاته، وخصص الأماكن لكل منها منعاً للزحام والانتظار، وأنه تتبع المهربين للدخان وأجرى عليهم الرواتب والوظائف التي تغنيهم عن التهريب، وأنه ضبط أعمال الغرفة التجارية بالإحصاءات ونظمها على مثال الغرف التجارية في عواصم الحضارة.

ومن مشروعاته إعداد العدة لإنارة المدينة وضواحيها بالكهرباء،

www.abulhasanalinadwi.org

وبناء مرفأ للسويدية، وجلب الماء إلى حلب من نهر الساجور، وتجفيف المستنقعات التي كانت فيما مضى منبعاً للأوبئة والحميات الدورية.

وأنصع صفحة في تاريخ حياة الكواكبي قوة شعوره بفساد حال المسلمين وتخصيص جزء كبير من حياته في تعريف أحوالهم في جميع أقطار الأرض، وتشخيص أمراضهم، وتلمس العلاج لهم، فعكف على مطالعة تاريخهم في ماضيهم وحاضرهم، وما كتبه الكتاب المحدثون في ذلك في الكتب والمجلات، ودرس أحوال المسلمين في المملكة العثمانية، وساح في بلاد المسلمين من الشرق إلى الغرب، ساح في سواحل إفريقيا الشرقية، وسواحل آسيا الغربية، ودخل بلاد الحرب، وحل فيها، واجتمع برؤساء قبائلها، ونزل بالهند وعرف حالها، وفي كل بلد ينزلها يدرس حالتها الاجتماعية والاقتصادية، وحالتها الزراعية، ونوع تربتها وما فيها من معارف، ونحو ذلك، دراسة دقيقة عميقة، ونزل مصر، وأقام بها، وكان في نيته رحلة أخرى إلى بلاد المغرب، يتم فيها دراسته، ولكن عاجلته منيته في مصر يوم ٦/ من ربيع الأول سنة ١٣٢٠هـ، الموافق ١٩٠٢م.

نشر الكواكبي نتيجة دراسته في مقالات كتبت في المجلات والجرائد، ثم جمعت في كتابين: اسم أحدهما" طبائع الاستبداد" والآخر"أم القرى" الأول في نقد الحكومات الإسلامية، والثاني أغلبه في نقد الشعوب الإسلامية.

أسلوبه

يتسم أسلوب الكواكبي بسمة الأسلوب الذي تكتب به التواريخ، و الرحلات، وسلسلت عبارته في نسق مرسل واضح يقرر الواقع، ويتبع المشاهدة، ويتبسط في وصف ما يراه بالفكر كما يتبسط في وصف ما يراه بالعيان، وكان الأسلوب الخطابي من الأساليب المحببة إلى الكواكبي في كتابته.

www.abulhasanalinadwi.org

نماذج من نثره

يقول الكواكبي وهو يختم كلامه على الاستبداد:

"على ذكر اللوم الإرشادي لاح لي أن أصور الرقي والانحطاط في النفس، وكيف ينبغي للإنسان العاقل أن يعاني إيقاظ قومه، وكيف يرشدهم إلى أنهم خلقوا لغير ما هم عليه من الصبر على الذل والسفالة، فيذكرهم ويحرك قلوبهم ويناجيهم وينذرهم، بنحو الخطابات الآتية"

ثم يقول:

"يا قوم ينازعني والله الشعور هل موقفي هذا في جمع حي فأحييه بالسلام، أم أنا أخاطب أهل القبور فأحييهم بالرحمة".

"يا هؤلاء! لستم بأحياء عاملين ولا أموات مستريحين، بل أنتم بين بين في برزخ يسمى السبت، ويصح تشبهه بالنوم.

"يا رباه، إني أرى أشباح أناس يشبهون ذوي الحياة وهم في الحقيقة موتى لا يشعرون، بل هم موتى لأنهم لا يشعرون.

"يا قوم؟ هداكم الله، إلى متى هذا الشقاء المديد، والناس في نعيم مقيم، وعز كريم، أفلا تنظرون؟".ويقول وهو ينادي الشرق:

"رعاك الله يا شرق! ماذا أصابك فأخل نظامك، والدهر ذاك الدهر، ما غير وضعك ولا بدل شرعه فيك".

"رعاك الله يا شرق! ماذا عراك وسكن منك الحراك، ألم تزل أرضك واسعة خصبة، ومعادنك وافية غنية، وحيوانك رابياً متناسلاً، وعمرانك قائماً متواصلاً، وبنوك - على ما ربيتهم أقرب للخير من الشر.. أليس عندهم الحلم المسمى عند غيرهم ضعفاً في القلب، وعندهم الحياء المسمى بالجبانة، وعندهم الكرم المسمى بالإتلاف، وعندهم القناعة المسماة بالعجز، وعندهم العفة المسماة بالبلاهة، وعندهم المجاملة المسماة بالذل؟ ..نعم ما هم بالسالمين من الظلم، ولكن فيما بينهم، ولا من الخداع، ولكن لا يفتخرون به، ولا من الإضرار ولكن مع الخوف من الله".

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول وهو يخاطب الغرب :

"رعاك الله يا غرب وحياك وبياك.. قد عرفت لأخيك سابق فضله عليك، فوفيت وكفيت، وأحسنت الوصاية وهديت، وقد اشتد ساعد بعض أولاد أخيك، فهلا ينتدب بعض شيوخ أحرارك لإعانة أنجاب أخيك على هدم ذاك السور، سور الشؤم والسرور، ليخرجوا بإخوانهم إلى أرض الحياة، أرض الأنبياء الهداة.

"يا غرب! لا يحفظ الدين غير الشرق إن دامت حياته بحريته، وفقد الدين يهددك بالخراب القريب.."[١]

ويقول وهو يصف الطبقة العليا من الأمة :

"الفتور بالغ في غالب الطبقة العليا من الأمة، ولا سيما في الشيوخ، مرتبة (الخور في الطبيعة) لأننا نجدهم ينتقصون أنفسهم في كل شيء، ويتقاصرون عن كل عمل، ويحجمون عن كل إقدام، ويتوقعون الخيبة في كل أمل، ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الأجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم، فيندفعون لتقليد الأجانب وأتباعهم، فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدنا، وينخدعون لهم فيما يغشونهم به، كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به، فمنهم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات، وكإهمال التمسك بالعادات القومية، فمنهم من يستحي من عمامته، وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر، وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين، وكالغفلة عن إيثار الأقربين في المنافع، وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني، وإن كان على الحق، إلى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين الحميدة في الأجانب، لأن الأجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون بها دونهم.

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات ألفوها

---

[١]- عبد الرحمن الكواكبي للأستاذ عباس محمود العقاد

www.abulhasanalinadwi.org

عمرهم، كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية، فإنهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجله، وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابتهم، وألفوا الثبات كالأوتاد تحت المطارق، وألفوا الانقياد ولو إلى المهالك، وألفوا أن تكون وظيفتهم في الحياة دون النبات، ذاك يتطاول وهم يتقاصرون، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الأرض، كأنهم للموت مشتاقون.

وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر، فصاروا يسمون التصاغر أدباً، والتذلل لطفاً، والتملق فصاحة، واللكنة رزانة، وترك الحقوق سماحة، وقبول الإهانة تواضعاً، والرضاء بالظلم طاعة، كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً، والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً، ومد النظر إلى الغد أملاً، والإقدام تهوراً، والحمية حماقة، والشهامة شراسة، وحرية القول وقاحة، وحب الوطن جنوناً[١].

نموذج من شعره

لا شك أن الكواكبي قد حاول وسيلة من وسائل التعبير لإبلاغ دعوته إظهاراً للحقيقة لا إظهاراً للفصاحة، فإنه قد عالج نظم الشعر، وترك ديواناً من الشعر لم تبق منه غير كناشة من القصائد في الحكمة، والنسيب، وأغراض المدح، والرثاء، والهجاء، تزيد أبياتها على ثلاثة آلاف، وأثبت الكواكبي في "أم القرى" بعض منظوماته في شبابه فافتتح الكتاب بإحدى القصائد يقول فيها :

دراك فإن الدين قد زال عزّه ... وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فكان له أهل يوفون حقه ... بهدي وتلقين وحسن تلقن
هلموا إلى بذل التعاون إنه ... بإهماله إثم على كل مؤمن
هلموا إلى "أم القرى" وتعاونوا ... ولا تقنطوا من روح رب مهيمن

---

[١]- أم القرى لعبد الرحمن الكواكبي

www.abulhasanalinadwi.org

فإن الذي شادته الأسياف قبلكم هو اليوم لا يحتاج إلا الألسن

واختتم الكتاب بقصيدة أخرى يقول منها:

غير تمو حيارى ما بأنفسكم فغير الله عنكم سابغ النعم
الله لا يهلك القرى إذا كفرت وأهلها مصلحون في شؤونهم
يا قومنا صححوا توحيد بارئكم بدون إشراك أحياء ولا رمم
ونقحوا الشرع من حشو ومخترع رجعى إلى دين أسلاف ذوي همم
هذى وسيلتكم لا غيرها أبداً فاسعوا لنهضتكم ياخيرة الأمم
سياسة الدين أولى ما تساس به شتى الخلائق من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم خضراء سوداء حول الركن والحرم

ΔΔΔ

www.abulhasanalinadwi.org

الأستاذ محمد كرد علي

١٨٧٦- ١٩٥٢م

نشأته وحياته

الأستاذ محمد كرد علي من أصل عراقي، كردي الجنس، عربي المربى، شامي الموطن والولادة، والوفاة، إسلامي التفكير والمعتقد، سلفي النزعة، لا تأخذه في الله لومة لائم.

ولد محمد كرد علي سنة ١٨٧٦م في أسرة من الأكراد، قدمت من السليمانية بشمالي العراق، وأقامت بدمشق، وعملت في الزراعة و التجارة، وكانت بعيدة كل البعد عن الكتب والعلم والتأليف، ولكن والده عبد الرزاق أسلم ولده منذ السادسة من عمره إلى التعلم في المدرسة الابتدائية، وزار مرة مع والدته وهو في السادسة من عمره الشيخ محمد الطنطاوي فرأى في بيته رفوفاً من الكتب صاعدة إلى سقف البيت، وتعلق قلبه بأعمدتها، فطالب والده أن يكون له ما للشيخ فاشترى والده الكتاب بعد الكتاب، واستقدم الأستاذ بعد الأستاذ إلى الدار، وانقلب البيت إلى مكتب، وانقلبت الغرف الواسعة إلى مكتبة، فصحب الفتى اليافع الكتب، ولازمها، وقرأ فيها الثقافة العربية والإسلامية.

ومال إلى مطالعة الجرائد اليومية والمجلات الشهرية، و سنّه لم تتجاوز الثالثة عشرة وحين أتم الابتدائية دخل المدرسة الثانوية وتعلم الفرنسية، وكانت لغته العربية والفرنسية تؤهله لمطالعة الصحف باللغتين، واشترك في جريدة "صديق الريف" الفرنسية الأسبوعية الصادرة في باريس وكان مشغوفاً بقراءة جريدة "لسان الحال" كما كان يطالع بعض الصحف

www.abulhasanalinadwi.org

التركية الصادرة في اسطنبول، وخاصة المجلات الأدبية والتاريخية، فنشأت فيه رغبة إلى الأدب والصحافة والثقافة بصورة عامة، وما بلغ السادسة عشرة حتى بدأ يكتب أخباراً ومقالات في الجرائد، وراح يرتشف من مناهل الأدب والعلم على يد علماء عصره، وفي مقدمتهم الشيخ طاهر الجزائري، والسيد سليم البخاري، والشيخ محمد المبارك، ونما في نفسه حب العربية وآدابها، وأحب الكتب القديمة، ودرس كتب الأدب العربي وكتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع وأقوال الشعوب ومدنياتهم، وطالع بالفرنسية ما كتبه فولتير وروسو ومونتسكو وبنتام، وسبنسر وفولية، وتين، ورنان، وسيمون، وقرأ المجلات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية، والأدبية باللغة الفرنجية.

ومن الكتب العربية التي درسها محمد كرد علي: مقامات الحريري، ورسائل الخوارزمي، والصابي، والأصفهاني، والزمخشري، وكتب الجاحظ، وابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب، وسهل بن هارون، وأبي حيان التوحيدي، والكامل للمبرد، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وتاريخ العتبي والمثل السائر لابن الأثير.

وتأثر بالقرآن الكريم وتمثل بلاغته، ودرس طرفاً صالحاً من كتب الحديث، وحفظ المعلقات السبع بشروحها، وعدداً من دواوين العرب، وديوان المتنبي، وقصائد عمر بن أبي ربيعة، والبحتري، وأبي تمام والشريف الرضي، وابن الرومي، والطغرائي، والأرجاني، والمعري، وغيرهم من الشعراء والخطباء والكتاب من كل عصر، وقرأ المخطوطات وبحث عنها في خزائن الآستانة ودمشق، والقاهرة، ولندن، وروما، وفي مكتبة الأمير كايتاني.

إنه كان يقرأ كثيراً، وكان طلعة، لا يمل المطالعة، كما كتب مترجموه، ويهضم ما يقرأ، وفي غالب الأحيان يعرض ما انتفع به على الناس ويشركهم في المعرفة التي حصل عليها من قراءاته وقد درس كل ما

www.abulhasanalinadwi.org

يتصل بالمستشرقين وما أنتجوا من بحوث أو أحيوا من كتب دراسة دقيقة واعية وشاملة، وكان له اطلاع واسع على ما نشره علماء الاستشراق الفرنسيون والألمان والروس والإنكليز والهولنديون والإيطاليون وما نشرته الجامعات الأمريكية مثل جامعة شيكاغو وييل وبرنسون.

وسافر كرد علي إلى الآستانة ومصر ولبنان ورحل إلى أوربة أربع مرات، وصف ما شاهده في الغرب من غرائب، وصف فرنسا وزار ريفها، ووصف مدارس الريف ودور الحضانة وزار علماء الاستشراق في بلجيكا وهولندا وزار مكتبة ليدن، كما زار جامعتي آكسفورد وكيمبردج، وقد كتب في مذكراته " زرت أوربا أربع مرات في سنة ١٩٠٩م، ١٩١٣م ١٩٢١، و١٩٢٨م،وكانت الغاية من رحلاتي تجديد ما رثّ من قواي وترويض الجسم، وتسلية الروح، والتعرف إلى مدينة الغرب، ودرسها في أرضها درساً علمياً بعد صرف جانب من الوقت في درس النظريات".

في مجال الصحافة

الأستاذ محمد كرد علي من الرواد الأوائل الذين عبدوا طريق الصحافة العربية في سورية، فقد كان أول من أصدر صحيفة عربية يومية في دمشق، هي "المقتبس"أصدرها في سنة ١٩٠٨م على إثر عودته من مصر بعد إعلان الدستور، وكان قد بدأ الكتابة في الجرائد وهو في الثالثة عشرة من عمره، فكتب في جريدة"بيروت" الأسبوعية، وصحيفة "لسان الحال" وكتب في "صديق الريف" الفرنسية الأسبوعية وحرر في جريدة "الشام" لصاحبها مصطفى واصف الشقللي، ثم اتصل بمجلة "المقتطف" وشارك في تحرير البحوث اللغوية والأدبية الإصلاحية والتاريخية وكتب في الجرائد الصادرة في مصر، مثل "المصري" و" الرائد" و"الظاهر"و"المؤيد" فطارت شهرته في الآفاق وأصدر مجلة المقتبس الشهرية، ولما عاد إلى الشام أنشأ جريدة"المقتبس" اليومية.

وكان محمد كرد علي يصور في مقالاته في الجرائد والمجلات عصور

www.abulhasanalinadwi.org

الظلم والاستبداد ويحارب الجهل والجهلاء، ويدعو إلى التحرر من الخرافات، ويدعو إلى التجديد والأخذ بالصالح من وسائل المدنية الحديثة ولا سيما العلوم والصناعة، وثار على القديم الفاسد، ودعا إلى إحياء التراث النافع، وناشد الناشئة أن يعرفوا ماضي أمتهم، ويتعمقوا في دراسة آدابها ومعارفها، ويتفهموا التاريخ العربي تفهماً مجرداً عن التعصب والجمود.

وحضر محمد كرد علي دروس المفتي محمد عبده، وقد تعرف عليه بواسطة السيد رشيد رضا صاحب" المنار" كما كان يحضر خلال إقامته بمصر مقهي حديقة الأزبكية حيث كان يجتمع محمد المهدي، وأحمد الإسكندري، ومحمد الخضري، وعبد العزيز شاويش، وحسن توفيق العدل، وسلطان محمد، وحفني ناصف وأحمد إبراهيم، وحسن منصور، ومحمد دياب، ومحمد عبد المطلب، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وأحمد زكي، وأحمد تيمور، وعبد الرحمن الكواكبي، ورشيد رضا، والشيخ طاهر الجزائري، ومصطفى لطفي المنفلوطي، ومحمد لطفي جمعة، وعلي بهجة، ورفيق العظم وشبلي شميل وغيرهم من كبار العلماء والأدباء.

واختير كرد علي مرتين للوزارة زار خلالها الدول الأوربية.

في المجمع العلمي العربي

بعد قيام حكومة عربية في سورية برئاسة الملك فيصل في أعقاب الحرب العالمية الأولى أنشئ ديوان للترجمة والتأليف وإدارة شؤون المعارف، يضطلع بوضع المصطلحات اللغوية، وإبدال المفردات التركية بالألفاظ العربية، وتعريب لغة الديوان وتقرير الكتب اللازمة للمدارس، فعين الحاكم العسكري الفريق على رضا الركابي الأستاذ محمد كرد علي رئيساً لهذا الديوان، ثم تحول هذا الديوان في ٨ حزيران سنة ١٩١٩م برئيسه وأعضائه بأمر الحاكم العسكري علي رضا باشا الركابي إلى "المجمع العلمي العربي"، وهو أول مجمع علمي عربي ابتكره الأستاذ كرد علي في

www.abulhasanalinadwi.org

العالم العربي على غرار "المجمع الفرنسي"

ولقد بذل الأستاذ محمد كرد علي جهداً مشكوراً في تكوين هذا المجمع العلمي العربي وإدامته وإبعاده من التيارات السياسية والحزبية وأعطاه من وقته وجهده وماله الشيء الكثير فأصبح المجمع مثابة للإشعاع الفكري ومنبعاً لنشر الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، وقام المجمع بإحياء التراث العربي، ونشر المؤلفات العلمية والأدبية محققة.

وأصدر المجمع العلمي العربي مجلة باسم المجمع في كانون الثاني ١٩٢١م وله فضل في تقويم اللسان العربي.

وتوفي في ٢ نيسان ١٩٥٣م وهو في السابعة والسبعين ودفن في مقبرة الباب الصغير بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه..

أسلوبه

كان كرد علي صحفياً ومنشئاً مترسلاً يمتاز أسلوبه بالرقة من غير تفخيم، وسهولة في التعبير، من غير تكلف، ويرسل النفس على سجيتها، يتخير الألفاظ،ويسعى لاستعمال الكلمة البليغة، وأقرب الألفاظ عنده ما خف على اللسان، وراق السمع، وتغلب على مقالاته طبيعة الاستقصاء حتى عدّ بين أصحاب الأساليب وقد قرنه الأستاذ محمد عبد الفتاح في كتابه" أشهر مشاهير أبناء الشرق" بالعقاد، وطه حسين، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والرافعي، والمنفلوطي وقاسم أمين، وعده الأستاذ جمعة إسماعيل في الأدباء الخمسة أصحاب الأساليب.

وكتب عنه محمد بهجة الأثري: "الأستاذ محمد كرد علي أمة في رجل أهلته مواهبه العديدة لأن يكون أحد بناة النهضة الحديثة وقادتها الكبار في بلاد العرب، نافح عن العروبة والإسلام، ودعا إلى الحرية، وقاوم الاستبداد وأجال قلمه في ميادين مختلفة مستنهضاً وباعثاً على الحركة والإحياء والتجديد، وكتب ما كتب في الأدب والتاريخ والاجتماع والسياسة ببيان سهل ممتع، ورأي سديد، ووفر لمؤلفاته مادة غزيرة وتحقيقاً

www.abulhasanalinadwi.org

جيداً ، فزخرت بالمفيد الممتع ، وجمع علمه بين أفضل ما في القديم وأمتع ما في الحديث من المعارف الإنسانية[١]

ويقول الأستاذ جمال الدين الآلوسي : يتسم أسلوبه بالرقة ، وانتخاب المفردات ذات الدلالة الموضوعية من غير تعقيد أو تفخيم أو تكلف فلا يقصد الاستعارة أو التجنيس أو المطابقة إلا إذا جاءت عفواً وإنما يرسل قلمه على طبعه ، جمله تارة تطول وحيناً تقصر ، يعنى بالمعاني أكثر مما يعنى بالمباني".

نماذج من أسلوبه

يقول في وصف الأندلس وحنينه إليها في كتاب في غابر الأندلس وحاضرها :

عشقتها ولم تسعدني الأيام بإمتاع النظر في جمالها ، واستطلعت طلع أخبارها فروي الرواة عنها عجائب ، أقلها مما يستهوي النفوس المتمردة ، ويأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية ، تفردت بين بنات جيلها ، بما خصت به من معاني الحسن والإحسان ، فكثر الخطاب والطلاب ، وهي لا تفتأ تبدي لمن أمّ حماها صنوفاً من اللطف والظرف ، وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم ، وترشقهم بنظرات لا تخلو من غمزات تريد بها الهزوء بنكبات الزمان والاستخفاف بسخافة الإنسان.

عشقتها منذ عهد الصبا ، وعشق الصبا شديد ، لما قرأته الباصرة من وصف سجاياها وحملته إلى البصيرة ففكرت فيه ، وتدبرت خوافيه وحواشيه ، وزادني غراماً بها ما سمعت من أن أناساً قبلي أصيبوا بما أصبت به ، وعدوا النزول في حماها ولو ساعة ، سعادة العمر ، وحسنة الدهر ، العشق فنون وعشقي كان لأرض الأندلس.

عشقتها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا على أديمها من أبنائها وغير أبنائها وكانت المخيلة تتصورها في مظاهر صح بعضها يوم اللقاء ،

---

[١] محمد كرد علي/ جمال الدين الآلوسي مقدمة الكتاب.

www.abulhasanalinadwi.org

وآخر كان بالطبع كالخيال، في الأندلس تم نحو نصف مدنية العرب الباهرة، وقضوا في أرجائها نحو ثمانية قرون كانت بجملتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة، ودور ظهور النوابغ، وأرباب الإبداع، والقرائح، وكم من أمة من أمم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست وأوجدت لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا أن تبلغ مكانة الأندلس، فكان هذا الصقع في منقطع أرض الغرب وآخر أرض العرب بين البحرين المحيط والمتوسط برهاناً أزلياً على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعياً على من أنكروا لإفراطهم في الشعوبية فضل هذه الأمة على الحضارة.

أقام الغربيون ضروباً من المصانع من بيع وأديار ومتاحف ومكاتب ومدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وتماثيل ونصب، وبرك، لكنهم لم يضعوا على كثرة تفننهم في هذا الشأن، منذ عهد اليونان والرومان، طرزاً من البناء يكلمك ولا لسان له فيقول وينظر إليك فيعمل في شغاف قلبك، ولا عين له فينظر ويطربك بتساوق نغماته من دون ما صناجة ولا وتر ولا ألحان.

مصانع كثيرة بقيت بقاياها في طليلة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة سلبتها الفتن والجهل تارة شطراً من بهائها وسالمتها حيناً فأبقت عليها، ورممت شيئاً مما أضرت به عوامل الأيام وإن لم تعد إليها نضرتها الأولى.

سلام على أرض طيبة خصها الخالق بأجمل الهبات الطبيعية، فلم ينقصها زكاء تربة في نجادها ووهادها، ولا مياها عذبة دافقة من هضابها على شعابها ولا أشجاراً باسقة وزروعاً خصبة في سهلها ووعرها، ولا اعتدال مواسم وجمال إقليم ومصحة أبدان زانها الصانع السماوي بإيجاده كما زانها الصانع الأرضي بإبداعه وما أجمل الطبيعي والصناعي إذا تواعدا إلى الاجتماع في خير البقاع"[1].

ويقول وهو يودع غوطة دمشق:

[1] حاضر الأندلس وغابرها/ محمد كرد علي.

www.abulhasanalinadwi.org

"وداعا غوطة الفيحاء، مجلي الطبيعة، ومغنى الأنس، وروضة الطيبات، ومهبط التجليات، سلام زكي كتربتك المسكية وجمال بسطك السندسية، عطر كأنوار أدواحك الجنية، وتحية طيبة تتساقط على عمرانك تساقط الوابل والطل على جنانك الغيباء، وحراجك الغلباء، وأشجارك الميلاء، وغلتك الكثيرة الأتاء، سلام غوطة دمشق كلما غردت أطيارك فملك على المشاعر سجع الحمام واليمام، وهديل العندليب والهزار، وتغريد العصفور والشحرور، كيف لا تستهوين النفس، ونعيق الغربان ونقيق الضفادع إذا رددهما الصدى في لياليك، يفسرهما القلب بمعان لا نفهم منهما في الكور الأخرى كما يفسر في النهار ثغاء الماعز، وجؤار البقر، وخوار الثيران".

ويقول وهو يصور "مدينة الرسول":

"تأملت كثيراً في مسجد الرسول أثناء الصلاة وغيرها، فما رأيت إلا خشوعاً من جميع من يختلفون إلى الحضرة النبوية الشريفة، ولا سيما من غير الناطقين بالعربية، فقلت في نفسي، وقد سمعت خطبة الجمعة وهي لا تخرج عن حد التزهيد في العمل والإعراض عن الدنيا، كسائر خطب الجوامع في بلاد الإسلام خلافاً لما كانت عليه سنة السلف الصالح، ولكن لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً" كما قال علي كرم الله وجهه فوا رحمتاه لغربة الإسلام! لو أدار هذه القوة المعنوية رجال دين سليم وعقل راجح، لكانت فوائد هذا الاجتماع من حيث الدين والمدنية أضعاف أضعاف فوائده اليوم، فكما أرسل عليه الصلاة والسلام شعاعاً من نور حكمته قلب به العالم، وغير بشريعته الطاهرة الأرجاء، هكذا يحمل دعاة دينه والمؤتمنون على تراثه وسياسة المهتدين بهديه ما تستنير به العقول في هذا المجمع، ويعم ضياؤه سكان الخافقين، وهذا من القوى المهمة التي أضعناها، و كم أضعنا مواهب وقوى"[١]

---

[١] محمد كرد علي/جمال الدين الآلوسي ص: ٢٩٣-٢٩٤، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة

www.abulhasanalinadwi.org

مؤلفاته

له مؤلفات وتحقيقات علمية حول موضوعات التاريخ والأدب، والاجتماع والدين والإصلاح والسياسة والدفاع عن الإسلام، والعروبة والعربية، والرد على الشعوبية والعنصرية، والحضارة الغربية والأعلام الإسلاميين، منها ما يلي:

١. يتيمة الزمان في قبعة ليفمان
٢. ترجمة الأسماء التركية
٣. الحرية السياسية
٤. تاريخ الحضارة
٥. الفضيلة والرذيلة
٦. المجرم البرئ
٧. القديم والحديث
٨. خطط الشام
٩. دمشق مدينة السحر والشعر
١٠. الإسلام والحضارة العربية
١١. الإدارة الإسلامية في عز العرب
١٢. أمراء البيان
١٣. كنوز الأجداد
١٤. أقوالنا وأفعالنا
١٥. الآراء الإسلامية في غير العرب
١٦. الحكومة المصرية في الشام
١٧. الرحلة الأنورية إلى الأصقاع الحجازية
١٨. غابر الأندلس وحاضرها
١٩. رسائل البلغاء

الثقافة والإعلام، بغداد، العراق.

www.abulhasanalinadwi.org

ومن الكتب التي حققها

- سيرة أحمد بن طولون لأبي محمد عبد الله بن المديني البلوي
- حكماء الإسلام لظهير الدين أبي الحسين علي بن زيد البيهقي
- المستجاد من فعلات الأجواد لأبي على الحسن بن علي التنوخي
- كتاب الأشربة لابن قتيبة كتاب البيزرة (أحوال جوارح الصيد) بازيار العزيز بالله الفاطمي

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور مصطفى السباعي

١٩١٥-١٩٦٤م (١٣٣٣- ١٣٨٤هـ)

نشأته وحياته

يعتبر الدكتور مصطفى السباعي علماً بارزاً من الأمة الإسلامية في العصر الحديث، ورمزاً من رموز الفكر والدعوة في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين، فقد كان مصلحاً كبيراً وباعث نهضة حقيقية ومنارة من منارات الإسلام الشامخة، وكان عالماً متفتح الذهن، آتاه الله علماً واسعاً، وذكاءاً حاداً، وبديهة حاضرة، وأسلوباً مؤثراً نادراً في الحوار، والكتابة، وجرأة في الحق، وقدرة على التصدى للباطل، وقوة في الإيمان، ويقظة في الضمير.

ولد مصطفى السباعي بمدينة "حمص" عام ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) وهو سليل أسرة عريقة وبيت علمي، كان أجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص جيلاً بعد جيل، وكانت لأبيه مجالس علمية مع الفقهاء، يتدارسون فيها الفقه على تعدد مذاهبهم، وقد تأثر الشيخ السباعي بعد أسرته بمجلة" الفتح" وشخصية صاحبها الشيخ محب الدين الخطيب، وقد نفخت هذه المجلة فيه روح الجهاد والكفاح للأمة الإسلامية، وهو في بداية طلبه للعلم، يقول هو نفسه:

" لا أعرف أن لأحد فضلاً علي فيما أجده في نفسي من غيرة على الإسلام، وحمية في الدفاع عنه، وآلام بالغة مما وصلت إليه حالة المسلمين، إلا لرجل واحد أحببته قبل أن أراه، ثم لم تزدني معرفتي به إلا حباً فوق حبي له، وإكباراً لا يدانيه إكباري لأحد من رجالات المسلمين

www.abulhasanalinadwi.org

اليوم، ذلك هو المسلم الذي فهم الإسلام حق فهمه، وخدمه حق خدمته: الأستاذ محب الدين الخطيب".

حفظ السباعي القرآن الكريم، وتلقى التعليم الابتدائي وألوان العلوم العربية والشرعية على يدي والده نفسه، وعلى أيدي علماء حمص الذين كانوا يفدون إلى بيت أبيه، ثم التحق بالمدرسة المسعودية التي أسسها الشيخ طاهر الرئيس بالمدينة، ثم التحق بالثانوية الشريعة، وتخرج فيها عام ١٩٣٠م، وكان له شغف زائد بالقراءة والمطالعة ولا يقتصر على كتب المدرسة ومناهج التدريس.

وفي سنة ١٩٣١م اعتقل وهو ابن ستة عشرة عاماً بتهمة توزيع منشورات تندد بالاستعمار الفرنسي في بلاد المغرب العربي، ثم أفرجت عنه، ثم ما لبث أن اعتقل مرة ثانية عام ١٩٣٢م بتهمة التحريض على السلطات الاستعمارية في خطبه في المسجد الكبير في حمص، ولبث في السجن ستة أشهر.

وفي عام ١٩٣٣م سافر إلى مصر، والتحق بكلية الشريعة بالأزهر، وتخصص في الفقه والأصول، ونال الإجازة من كلية أصول الدين بتفوق.

وتعرف خلال دراسته في الأزهر على دعوة الإخوان المسلمين، وانتسب إليها، وصار من أبرز أعضائها، يخطب في مراكزها وشعبها وفروعها، ويشارك في مظاهراتها، ويحضر أحاديث مرشديها الشيخ حسن البنا، وذكر الأستاذ السباعي أنه كان على صلة بالشيخ حسن البنا في أيام محنته، ثم في أيام استشهاده في عام ١٩٤٩م، وتعرض للملاحقة على هذه الصلة.

وقد ألقى مرة خلال دراسته في الأزهر خطبة مثيرة حماسية أغضبت السلطات البريطانية فسجنته في عام ١٩٣٤م، ثم اتهمته السلطات البريطانية بتشكيل جمعية سرية لتحريض المصريين على الثورة، فألقي عليه القبض مرة أخرى عام ١٩٤١م، وسجن لأربعة أشهر، عاد بعدها إلى حمص، ثم اعتقلته السلطة الاستعمارية، ثم نقلته إلى بيروت،

www.abulhasanalinadwi.org

وأمضى في الاعتقال ثلاثين شهراً.

وبعد الإفراج عنه وعودته إلى مدينته حمص قاد المظاهرات الحاشدة ضد الاستعمار الفرنسي والإنكليزي. وبدأ يكتب في مجلة "الفتح"، وقد فجرت مقالاته في الفتح طاقاته الكامنة ومواهبه بالإضافة إلى خطبه المثيرة، ووجد في الكتابة والخطابة وسيلة للتعبير عن ما يجيش في نفسه من آلام وآمال

في التعليم

في عام ١٩٤٤م بدأ عمله مدرساً لمادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية في ثانويات حمص، ثم انتقل إلى دمشق وتحول من التعليم الرسمي إلى التعليم الخاص، وأنشأ بالتعاون مع بعض العناصر الصالحة بدمشق" المعهد العربي الإسلامي" الذي كان له الفضل في تخريج أفواج من الشباب المزود بالوعي والخلق، ثم أنشأ فروعاً له أخرى في عدد من المحافظات.

وأسس في حمص "الرابطة الدينية"، وفي دمشق "جمعية شباب محمد" صلى الله عليه وسلم، و"جمعية الشبان المسلمين".

وفي عام ١٩٤٥م أنشأ بعد عودته من مصر بالتعاون مع إخوانه الجناح السوري لجماعة الإخوان المصرية، واختير مراقباً عاماً له، وله مواقف مشهودة في عدة معارك حاسمة منها معركة القناة، و العدوان الثلاثي على مصر.

وفي العام نفسه ١٩٤٥م قاد الثورة المسلحة على الاستعمار الفرنسي في مدينته حمص وقاد المظاهرات فيها، وأطلق الرصاصة الأولى، إيذاناً بالكفاح المسلح حتى يتحقق النصر، ويخرج الاستعمار من أرض الوطن، وقد تم الجلاء في ١٧/٤/١٩٤٦م.

وفي الشام دخل في جهاد فلسطين مجاهداً بقلمه ولسانه، وجاهد على أرضها بدمه وماله، وله في ذلك مقالات تؤلف مجلدات، وخطب تثير الهمم.

www.abulhasanalinadwi.org

وفي عام ١٩٤٦م مثل هو ونائبه الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري إخوان سوريا في الهيئة التأسيسية للجماعة في مصر، وكان الإمام حسن البنا الشهيد قد اقترح على الهيئة ضم السباعي والأميري فوافقت بالإجماع على ضمهما، وكان أول من يدخلها من غير الإخوة المصريين.

و في عام ١٩٤٨م قاد السباعي مجاهدي الإخوان المسلمين السوريين وشارك بهم في حرب فلسطين، وخاض معهم معارك ضارية في القدس وما حولها.

وفي عام ١٩٤٩م خاض الانتخابات عن مدينة دمشق، وانتخب نائباً لرئيس المجلس التأسيسي (البرلمان) وكان أحد التسعة الذين عهد إليهم بوضع مسودة الدستور، ولعب دوراً قيادياً في استبعاد الطابع العلماني عن الدستور، وتثبيت اللون الإسلامي على معظم أحكامه الأساسية.

وفي العام نفسه حصل السباعي على الشهادة العالمية من درجة أستاذ الدكتوراه في الفقه والأصول وتاريخ التشريع الإسلامي، وكانت رسالته بعنوان" السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" وقد فرغ من إعدادها في ٦/ رجب ١٣٦٨هـ (٤/مايو ١٩٤٩م) نوقشت في عام ١٩٥٠م، وكان في هذا الوقت عضواً في الجمعية التأسيسية (البرلمان) وهذا هو أول مؤلفاته العلمية، وتقدم به إلى أبيه الشيخ حسني السباعي رحمه الله.

وفي ١٩٥٠م عين مدرساً في كلية الحقوق في الجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) لمادتي الأحوال الشخصية والشريعة، كما صار رئيساً لقسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في الكلية.

وفي ١٦/١/١٩٥٢م حل الرئيس الشيشكلي جماعة الإخوان واعتقل قائدها السباعي، ثم نفاه إلى لبنان، وفي لبنان كان للسباعي نشاط كبير.

أقام في لبنان عشرة أشهر كانت حافلة بالنشاط والعطاء العلمي المتميز، وأتاحت له هذه الفترة فرصة أفضل للبحث والدرس، والتأمل، ويرى الناقدون أنه من المعجبين بأسلوب الرافعي، ومن تلاميذ مدرسته،

www.abulhasanalinadwi.org

كما كان ممن تأثر به الشيخ عبد الرحمن الكواكبي وأسلوبه.

ويعد سقوط الشيشكلي في ٢٥/١/١٩٥٤م عاد السباعي إلى سوريا.

وفي عام ١٩٥٥م أسس كلية الشريعة لجامعة دمشق بعد أن خاض معارك ضارية مع العلمانيين الذين حاولوا الحيلولة دون ذلك، وكان أول عميد لها.

ثم ألف مع نفر من زملائه الأزهريين لجنة باسم "لجنة الشؤون الإسلامية بالأزهر" في أوائل عام ١٩٥٥م، كانت غايتها رفع صوت الأزهر عالياً بالدفاع عن الإسلام، وتشريعه، ورد كيد أعدائه، وتتبع نهضات المسلمين وأخبارهم، واحتجاج الأزهر و استنكاره لكل عدوان يقع على أمة مسلمة في بلد إسلامي.

وفي ٨/٦/١٩٥٦م عادت الجماعة إلى العمل قانونياً بقرار ألغى قرار حلها أيام الرئيس الشيشكلي، وبجهود طيبة بذلها السباعي وأعوانه وأصدقائه، وبرز السباعي كأكبر وجه معارض لما سمي بالسيطرة الشيوعية على سوريا أيام حكم التجمع القومي عام ١٩٥٦م.

وفي مطلع عام ١٩٥٦م دبرت المؤامرة لاغتياله، ولكن المؤامرة باءت بالفشل.

وقد أوفدته الجامعة السورية عام ١٩٥٦م لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الإسلامية فيها، فزار تركيا، وإيطاليا، وبريطانيا، وإيرلندة، وبلجيكا، وهولندة، والدانمارك، وفنلندة، والنرويج، والسويد، وألمانيا، والنمسا، وسويسرا، وفرنسا، وقد أتاحت له هذه الرحلة العلمية التي استغرقت أربعة أشهر فرصة الالتقاء بعدد من المستشرقين ومحاورتهم ومجادلتهم بشأن التاريخ الإسلامي، والحضارة والثقافة الإسلامية، وقد نقل بعض هذه الحوارات في كتابه السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي.

وفي عام ١٩٥٧م رشحته الجماعة للانتخابات التكميلية ضد مرشح

www.abulhasanalinadwi.org

التجمع القومي، وهو البعثي رياض المالكي.

وبعدعودته من رحلته العلمية للاتحاد السوفياتي في عام ١٩٥٧م هجم عليه مرض شديد شل أكثر من نصفه الأيسر، وكانت فترة مرضه من أبرك الأوقات، فقد تفرغ للعلم، وأتحف المكتبة الإسلامية بمجموعة رائعة من المحاضرات والكتب.

وكان للسباعي باع طويل في مجال الصحافة، ففي عام ١٩٤٧م أنشأ جريدة "المنار" بسوريا، وفي عام ١٩٥٥م أسس مع آخرين مجلة "الشهاب" الأسبوعية ونفس العام حصل على ترخيص إصدار مجلة "المسلمون" الشهرية بعد توقفها في مصر، ثم أصدر مجلة "حضارة الإسلام" في دمشق.

أسلوبه

كان السباعي مع عنايته بالعناصر الرئيسية للأدب، متحرراً من القوالب الجامدة التي تعيق التعبير اللغوي، والصياغة الفنية، والشكل الأدبي والأسلوب الرقي قادراً على تسخيرها لخدمة العقيدة والحضارة التي كان شديد الاعتزاز بها.

عالج السباعي الشكوك والشبهات حول الإسلام بأسلوب مؤثر رزين، ومنطق معاصر، وكانت معالجته لمشاكل العصر والمسائل التي أثارها الكتاب الغربيون ومن اغتر بكتاباتهم من المسلمين معالجة تتسم بالدقة والمعرفة التامة والتعبير المقنع، وكشف زيغ المستشرقين، وتصدى للكتاب المسلمين المتجددين الذين وقعوا في الفخ الذي نصبه المستشرقون و خدعوا بأسلوبهم العلمي المزعوم، وقد بذل جهداً جباراً في هذا المجال بمؤلفاته ومقالاته في مجلة "حضارة الإسلام" وركز الدكتور مصطفى السباعي جهده على كشف زيغ المستشرقين وتدسيسهم، وعلى تصوير الحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي تصويراً لائقاً، وعلى الدفاع عن المصادر الإسلامية الأصيلة، وعلى دعوة المسلمين إلى اتباع شريعتهم

www.abulhasanalinadwi.org

والاقتداء بمثل الإسلام وهو يؤكد أن الحضارة الإسلامية هي التي تضمن السعادة والفلاح، وألف كتباً في عرض التاريخ الإسلامي، وتمجيد الحضارة الإسلامية لخلق روح الاعتزاز بها في الجيل الجديد.

يقول عنه الأستاذ محمد المبارك:

"كان السباعي أستاذ جيل، وقائد رعيل، وكاتباً أديباً، ومؤلفاً منتجاً، وقلما تجتمع هذه الصفات في رجل واحد وقد جمعها الله فيه.

ويقول عنه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي:

"إنه متزن الفكر، متدفق البيان، يجري كالسيل، يمتاز حديثه وخطبه بنصاعة البيان، ووضوح الفكرة، وجمال اللغة، وحلاوة الجرس".

وقال العلامة أبو زهرة إنني لم أر في بلاد الشام أعلى من السباعي همة، وأعظم منه نفساً، وأشد منه على الإسلام والمسلمين حرقة وألماً.

وقال عنه المرحوم خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق: ما نحسب شيخنا مصطفى السباعي إلا من طراز أولئك الفقهاء المتقدمين في الشعر الذين صحت لغتهم، واشتدت عارضتهم، وانطلق لسانهم أمثال أبي الأسود الدؤلي، وعروة بن أذينه، والإمام الشافعي، وسوار بن عبد الله القاضي، وكلهم من وجوه الفقهاء المتقدمين.

نموذج من أسلوبه

يقول:

"ثلاثة عشر عاماً أمضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة يدعوهم إلى الله وينهاهم عما كانوا عليه من شرك وضلال، فلم يلق من أكثرهم إلا عنتاً وإرهاقاً، كذبوه وقد كانوا له من قبل النبوة مصدقين، وآذوه وكانوا له من قبل مكرمين، ورموه بالفحش وكانوا له عن ذلك منزهين، قذفوه بالتهم، فصفح عنهم، ودعوا عليه فدعا لهم، وتمنوا له الموت فتمنى لهم الحياة، ورموه بالحجارة فرماهم بالهدى والرحمة، وقال: " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" عظمة تتضاءل دونها كل عظمة

www.abulhasanalinadwi.org

في الكون، وخلق خضع له الكون إجلالاً وإكباراً، وأهوال لو أفرغت على الجبال لدكتها دكاً، ولكن نفس محمد صلى الله عليه وسلم كانت أكبر من الدنيا، فلم تعبأ بكل ما في الدنيا[١].

ويقول:

"ما بال هؤلاء الناس يغدون ويروحون؟ ما بالهم طائرين في الجو، مسرعين في البر والبحر، هجروا رفاهية الحياة، وفارقوا الأهل والأولاد، وتخففوا من الهموم والأعباء، وتحرروا من المطامع والأهواء، وتناسوا الكراهية والبغضاء، واطرحوا الترف والرخاء، ولبسوا الخفيف البسيط من اللباس، وتواضعوا فلا علوّ ولا كبرياء، وتساووا فلا أغنياء ولا فقراء، وابتسموا فلا هموم ولا أحزان، وتعاونوا فلا بغي ولا عدوان، واتقوا فلا رفث ولا عصيان، وتعارفوا فلا تقاطع ولا هجران، وتعارفوا وهم شتى في لغاتهم لا يتكلمون إلا بلغة القرآن، أفئدتهم كأفئدة الطير، وأعمالهم كأعمال الملائكة، وأرواحهم كأرواح الأنبياء، وأخلاقهم كأخلاق الأولياء.

.. لبيك، سنسرع إلى تلبية ندائك، وسنهرع إلى لقائك، وسنصغى السمع إلى أوامرك ونواهيك، وسنجدد في نفوسنا ذكريات المجد والخلود التي شاءت إرادتك أن تنطلق من حول بيتك المحرم، وسنزور رسولك وحبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم، اعترافاً منا بفضله، وتجديداً للعهد معه أن لا نلقي اللواء التي تسلمناه منه جيلاً بعد جيل، وتيمنا به صلى الله عليه وسلم أن تنعم بالشفاء على من أبطأ به المرض عن النشاط في الجهاد في سبيلك، والدعوة إلى هديك وشريعتك، واستمداداً منه صلى الله عليه وسلم بعض عزماته التي بلغ بها رسالتك، وأدى بها أمانتك، عسى أن نسير على هديه، ونتخلق بأخلاقه، ونكون معه في جنات رضوانك ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ، إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

---

[١]- الفتح: العدد: ٤٥٠

[٢]- سورة الشعراء: ٨٨-٨٩

www.abulhasanalinadwi.org

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١].

لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك"

ويقول:

"من مكر الشيطان ببعض جنود الدعوة: أن يهيجهم لإنكار منكر هو عند الله صغير، أو أمر يرونه منكراً وهو عند صاحبه طاعة، فيقعون في كبائر محققة يتلو بعضها بعضاً من الغرور، والبهتان، واحتقار المسلم، وتجاوز حدود الله، وتفريق كلمة الجماعة، والغيبة والكذب، وهم يتأولون ذلك كله بأنه حمية ودفاع عن دعوته لطالما يقهقه الشيطان من حماقاتهم".

ويقول:

" لئن شق موسى بحراً من الماء فانحسر عن رمل وحصى، فقد شق محمد صلى الله عليه وسلم بحوراً من النفوس فانحسرت عن عظماء خالدين، ولئن رد الله ليوشع شمساً غابت بعد لحظات، فقد رد الله بمحمد إلى الدنيا شمساً لا تغيب مدى الحياة، ولئن أحيا عيسى الموتى ثم ماتوا، فقد أحيا بمحمد أمماً ثم لم تمت".

مؤلفاته

١. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي..
٢. اشتراكية الإسلام.
٣. دعوة الإسلام واقعية، لا خيال.
٤. أخلاقنا الاجتماعية.
٥. من روائع حضارتنا.

---

[١]- سورة الغافر: ١٧

www.abulhasanalinadwi.org

٦. عظماءنا في التاريخ.
٧. شرح قانون الأحوال الشخصية السوري.
٨. المرأة بين الفقه والقانون.
٩. هذا هو الإسلام (جزءان).
١٠. السيرة النبوية (دروس وعبر).
١١. هكذا علمتني الحياة.
١٢. القلائد من فرائد الفوائد.
١٣. العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ.
١٤. أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسنة.
١٥. الإخوان المسلمون في حرب فلسطين.
١٦. الاستشراق والمستشرقون.
١٧. الصراع بين العقل والقلب.
١٨. دروس في دعوة الإخوان المسلمين.

www.abulhasanalinadwi.org

سيد قطب الشهيد
١٩٠٦- ١٩٦٦م

دراسته :

هو سيد قطب إبراهيم حسيني شاذلي، ولد في قرية "موشة" إحدى قرى محافظة أسيوط في صعيد مصر في ٩/١٠/١٩٠٦م، وقد أمضى السنوات الست الأولى من عمره في حضن أمه، ولما ناهز السنة السادسة أدخله والده الحاج قطب إبراهيم المدرسة الابتدائية في القرية عام ١٩١٢م، حيث حفظ القرآن الكريم، وعمره عشر سنوات، وتخرج فيها حاملاً الشهادة الابتدائية عام ١٩١٨م، لكنه انقطع عن الدراسة سنتين بسبب ثورة سنة ١٩١٩م.

وبعد ما هدأت الأمور واستقرت الأحوال سافر إلى القاهرة وهو في الرابعة عشرة من عمره للدراسة فيها سنة ١٩٢٠م، وأقام عند خاله أحمد حسين عثمان في حي "الزيتون"، وانقطع عن الدراسة أكثر من سنة، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية في القاهرة عام ١٩٢٢م، وكان اسم المدرسة" مدرسة عبد العزيز" ودرس فيها ثلاث سنوات، وتخرج منها عام ١٩٢٤م حاملاً إجازة" الكفاءة للتعليم الأولى" وهي الشهادة التي تمنحها لخريجها، ثم التحق بالمدرسة الثانوية "تجهيزية دار العلوم" عام ١٩٢٥م، وكانت تابعة لكلية دار العلوم، وقضى سيد قطب فيها أربع سنوات، وتخرج فيها سنة ١٩٢٩م، ثم التحق بدار العلوم بالقاهرة في نهاية نفس العام، ودرس فيها أربع سنوات، وتخرج فيها عام ١٩٣٣ حاملاً معه شهادة" الإجازة العالية" ـ البكالوريوس ـ في اللغة العربية وآدابها، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

درس سيد قطب في دار العلوم العلوم الشرعية، والعربية، والمنطق، وعلم الكلام، والفلسفة، واللغة العربية، واللغة السريانية ومقارنتها باللغة العربية، والتاريخ، والاقتصاد السياسي.

وظيفته في وزارة المعارف:

وقد عمل سيد قطب فور تخرجه في مدارس وزارة المعارف، عين مدرساً في "تحضيرية الداوودية" في القاهرة بتاريخ ٢/١٢/١٩٣٣م، وظل فيها حوالي عامين، ثم انتقل إلى مدرسة "دمياط" الابتدائية بتاريخ ١/٩/١٩٣٥م، ولكن جو "دمياط" لم يلائم صحته فانتقل منها إلى مدرسة "بني سويف" في ١/١٢/١٩٣٥م، ومنها انتقل إلى مدرسة "حلوان" الابتدائية في ١/١/١٩٣٦م، حيث بقي أكثر من ثلاث سنوات، وفي "حلوان" استأجر بيتاً بقي فيه طيلة عمره، ثم اشتراه من مالكه، وتملكه، ثم نقل إلى وزارة المعارف بتاريخ ١/٣/١٩٤٠م، وعمل فيها محرراً عربياً في مراقبة الثقافة العامة، ثم عمل في إدارة الترجمة والإحصاء مدة، ومنها نقل مفتشاً بالتعليم الابتدائي عام ١٩٤٤م بسبب غضب وزير المعارف عليه لنشاطه الثقافي والأدبي والسياسي، ثم أعيد إلى إدارة الثقافة العامة عام ١٩٤٥م، وكان رئيسه فيها أحمد أمين، وبقي في عمله حتى أواخر عام ١٩٤٨م.

أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا في عام ١٩٤٨م في بعثة حكومية لدراسة نظم التعليم والتربية الحديثة هناك، وأقام بها سنتين، ثم عاد منها ١٩٥٠م، وكان لسفره إلى أمريكا تأثير عميق على ذهنه، حيث شاهد الحضارة الغربية عن كثب، ورأى علاتها ومساويها، فكشف سياسة أمريكا واتهمها بإفساد الفطرة، وتدمير خصائص الإنسان التي تقوم على العناية بالروح والقيم الإنسانية.

وعين مراقباً مساعداً بمكتب وزير المعارف، ثم نقل إلى منطقة القاهرة الجنوبية عام ١٩٥١م، ثم أعيد إلى الوزارة في عام ١٩٥٢م ليعمل مراقباً مساعداً بالبحوث الفنية، و المشروعات، وأخيراً قدم استقالته من

www.abulhasanalinadwi.org

الوزارة سنة ١٩٥٢م بعد خدمة قاربت تسعة عشر عاماً، (١٩٣٣-١٩٥٢م) عندما أثارت آراؤه ضد الغرب ضجة في أوساط المتنورين.

حياته الصحافية والسياسية:

انتظم في شبابه مع حزب الوفد، وبقي فيه حتى عام ١٩٤٢م وكتب في صحف ومجلات الحزب مقالات وأبحاثاً كثيرة، ونشر فيها قصائد عديدة، نشر أول مقال له في صحيفة" البلاغ" عام ١٩٢٢م، وكان عمره ستة عشر عاماً، واستمرت صلته بالصحف والمجلات أكثر من ثلاثين عاماً، ولم تتوقف إلا عند إدخاله السجن عام ١٩٥٤م، وكان يكتب نثراً ونظماً، ويكتب مقالات أدبية نقدية أو تربوية، أو اجتماعية، أو سياسية، ومن المجلات التي كتب فيها "البلاغ" و"الجهاد" والحياة الجديدة"و"الأهرام" و"المقتطف" و"الوادي" و"الرسالة" و"الثقافة" و"دار العلوم"و"كوكب الشرق" و"روز اليوسف" وغيرها من المجلات والصحف.

وفي عام ١٩٥٣م انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين عملياً، وأمضى بقية عمره معها، وأسندت إليه أعمال ثقافية ودعوية، من إصدار جريدة "الإخوان المسلمون" وإلقاء أحاديث ومحاضرات في مناسبات، وقد سافر إلى دمشق عام ١٩٥٣م للمشاركة في مؤتمر" الدراسات الاجتماعية" مندوباً عن "لجنة الدراسات الاجتماعية المصرية" والتقى في دمشق مع قادة العمل الإسلامي في سوريا، أمثال على الطنطاوي، وعصام العطار، وقاد التنظيم الإخواني الجديد بإذن المرشد العام حسين الهضيبي فكرياً أولا، ثم عملياً وفعلياً، واعتقل في مطلع عام ١٩٥٤م مع قيادات الإخوان المسلمين، وبقي معتقلاً ثلاثة أشهر، ثم اعتقل بعد حادث" المنشية" في ٢٦/١٠/١٩٥٤م، وقدم للمحاكمة عام ١٩٥٥م، وحكمت عليه محكمة الثورة بالسجن خمسة عشر عاماً، وأفرج عنه عام ١٩٦٤م بعفو صحي بعد تدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف، ولكن سرعان ما اعتقل مرة أخرى عام ١٩٦٥م بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم، وعذب عذاباً

رهيباً تقشعر من هوله الأبدان، وحوكم محاكمة جائرة ظالمة أصدر بعدها الفريق فؤاد أحمد دجوي حكماً بالإعدام عليه، وعلى إثنين من إخوانه، ونفذ الحكم فيه قبل بزوغ فجر يوم الإثنين ١٩٦٦/٨/٢٩م، الموافق ١٣/جمادي الأولى ١٣٨٦هـ.

وإن الفترة التي قضاها سيد قطب في جماعة الإخوان المسلمين هي مرحلة النضج الفكري والحركي له، وقدم سيد قطب في هذه المرحلة كتباً وأبحاثاً، ودراسات واعية ناضجة، حوت خلاصة فهمه للإسلام، وتدبره للقرآن، وتصوره للعمل والدعوة، والحركة والجهاد، وأصبح بهذه الأبحاث والدراسات رائداً للفكر الإسلامي المعاصر، والكتب التي أصدرها في هذه المرحلة هي" ظلال القرآن" و"هذا الدين" و"المستقبل لهذا الدين" و" الإسلام ومشكلات الحضارة" و"خصائص التصور الإسلامي" و"مقومات التصور الإسلامي" و"معالم في الطريق".

حياته الأدبية

بدأ حياته أديباً ورفض لاتجاهه الإسلامي أن يبعث إلى أوربا بعد تخرجه رغم نبوغه، وحلق قطب في سماء الأدب نجماً لامعاً، كاتباً مجيداً، وشاعراً مبدعاً، وكاتباً منافحاً عن العقاد ضد الرافعي.

وكانت له صلة بالأدباء والمفكرين والنقاد، منهم عباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات، والدكتور طه حسين، وتوفيق الحكيم، وإبراهيم عبد القادر المازني، ومحمود تيمور، والدكتور محمد مندور، وعبد الحميد جودة السحار، وأحمد أمين، وعبد القادر حمزة، ويحيى حقي، وأحمد زكي أبو شادي، وعلي الطنطاوي، وخاض معارك أدبية ونقدية مع عدد من الأدباء حول مسائل خاصة في الأدب، والنقد، والفن، والحياة، تمت فيها مساجلات أدبية حادة، بينه وبين كثير من الأدباء، وأثار كثيراً من المسائل والقضايا الأدبية، وفي ربيع عام ١٩٤٥ م قدم كتابه الرائع الأول "التصوير الفني في القرآن" وقد أعجب بالكتاب

www.abulhasanalinadwi.org

الأدباء والنقاد والمثقفون، وأشادوا به.

تأثر سيد قطب في الأدب بمدرسة العقاد، ودافع عنه، وساهم بقلمه في الاتجاه الأدبي والوطني حتى علا نجمه.

واعتبر الأدباء والنقاد سيد قطب رائد نظرية جمالية قرآنية، بدأ في عام ١٩٤٥م مشروعاً أدبياً نقدياً أسماه "مكتبة القرآن الجديدة" وأصدر كتابه "مشاهد القيامة في القرآن" سنة ١٩٤٧م، وأصدر مجلة "الفكر الجديد" عام ١٩٤٨م، ولم تستمر إلا ثلاثة أشهر، وأغلقتها الحكومة في مارس ١٩٤٨م.

كان أسلوبه في المعارك والمساجلات الأدبية قوياً حاداً هجومياً، يهاجم كل من حوله بعبارات قوية عنيفة، ومن أشهر معاركه الأدبية معركة "المنبر الحر" عام ١٩٣٤م، ومعركته مع جماعة "أبو للو" الأدبية التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، ومعركته مع أنصار الرافعي عام ١٩٣٨م، ومعركته مع دريني خشبة عام ١٩٤٣م، ومعركته مع محمد مندور ١٩٤٣م، ومعركته مع صلاح ذهني عام ١٩٤٤م، ومعركته مع عبد المنعم خلاف عام ١٩٤٥م، ومعركته مع إسماعيل مظهر عام ١٩٤٦م.

ولما سافر إلى القاهرة انفتحت أمامه أبواب العلم والأدب والمعرفة الثقافة، وكان لديه فهم عجيب للمعرفة والدراسة والثقافة، يقرأ ويتثقف ويبحث بدون توقف أو ملل أو انقطاع، وفتحت دراسته الأدبية والثقافية عينه على مختلف مجالات المعرفة في الفكر والتصور، وفي البحث والنظر، وكان متميزاً في نظراته الأدبية، والنقدية، وله نظرة متكاملة في النقد الأدبي، تبنى فيها " المنهج المتكامل" في النقد الأدبي، كما ظهر هذا في كتابيه النقديين "كتب وشخصيات" و" النقد الأدبي أصوله ومناهجه".ثم أقبل على القرآن الكريم يدرسه دراسة أدبية نقدية فنية بيانية، يتذوق أسلوبه وبيانه، وعزم على إصدار سلسلة دراسات أدبية بيانية قرآنية تحت عنوان "مكتبة القرآن الجديدة" وانصرف عن دراساته الأدبية وألف كتابه الفكري الأول "العدالة الاجتماعية في الإسلام" عام ١٩٤٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

أسلوبه

أسلوبه التصوير الفني فإنه يستخدم الألفاظ القليلة المؤدية للمعاني الكثيرة، وخاصة الألفاظ التي تصور المعاني، وقد بحث الجوانب الفنية في القرآن بكتبه العديدة كأديب، ومن هذه الكتب التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، وله تفسير في ظلال القرآن حاول فيه الجمع بين اقتضاء الدعوة والأدب.

يقول الدكتور جابر قميحة:

"كان الشهيد سيد قطب من أبرز النقاد ومنظري الأدب في العصر الحديث، حتى انه وهو طالب في كلية دار العلوم ألقى محاضرة بعنوان"مهمة الشاعر في الحياة" وطبعت بعد ذلك في كتاب، لقد تتلمذنا على كتب سيد قطب ومنهجه النقدي، وكانت كتبه تمثل كتاب السراج للشباب بجانب كتب الإمام حسن البنا، وأبي الحسن على الحسني الندوي"، (رسالة الإخوان العدد: ٤٣٠، ٢٠٠٥م)

أدبه ونقده

يمثل سيد قطب جيل الكتاب الذين اختاروا الأسلوب الهجومي، والاستعلاء بإيمانه القوي أن هذا الدين، دين الغلبة، لأنه دين حق، والحق يعلو، سواء توفرت له أسباب القوة، أم لم تتوفر، فإن هذه الدعوة تتغلب على الصعاب، فحث على الاجتهاد والعمل في سبيل إحقاق الحق يقول:

"لم تكن الدعوة في أول عهدها في وضع أقوى ولا أفضل منها الآن، كانت مجهولة مستنكرة في الجاهلية، وكانت محصورة في شعاب مكة، مطاردة من أصحاب الجاه والسلطان فيها، وكانت غريبة في زمانها في العالم كله، وكانت تحف بها إمبراطوريات ضخمة عاتية تنكر مبادئها وأهدافها" ويقول:

ولكنها مع هذا كله كانت قوية، كما هي اليوم قوية، وكما هي غداً قوية، إن عناصر القوة الحقيقية كامنة في طبيعة هذه العقيدة ذاتها،

www.abulhasanalinadwi.org

ومن ثم فهي تملك أن تعمل في أسوأ الظروف وأشدها حرجاً، إنها تكمن في الحق البسيط والواضح الذي تقوم عليه، وفي تناسقها مع الفطرة التي لا تملك أن تقاوم سلطانها طويلاً، وفي قدرتها على قيادة البشرية صعداً في طريق التقدم، وفي أية مرحلة كانت البشرية من التأخر أو التقدم الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعقلي .. كما أنها تكمن في صراحتها هذه وهي تواجه الجاهلية بكل قواها المادية فلا تخرم حرفاً واحداً من أصولها، ولا تربت على شهوات الجاهلية، ولا تتدسس إليها تدسيساً إنما تصدع بالحق صدعاً، مع إشعار الناس بأنها خير ورحمة وبركة.

والله الذي خلق البشر يعلم طبيعة تكوينهم ومداخل قلوبهم، ويعلم كيف تستجيب حين تصدع بالحق صدعاً في صراحة وقوة، وبلا تلعثم ولا وصوصة؟!

إن النفس البشرية فيها الاستعداد للانتقال الكامل من حياة إلى حياة، وذلك قد يكون أيسر عليها من التعديلات الجزئية في أحيان كثيرة.. والانتقال الكامل من نظام حياة إلى نظام آخر أعلى منه وأكمل وأنظف، انتقال له ما يبرره في منطق النفس.. ولكن ما الذي يبرر الانتقال من نظام الجاهلية إلى نظام الإسلام، إذا كان النظام الإسلامي لا يزيد إلا تغييراً طفيفاً هنا، وتعديلاً طفيفاً هناك؟ إن البقاء على النظام المألوف أقرب إلى المنطق، لأنه على الأقل نظام قائم، قابل للإصلاح والتعديل، فلا ضرورة لطرحه، والانتقال إلى نظام غير قائم ولا مطبق، ما دام أنه شبيه به في معظم خصائصه"!.

ويدعو سيد قطب إلى هجر الأسلوب الدفاعي، ويحث على الاعتزاز بالإسلام، وكشف القناع عن الحضارة الأوربية المزعومة فيقول:

"وليس في إسلامنا ما نخجل منه، وما نضطر للدفاع عنه، وليس فيه ما نتدسس به للناس تدسساً، أو ما نتلعثم في الجهر به على حقيقته، إن الهزيمة الروحية أمام الغرب وأمام الشرق وأمام أوضاع الجاهلية هنا وهناك

www.abulhasanalinadwi.org

هي التي تجعل بعض الناس .. " المسلمين" !.. يتلمس للإسلام موافقات جزئية من النظم البشرية ، أو يتلمس من أعمال" الحضارة" الجاهلية ما يسند به أعمال الإسلام وقضاءه في بعض الأمور.

إنه إذا كان هناك من يحتاج للدفاع والتبرير والاعتذار فليس هو الذي يقدم الإسلام للناس ، وإنما هو ذاك الذي يحيا في هذه الجاهلية المهلهلة المليئة بالمتناقضات وبالنقائص والعيوب ، ويريد أن يتلمس المبررات للجاهلية ، وهؤلاء هم الذين يهاجمون الإسلام ، ويلجئون بعض محبيه الذين يجهلون حقيقته إلى الدفاع عنه ، كأنه متهم مضطر للدفاع عن نفسه في قفص الاتهام".

ويصف سيد قطب الاعتذاريين الذين بهرتهم الحضارة الغربية ، فيحاولون التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية ، وهي العقلية التي سادت على الكتاب الإسلاميين في أوائل القرن العشرين.

"بعض هؤلاء كانوا يواجهوننا - نحن القلائل المنتسبين إلى الإسلام - في أمريكا في السنوات التي قضيتها هناك - وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير.

وكنت على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية ، سواء في معتقداتها الدينية المهلهلة ، أو في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المؤذية.. هذه التصورات عن الأقانيم عن الخطيئة وعن النداء ، وهي لا تستقيم في عقل وضمير، وهذه الرأسمالية باحتكارها ورباها وما فيه من بشاعة كالحة.. وهذه الفردية الأثرة التي ينعدم معها التكافل إلا تحت مطارق القانون ، وهذا التصور المادي التافه الجاف للحياة وحرية البهائم التي يسمونها" حرية الاختلاط" .. وسوق الرقيق التي يسمونها" حرية المرأة" .. والسخف والحرج والتكلف ، المضاد لواقع الحياة في نظم الزواج والطلاق ، والتفريق العنصري الحاد الخبيث.. ثم ما في الإسلام من منطق وسمو إنسانية وبشاشة ، وتطلع إلى آفاق تطلع البشرية دونها ولا تبلغها ، ومن مواجهة الواقع في الوقت ذاته ومعالجة ، تقوم على قواعد الفطرة

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسانية السليمة.

وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة الغربية، وهي حقائق كانت تخجل أصحابها حين تعرض في ضوء الإسلام .. ولكن ناساً - يدعون الإسلام - ينهزمون أمام ذلك النتن الذي تعيش فيه الجاهلية حين يتلمسون للإسلام مشابهات في هذا الركام المضطرب البائس في الغرب، وفي تلك الشناعة المادية البشعة في الشرق أيضاً!".

وفي خاتمة المطاف يدعو سيد قطب إلى الاستعلاء في "معالم في الطريق" وينشد ثورة المؤمن الأبي الغيور واثقاً بنصر الله وهو أسلوب ينشأ طبيعياً في ظروف القهر والاضطهاد التي سادت في العالم الإسلامي بسبب التبعية لأوربا السياسية والفكرية.

"الاستعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان، وعلى قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان ، وعلى تقاليد الأرض التي يضعها الإيمان، وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان، وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان.

الاستعلاء مع ضعف القوة، وقلة العدد، وفقر المال، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء.

الاستعلاء الذي لا يتهاوى أمام قوة باغية، ولا عرف اجتماعي ولا تشريع باطل، ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الإيمان.

وليست حالة التماسك والثبات في الجهاد إلا حالة واحدة من حالات الاستعلاء بالإيمان التي يشملها التوجيه الإلهي.

الاستعلاء بالإيمان ليس مجرد عزمة مفردة، ولا نخوة دافعة، ولا حماسة فائرة، إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركوز في طبيعة الوجود، الحق الباقي وراء منطق القوة، وتصور البيئة واصطلاح المجتمع، وتعارف الناس، لأنه موصول بالله الحي الذي لا يموت.

إن للمجتمع منطقه السائد وعرفه العام وضغطه الساحق ووزنه

www.abulhasanalinadwi.org

الثقيل.. على من ليس يحتمي منه بركن ركين، وعلى من يواجهه بلا سند متين.. وللتصورات السائدة والأفكار الشائعة إيحاؤهما الذي يصعب التخلص منه بغير الاستقرار على حقيقة تصغر في ظلها تلك التصورات والأفكار، والاستعداد من مصدر أعلى من مصدرهما، وأكبر وأقوى.

والذي يقف في وجه المجتمع، ومنطقه السائد، وعرفه العام وقيمه واعتباراته، وأفكاره، وتصوراته، وانحرافاته ونزواته .. يشعر بالغربة ويشعر بالوهن، ما لم يكن يستند إلى سند أقوى من الناس، وأثبت من الأرض وأكرم من الحياة.

والله لا يترك المؤمن وحيداً يواجه الضعف، وينوء به الثقل، ويهدده الوهن والحزن ومن ثم يجيئ هذا التوجيه: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وبجانب هذا الأسلوب الهجومي يبدو سيد قطب في كثير من مؤلفاته كاتباً يختار الأسلوب التحليلي وأسلوب الجدل، فيعالج مشاكل العصر، وأسباب تخلف المسلمين، ويقدم الحلول.

مؤلفاته

(١) مهمة الشاعر في الحياة والجيل الحاضر (٢) الشاطئ المجهول (٣) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (٤) التصوير الفني في القرآن (٥) الأطياف الأربعة (٦) طفل من القرية (٧) المدينة المسحورة (٨) كتب وشخصيات (٩)أشواك (١٠) مشاهد القيامة في القرآن (١١) روضة الطفل (١٢) القصص الديني للأطفال(١٣) الجديد في اللغة العربية (١٤) الجديد في المحفوظات (١٥) النقد الأدبي أصوله ومناهجه (١٦) العدالة الاجتماعية في الإسلام (١٧) معركة الإسلام والرأسمالية (١٨) السلام العالمي والإسلام (١٩) في ظلال القرآن (٢٠) دراسات إسلامية (٢١) هذا الدين (٢٢) المستقبل لهذا الدين (٢٣) خصائص التصور الإسلامي(٢٤) الإسلام ومشكلات الحضارة (٢٥) معالم في الطريق (٢٦) مقومات التصور الإسلامي.

www.abulhasanalinadwi.org

الكاتب الكبير محب الدين الخطيب

١٣٠٤هـ - ١٣٨٩

١٨٨٦-١٩٦٩م

نشأته وحياته

ولد الكاتب الإسلامي الكبير محب الدين أبوالفتح عبد القادر الخطيب بدمشق في يونيو من سنة ١٨٨٦م لأبوين كريمين، كان والده يدرس في أحد المساجد، ويعمل أميناً لدار الكتب الظاهرية، فنشأ وترعرع في بيئة محافظة وعلمية وتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ثم انتسب إلى مدرسة ابتدائية، ثم انتقل بعدها إلى مدرسة ثانوية كانت لغة التعليم فيها التركية، والتحق بعد اجتياز مرحلة التعليم الثانوي عام ١٩٠٦م بكلية الحقوق والآداب معاً في الآستانة وقد ساعده في تحصيله العلمي بعد وفاة أبيه العلامة طاهر الجزائري، وكانت للعلامة طاهر حلقة علمية بدار الكتب بدمشق يحضرها الشيوخ والشباب، فتكونت عقلية محب الدين الخطيب في مجالس هذه الحلقة، وتعرف عن طريقها على كتابات المصلحين، وأصحاب الفكر والدعوة وكبريات الصحف والمجلات الصادرة في تركيا ومصر، ومن الكتب التي تأثر بها خلال هذه المدة "طبائع الاستبداد" لعبد الرحمن الكواكبي و"الإسلام والنصرانية" للمفتي محمدعبده، ومجلة" العروة الوثقى" وتواصل خلال إقامته بالآستانه مع أقرانه العرب الدراسين في تركيا وأسس معهم "جمعية النهضة العربية" وراسل أصدقاء له في دمشق لفتح فرع لها هناك إلى حين عودته في الإجازة الصيفية، وكان من أهداف هذه الجمعية نهضة اللغة العربية وإحياء الثقافة الإسلامية المبثوثة في التراث العربي.

www.abulhasanalinadwi.org

سافر محب الدين الخطيب إلى اليمن للعمل كمترجم في القنصلية بمدينة "الحديدة" وأنشأ هناك مدرسة، وتولى تدريس معظم العلوم فيها، ولكن المقام لم يطل به كثيراً في اليمن، فرجع إلى دمشق، ثم سافر إلى مصر، وشارك الشيخ علي يوسف في تحرير مجلة" المؤيد" فذاع صيته وانتشرت مقالاته وترجماته، وحظيت بالقبول، وخاصة ما كان يكتبه عن المبشرين البروتستانت وخططهم لتنصير المسلمين ما كان ينشرها الكاتب الفرنسي المبشر مسيولوشاتليه في الدوائر الكنسية، فكتبها محب الدين الخطيب ونبه المسلمين إلى خطورتها، ثم جمعها في كتاب بعنوان" الغارة على العالم الإسلامي".

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى قام برحلة إلى الخليج العربي واليمن والهند، واعتقل في الكويت ولبث في السجن تسعة أشهر، وعاد إلى القاهرة، ثم سافر إلى مكة المكرمة ليكون بجوار الشريف حسين بعد إعلانه الثورة العربية الكبرى، فأشرف على إصدار جريدة" القبلة" ثم عاد إلى دمشق سنة ١٩١٨م بعد أن دخلها الجيش العربي ومكث بها سنتين، ثم عاد مرة أخرى إلى القاهرة بعد الاحتلال الفرنسي لسورية، وعاش فيها حتى جاء أجله المحتوم، فأسس المكتبة السلفية التي أصدرت عدداً من أهم كتب التراث الإسلامي، وعمل بجريدة"الأهرام" ما يقرب من خمس سنوات، ثم أصدر مجلة"الزهراء" التي كانت تعنى بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة وما كانت يروجه المتغربون وأدعياء الثقافة والأدب والسائرون في ركاب المستشرقين والمستعمرين الصليبيين.

ثم أصدر مجلة"الفتح" الغراء، وكانت هذه المجلة مدرسة أكثر من صحيفة مطبوعة، لأنها كونت جيلاً من كتاب الفكرة الإسلامية، وبرزت على صفحاتها أقلام الصفوة من أبناء الإسلام، في الهند، وتركيا، وإندونيسيا، وإيران، وأفغانستان وأدت المجلة دوراً كبيراً في إذكاء الروح الإسلامي وإلهاب المشاعر، ومن موضوعاتها التفسير والحديث وسير

www.abulhasanalinadwi.org

الصحابة ومشاهير الدعاة، والإجابة عن الأسئلة الدينية المرتبطة بمسائل الفقه الإسلامي، كما امتدت "الفتح" بموضوعاتها إلى تحليل مشاكل العالم الإسلامي الذي كان يرزح تحت وطأة الاستعمار الغربي، فلعبت المجلة دوراً لائقاً في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ومعالجة قضايا العروبة والإسلام والحفاظ على الدين واللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية.

وكان يتعاون مع سائر العاملين للإسلام من الدعاة والصالحين والزعماء أمثال محمد رشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان والشيخ حسن البنا وتقي الدين الهلالي.

وقد أصدر بالتعاون مع حسن البنا وطنطاوي جوهري مجلة"الإخوان المسلمون" الأسبوعية سنة ١٩٣٣م كما كان يكتب في مجلة "الشهاب" الشهرية التي يصدرها الإمام حسن البنا، وتولى رئاسة تحرير مجلة "الأزهر" وكانت افتتاحياته في هذه المجلة زاداً للمعنيين بالفكرة الإسلامية.

وقد كتب العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في كلمة له انطباعية حول وفاة محب الدين الخطيب:

" أنا اعتبر نفسي من تلاميذ مدرسة "الفتح" الغراء التي أنشأها الأستاذ محب الدين الخطيب، وكانت في طليعة الصحف والمجلات الإسلامية والغيرة الدينية في العقد الرابع من هذا القرن الميلادي (المنصرم) وكنت وزميلي الكبير المرحوم الأستاذ مسعود الندوي من الذين يظلون متشوقين إلى صدور العدد الجديد من الصحيفة فيتلقفونه بالأيدي تلقفا ويقرأونه بنهم، وقد كان لنا الشرف ونحن في ريعان الشباب بالكتابة في الفتح، وقد نشرت للأستاذ مسعود الندوي عدة مقالات تباعاً، وكان من كتابها المعدودين في الهند ونشرت لي أكثر من مقالة، وقد كان أستاذنا الدكتور تقي الدين الهلالي وأخي الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني من المعجبين بها والمشتركين فيها، وقد كان لما كنا نقرأ للأستاذ محب الدين الخطيب تأثير في

www.abulhasanalinadwi.org

كتاباتنا وأسلوبنا، وكانت كتاباته في مجلة "الأزهر"[١] تشهد بفكر إسلامي حصيف وإيمان لا تشوبه نزعة قومية، ودعوة إلى الإسلام الحقيقي لا تشوبها نعرة جاهلية "[١].

وكتب عنه المفكر الإسلامي أنور الجندي "ترك محب الدين الخطيب رصيداً فكرياً ضخماً، وأضاف إضافات بناءة، وقدم إجابات عميقة وزوايا جديدة لمفاهيم الثقافة الإسلامية وقيمها الأساسية".

وشارك محب الدين الخطيب في إنشاء "جمعية الشبان المسلمين" بالقاهرة التي شارك في تأسيسها محمد الخضر حسين، وأحمد تيمور، وعبد العزيز شاويش، ومحمد أحمد الغمراوي، وعبد الوهاب النجار، وحسن البنا، كما كانت بينه وبين الأمير شكيب أرسلان رسائل متبادلة تزيد على ألف رسالة، ولا غرابة في ذلك فقد كان الاثنان من رواد الإصلاح الإسلامي المهمومين بهم أمتهم.

وقد كتب عنه الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه "النهضة الإسلامية في سير أعلامها" فيقول:

"أوجز ما يقال عن محب الدين الخطيب إنه كان أمة في واحد، لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية عرفت منه الظهير المؤيد، والمقترح المصمم، ولكن طبيعة الجندي في نفسه جعلته لا يطمح إلى منزلة القائد الرسمية، أما في الواقع العملي فهو قائد حقاً، وأنت حين تعرض أسماء شكري القوتلي، والحسين بن علي وشكيب أرسلان، وصالح حرب، ونوري السعيد، ولطفي الحفار، وكرد علي، وفارس الخوري، وحسن البنا وعبد الرحمن عزام، وعزيز المصري تجد ارتباطاً قوياً بينهم، وبين محب الدين الخطيب في كثير من المواقف الحاسمة على مدى نصف قرن متطاول، لأن محب الدين الخطيب انتقل في دنيا الكفاح الإسلامي ما بين دمشق وبيروت، وتركيا والقاهرة، واليمن ومكة المكرمة، انتقال

---

[١]- مجلة البعث الإسلامي السنة ١٤، العدد: ٧، مارس ١٩٧٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف، وليس انتقال الموظف الذي يحرص على مرتبه الشهري، ما قامت حركة عربية في الشام لعهده، إلا كان محب الدين الخطيب صاحب الرأى الوطني المخلص في مسيرها[١].

وقد كتب الأستاذ علي الطنطاوي عن دور مجلة "الفتح" في إيقاظ العاطفة الإسلامية فيقول:

"مجلة "الفتح" كان لها عمل عظيم في تنبيه المسلمين، وإيقاظهم وإرشادهم والتمهيد للصحوة الإسلامية...... وكانت "الفتح" أوعى مجلة إسلامية، توجه حتى في عناوين الأخبار العامة التي تنقلها من وكالات الأخبار فتحول بالعنوان مغزى الخبر مما تريده الوكالة إلى ما يوافق خطة "الفتح" ويريده الإسلام، وكانت لها مواقف مشهودة في الردّ على "الشعر الجاهلي" لطه حسين، كما كان لها موقف عظيم في التنبيه إلى خطر الظهير البربري"[٢]

ولقد لعب محب الدين الخطيب دوراً قيادياً في فضح دسائس الباطنية وغلاة الرافضة، ومكائد الصهيونية، وسموم الاستعمار، وحقد المجوسية، وكان يكرر في أحاديثه وكتاباته أن كل أنواع الهدم والتخريب والفساد والتدمير والكذب والتزوير الذي أصاب المسلمين في القديم والحديث، سواء على مستوى اغتيال الخلفاء أو الإسرائيليات في التفسير والحديث أو الطعن في الصحابة والتابعين أو الدس في السيرة والتاريخ إنما هو من صنع اليهود والمجوس لأنهم وراء كل ذلك وهم الذين أنشأوا الحركات الهدامة والجمعيات السرية والفرق الباطنية.

مشروعه الإصلاحي

كان مشروعه الإصلاحي يقوم على التربية والتعليم وتأكيد الهوية الحضارية للأمة والنهضة الاقتصادية والسياسية، وكتب الدكتور هشام

---

[١]- النهضة الإسلامية في سير أعلامها ج/٢، ص: ٣١١، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت ١٩٩٥

[٢]- الذكريات المجلد الأول ٢٥٩- ٢٦٠ دار المنار جدة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

www.abulhasanalinadwi.org

الحمامي وهو يلقي الضوء على مشروع محب الدين الخطيب الإصلاحي" فيقول :

"راعه أن التعليم بعيد عن التربية التي تعنى بصياغة الشخصية صياغة كاملة على أسس متينة ، وأن التعليم يغلب عليه الأسلوب النظري الذي قلما يستفيد منه صاحبه في معترك الحياة وميادين العمل التي تعود عليه وعلى أمته بالنفع ، فيبقى جاهلاً بما يجب عليه تعلمه ليشارك في بناء مجتمعه والارتقاء بحضارته ، والمعلم يجب ألا تكون وظيفته نقل المعلومة من كراسه إلى كراس الطالب.. فهو المسؤول الأول عن نقل الأمة من التخلف والجمود إلى الرقي والتقدم ، بل يجب أن يكون قادراً على صنع رجال ذوي مطامح بعيدة المرمى ، شريفة الغاية يسعون إليها بأبدان قوية وعزائم ثابتة وصبر جميل ، فيصارعون الجهل والشرور والرذائل ويبيدون الضعف والفقر والخمول ، ويقضون على التفرق واليأس والانحلال.

فالتربية هي التي تؤثر على كل شيء فينا.. بها نكون رجال صالحين ، أو طالحين كراما ، أو لئاما نشطين أو متقاعسين".

وكان يرى أن فقدان الهوية الخاصة التي تلزم للرقي والتقدم هي سبب تخلف العرب والمسلمين ، إذ لا يجب أبدا أن تذوب هذه الأمة العظيمة في الأمم الأخرى لأنها أمة عريقة ذات حضارة وعلم وتاريخ مجيد ، فيقول : " من جملة الأمراض التي أصابتنا ـ جراء التخلف الذي حل فينا ـ إهمال أهل الرأي فينا تنظيم حياتنا الاجتماعية وجعلها ملائمة لديننا من جهة ولمصلحتنا من جهة أخرى .. والمسؤول عن ذلك هم القادة الذين بيدهم القيادة الفكرية والسياسية .. " ومن هنا يجب أن يتأكد في وعي الجميع أن هذه الأمة "آخرها متصل بأولها وأن حاضرها من ثروة ماضيها وأن أهداف مستقبلها مرسومة في سنن أسلافها" فالخوف كل الخوف من تقصيرنا وغفلتنا عن هويتنا [١].

[١]- مجلة "المجتمع" الكويتية ، العدد : ١٧٦٤ رجب ١٤٢٨هـ ١١/٨/٢٠٠٧

www.abulhasanalinadwi.org

نموذج من نثره

إنه كاتب من الطراز الأول لا يقل عن أدباء الطليعة الذين يتردد ذكرهم في كل مجال، وكتاباته في مجلات الزهراء والفتح والأزهر والمؤيد و الأهرام خير شاهد على ذلك، يقول الأستاذ محب الدين الخطيب وهو يبين عالمية العلم:

"العلم عالمي، لا تختص به أمة دون أمة، ولا تحتكره قارة من قارات الأرض، فيكون غيرها عالة عليها فيه، إنه مشاع كالهواء الذي نتنفسه، وكالبحار التي تحيط باليابسة، لأنه مجموعة الحقائق التي توصل إليها العقل البشري في مراحل تفكيره وتجاريه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن.

فجدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة في القدم وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب في كل وطن، ولولا ما كان معروفاً قبل المسلمين علم الحساب ما توصلوا إلى إتحاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة، ولولا علم الجبر، والمقابلة الذي توصل علماؤنا إليه من مئات السنين لما تقدمت في العصور الأخيرة علوم الرياضيات التي وصلت بها الأعمال الهندسية إلى غايتها، ولا غضاضة على أمة تطلب العلم بها حيث تجده، وكذلك الطب وعلوم الطبيعة، لأن العلم واحد في كل أمة وهو سبيل القوة في الحرب والسلم، ولا بد من توصيله"[1]

ويقول وهو ينادي من يرون اقتصار المصري على مصريته فحسب، بأوضح لسان:

"إذا كنت شريكاً لرجل في عمل مالي فمن حق هذه الشركة أن تكون أميناً لها حريصاً على إنمائها، فأنا بصفتي مسلماً شريك لكل محمدي في جامعة الإسلام، وهي عندي أشرف الجامعات، فإن لم أقم بمصالح هذه

---

[1]- مجلة "الأزهر" افتتاحية عدد جمادي الأولى ١٣٧٤هـ

www.abulhasanalinadwi.org

الشركة بأمانة وإخلاص كان ذلك خيانة مني لهذه الرابطة، ودليلاً على أني عضو عاطل يتغذى من الجسم دون أن يفيده شيئاً.

وأنا بصفتي متوطناً في مصر، اخترتها من دون آفاق الدنيا، فإنني شريك لكل مصري في جامعة الوطن، وهي من أقرب الجامعات إلي، لأني متصل بها مباشرة، أنفعها بجهودي، وأنتفع منها في أعمالي، فإذا لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة وإخلاص كان ذلك تقصيراً يصيبني قسط منه، وتقع علي نتائجه، وأنا بصفتي من أبناء هذه اللغة العربية ليس لي لغة غيرها، ولا تصح نسبتي لغيرها، فأنا أرى نفسي عربياً يشارك كل عربي على وجه الأرض، في بيانه وقوميته ومفاخره مهما اختلفت الألوان التي قضت السياسة أن تتلون بها الأقطار العربية، فإذا فرطت في عربيتي فقد أذنبت، لأن علامة العربي الحرص على خير العرب، ومن كان غير ذلك لقد برئت منه العربية وإن كان أعرق قبائلها"![1].

ويقول وهو يبين حقيقة الأدب:

"الأدب مرآة للبيئة التي ينشأ فيها، وعلى صفحاته تنعكس ألوان السماء التي ينمو تحتها، وبين سطوره يجب أن تتجلى آلام الأمة وآمالها، فالأدب في وادي بردى وبين جبال الشام يجب أن يُسمِعنا خرير مياه العيون منحدرة كالرحيق السلسل بين الصخور البلورية، وعلى ضفاف النيل وبين حقوله الزمردية، يجب أن يشعرنا بهيبة السكينة التي تحمل لجج هذا النهر المبارك من المنطقة الأستوائية حتى تنتهي بها الرحلة إلى شعب الدلتا الداخلة في غمار البحر الأبيض.

فإذا كان المراد من الأدب المصري أن يكون مرآة للبيئة المصرية تنعكس عليها حقائق الحياة في حواضر هذا الوادي وقراه، فأنا أقول بأن البلاد التي لا يقوم أدبها بهذه المهمة إنما هو أدب مزور على وطنه، إذ يجب على الأدب العربي في كل قطر من أقطاره أن يؤدي هذه المهمة ليكون

[1]- الحديقة ج: ١٣، ص ٧٢ وما بعدها

للشعوب العربية من مجموعه ثروة أدبية واسعة.

وإذن فالأدب المصري المحمود هو الذي تنطبع فيه ألوان الطبيعة في أرض مصر وسمائها ومائها، وهو الذي تنعكس على صفحاته أطوار الحياة المصرية بآلامها وآمالها[١].

مؤلفاته

أثرى الأستاذ محب الدين الخطيب المكتبة الإسلامية بمؤلفات وتحقيقات قيمة، كلها تتسم بالفهم العميق والفقه الدقيق والبصر الثاقب، مثل تحقيقات وتعليقات على كتاب"العواصم من القواصم" لأبي بكر العربي، وكتاب"مختصر التحفة الاثني عشرية"، للشاه عبد العزيز الدهلوي، وكتاب"المنتقى" للحافظ الذهبي، وكتاب" الخطوط العريضة" وكتاب" الرعيل الأول" وكتاب" تقويمنا الشمسي" وكتاب "قصر الزهراء بالأندلس"وكتاب"الميسر والقداح" لابن قتيبة وكتاب"الخراج" لأبي يوسف وكتاب"تاريخ الدولة النصيرية" للسان الدين الخطيب، وكتاب"ذكرى موقعة حطين" وكتاب "الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه" وكتاب" الحديقة" و"كتاب اتجاهات الموجات البشرية في جزيرة العرب" ومن ترجماته كتاب" مذكرات غليوم الثاني" وكتاب "قميص من نار" للكاتبة التركية خالدة أديب، وكتاب "الدولة والجماعة" للمفكر التركي أحمد شعيب، وكتاب " الغارة على العالم الإسلامي" للكاتب الفرنسي لوشاتليه.[٢]

١- الحديقة ج:٧ ص:١٧٥ وما بعدها

٢- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة /المستشار عبدالله عقيل سليمان العقيل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر ٢٠٠٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

الأستاذ محمد المبارك

١٩١٢- ١٩٨٣م

نشأته ودراسته

ولد الأستاذ محمد المبارك في ١٩١٢م بدمشق في أسرة علمية، وبيئة محافظة على الأخلاق الإسلامية الموروثة، ونشأ في مهد العلم والدين، واستفاد من الثقافة الحديثة في مدارس الحكومة من الابتدائية والثانوية بين ١٩٢٠ ـ ١٩٣٢م، وجلس في حلقات العلماء والمشايخ، وخاصة شيخ علماء الشام الشيخ محمد بدر الدين الحسني (م١٩٣٥م)، ولازمه منذ نهاية الدراسة الابتدائية حتى نهاية الدراسة الجامعية، مع فترة انقطاع قصيرة، ودرس عليه النحو، والصرف، والتفسير، والمصطلح، والفرائض، وأصول الفقه، والكلام، والبلاغة، والحساب، والجبر، والهندسة، والحديث، وذلك في مدرسة الحديث الأشرفية، (١٩٢٦ـ ١٩٣٤م) وقد تأثر تأثراً عميقاً بهذا الشيخ الجليل، بسمته، وأخلاقه، وصفاته.

كان والده السيد عبد القادر بن محمد المبارك الجزائري الحسني المتوفى ١٩٤٥م، لغوياً صاحب ملكة في العربية وأسرارها، ولاسيما الشعر الجاهلي، مولعاً بغريب اللغة، وكان من أعضاء اللجنة التي ألفت في عهد الملك فيصل الأول الهاشمي لتعريب المصطلحات العسكرية، وقد اختير عضواً في المجمع العلمي بدمشق حين تأسيسه، وشارك في وضع كثير من المصطلحات كلفظ" الهاتف" التي هي من وضعه واقتراحه، وكان كذلك عالماً بالسيرة ووقائعها، وبتراجم الرجال ومشاركاً في العلوم الإسلامية، ومتقناً للغة التركية، وعارفاً للإنكليزية، فقرأ عليه شروح

www.abulhasanalinadwi.org

المعلقات، ولامية العرب، ومقصورة ابن دريد، ومقامات الحريري، وكان أثره في حياة ابنه محمد المبارك، وتكوينه الفكري والثقافي كبيراً.

ثم نال "شهادة البكالوريا الثانية فرع الرياضيات" وكان متفوقاً في الدراسة الثانوية، وخاصة في اللغة العربية، والرياضيات، وتعلم اللغة الفرنسية، ثم درس الحقوق والآداب في الجامعة السورية (١٩٣٢-١٩٣٥م)، ثم التحق بجامعة باريس(السوربون) فدرس الأدب والاجتماع خلال ١٩٣٥م-١٩٣٨م، فتعرف على الثقافة الغربية مباشرة، وعرف كبار المفكرين في الغرب، وبالإضافة إلى ذلك حضر ندوات العلم والسياسة في باريس وتعرف على الأدباء والشعراء الفرنسيين المعروفين، وعرف المستشرقين عن كثب، و شاهد مسارح فرنسا، وفي فرنسا تعرف على الأمير شكيب أرسلان، وقد مكنته دراسته في فرنسا من الولوج في صميم الثقافة الغربية والتفكير الغربي، ومذاهبه الفكرية والأدبية من منابعها الأصلية، وعن طريق الاختصاصيين من أهلها، لا بالواسطة وعن طريق الترجمة.

إن هذه الدراسة وسعت آفاقه وأكسبته بعض المزايا الفكرية ولاسيما في طرائق البحث وأساليب التفكير، ولكنها لم تستطع أن تؤثر في معتقداته ولا أن تغزو عقله، ولكنها زودته بمعلومات نافعة ومناهج مفيدة، وكان خلال دراسته في باريس كثير التطلع، لمعرفة مختلف آفاق المعرفة، فلم يكن يقتصر على محاضرات الجامعة، بل كان يحضر المنتديات والمحاضرات العامة، ويتردد على مختلف المعاهد العلمية والنوادي على تعدد اتجاهاتها وألوانها، وتعرف إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر، وكان لهم يومئذ تسعة أندية في باريس، وكان يتردد على نواديهم، ويتعاون معهم في مجال الدعوة الإسلامية التي كانت أشمل من محاربة الاستعمار والتحرر والاستقلال.

أما الشهادات التي نالها فهي بعد"شهادة الدراسة الثانوية قسم

www.abulhasanalinadwi.org

الرياضيات": شهادة الحقوق من الجامعة السورية، سنة ١٩٣٥م من دمشق، وشهادة مدرسة الأدب العليا السورية سنة ١٩٣٠م من دمشق، وشهادة الليسانس في الآداب من السوربون من جامعة باريس سنة ١٩٣٧م، وشهادة أو دبلوم في علم الاجتماع والأخلاق من جامعة باريس سنة ١٩٣٨م.

ومن الرجال الذين أثروا في توجيهه الفكري والده، والشيخ محمد بدر الدين الحسني، يقول الأستاذ محمد المبارك نفسه:

"لقد كان لوالدي أثر عميق في توجيهي وتكوين شخصيتي العلمية والاجتماعية بأسلوبه الشخصي الفذ الذي عرف به بين جميع تلامذته، وقد كان بالنسبة لي مرشدا مربياً، وأستاذاً معلماً، ووالداً.

وكان لشيخنا العظيم العلامة الكبير الصالح التقي المتعبد الشيخ محمد بدر الدين الحسني أثر عميق في نفسي، وكانت له بي عناية خاصة في تعليمي وتوجيهي، وكان لأمير شكيب أرسلان رحمه الله أثر عظيم كذلك في نفسي بمؤلفاته وما كان ينشره في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والتحرر من الاستعمار.

وممن أثروا في توجيهي الفكري من القدماء بآثارهم التي قرأتها ابن تيمية، ثم من بعده تلميذه ابن قيم الجوزية".

وكان تأثير ابن تيمية واضحاً في كتابته في كثير من الأفكار التي كانت شائعة في البيئة التي نشأ فيها.

في الوظيفة

عاد من باريس في ١٩٣٨م وعين مدرساً للغة العربية في المدرسة الثانوية في حلب في عام ١٩٣٨- ١٩٣٩م حيث بقي سنتين انتقل بعدهما إلى دمشق، وكان يدرس الأدب العربي، وأحياناً الأخلاق، والمنطق، والنصوص الفلسفية، ودرس في دار المعلمين، ثم في دار المعلمين العليا، وفي عام ١٩٤٥م بعد جلاء الجيوش الأجنبية عن سورية عين عضواً في

www.abulhasanalinadwi.org

اللجنة الفنية للتربية، ومفتشاً اختصاصياً لسورية لمادتي اللغة العربية والدين، ثم عهد إليه وضع مناهج اللغة العربية والدين للمدارس الابتدائية، وفي سنة ١٩٤٦م أقصى عن التفتيش لنشاطاته الإسلامية في المحافظات التي كان يزورها للتفتيش، وفي عام ١٩٤٧م قدم استقالته من وزارة التربية، ثم انتقل إلى الميدان السياسي، فانتخب نائباً عن مدينة دمشق في ثلاثة مجالس نيابية، كانت منها جمعية تأسيسية وضعت دستور البلاد، ثم وزيراً في مختلف الحكومات.

عمله في التدريس الجامعي

كلف في أوائل ١٩٤٨ بتدريس مادة فقه اللغة، ثم الدراسات القرآنية في قسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة دمشق، واستمر تدريسه هذا نحواً من عشر سنوات، وفي عام ١٩٥٤- ١٩٥٥م. الدراسي أسست كلية الشريعة في جامعة دمشق، فعيّن أستاذاً في هذه الكلية، وشارك مشاركة أساسية في وضع خطتها ومناهجها، ودرس فقه اللغة، ونظام الإسلام، والعقيدة، وعلم الاجتماع، وحينما أنشئت الأقسام كان رئيس قسم العقائد والأديان، ثم عين عميداً لها عام ١٩٥٨م حتى ١٩٦٣م و ١٩٦٤م.

ثم انتدب من جامعة دمشق إلى جامعة أم درمان الإسلامية في السودان، وعمل فيها من ١٩٦٦م حتى ١٩٦٩م أستاذاً ومشاركاً في التخطيط ورئيساً لقسم الدراسات الإسلامية، وخلال هذه المدة ١٩٦٨م قدم استقالته من جامعة دمشق، كما أنه درس في كلية الحقوق في جامعة الخرطوم مادة السياسة الشرعية.

وفي عام ١٩٦٩ اقترح عليه وزير المعارف في الحكومة العربية السعودية العمل فيها، ورحب بهذا الاقتراح وعين بالتعاقد أستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، و بقي في هذا أربع سنوات، ثم عين أستاذاً باحثاً مستشاراً في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

www.abulhasanalinadwi.org

وشارك في التخطيط الجامعي، ولا سيما في المواد الإسلامية في أربع بلدان عربية إسلامية هي: سورية، ومصر، والمملكة العربية السعودية، والسودان، وكانت له اقتراحات تجديدية في تدريس الإسلام والثقافة الإسلامية، أخذ بأكثرها.

وشارك في عدد من الوزارات، وشغل وزارة الأشغال العامة، والمواصلات، ثم وزارة الزراعة، وذلك ما بين ١٩٤٩ـ ١٩٥٢م، واضطرته الظروف السياسية في سوريا بعد غلبة حزب البعث إلى مغادرة وطنه وقضاء حياته في السعودية، والدول الأخرى، وتوفي في ١٥/صفر ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

قال عنه الأستاذ محمد الزرقاء: كان الأستاذ محمد المبارك أول من فكر بضرورة إعادة النظر في علم الاجتماع".

وقال الدكتور يوسف القرضاوي:

" هو أحد العقول القلائل في العالم الإسلامي التي تفكر بالإسلام وللإسلام، وإن من خصائص تفكيره النظرة الشمولية للإسلام فالإسلام وحدة لا تتجزأ، الإسلام كل شامل، كما تميز بالاعتدال والتوازن"

وقال الأستاذ أنور الجندي:

"هو واحد من رواد المدرسة التأصيلية التي تجمع بين التجديد والبناء على أساس من القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية".

وقال الأستاذ حسني أدهم جرار:

"كان الأستاذ مبارك فقيهاً باحثاً، وأديباً متميزاً ورائداً من رواد الفكر العربي الإسلامي المعاصر، وكان من الناس الذين جمعوا بين الثقافتين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية، وجمع بين الدراسة الدينية، وبين الدراسة المدنية، وكان لهذا الجمع أثر واضح في وعيه وتفكيره ونشاطه".

www.abulhasanalinadwi.org

مؤلفاته

مؤلفاته موزعة بين الأدب، والاجتماع، والفكر الإسلامي، منها:

١. الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية
٢. فن القصص في كتاب البخلاء
٣. خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد
٤. الأمة العربية في معركة تحقيق الذات
٥. الأمة والعوامل المكونة لها
٦. من منهل الأدب الخالد(دراسة أدبية لنصوص من القرآن)
٧. نحو إنسانية سعيدة
٨. نظام الإسلام (ثلاثة أجزاء)
٩. المجتمع الإسلامي المعاصر
١٠. فقه اللغة
١١. المشكلة الثقافية في العالم العربي
١٢. الدولة عند ابن تيمية
١٣. الحسبة في الإسلام
١٤. بين الثقافتين: الغربية والإسلامية
١٥. عبقرية اللغة العربية
١٦. نحو وعي إسلامي جديد
١٧. نظرة الإسلام العامة إلى الوجود وأثرها في الحضارة
١٨. جذور الأزمة في المجتمع الإسلامي
١٩. ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد
٢٠. مزايا الثقافة الإسلامية
٢١. العقيدة في القرآن الكريم
٢٢. نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع
٢٣. العقيدة في القرآن.

www.abulhasanalinadwi.org

٢٤. القرآن عربي الخطاب

٢٥. مذكرات في الثقافة الإسلامية .

نموذج من كلامه

يقول الأستاذ محمد المبارك وهو يبين معنى الحضارة وخصائصها ومعاييرها :

"يقصد بالحضارة مجموع المعارف العلمية والتشاريع والنظم والعادات والآداب التي تمثل الحالة الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية في مرحلة من مراحل التاريخ ، وفي بقعة من بقاع الأرض سواء شملت شعباً أم أكثر.

وكل حضارة من الحضارات هي نتيجة جهود سابقة بذلتها أجيال من البشر خلال عصور عديدة متطاولة ، ولكل حضارة صورة ظاهرة هي نتاج الجهود الماضية فتجمعت في وقت من الأوقات ، ولها كذلك صورة كامنة هي إمكانياتها التي لم تتحقق بعد ، واتجاهاتها وأهدافها ، فقد تكون الحضارة في حالتها الحاضرة جميلة رائعة ، ولكنها تؤدي باتجاهاتها ، وتوصل بدوافعها إلى التردي والتقهقر والخراب ، وتحمل في ثناياها بذوراً فاسدة لا تبدو في الحاضر نتائجها.

فما هي المقاييس التي نقيس بها صلاح الحضارة ، أو فسادها وخيرها أو شرها ، ونتائجها السعيدة أو المشؤومة؟

إن من العسير بل من الخطأ أن نقيس من جانب واحد وبمقياس واحد ، وذلك أن غاية الحضارة الارتفاع بالحياة الإنسانية ، والحياة الإنسانية معقدة كثيرة الجوانب ، فإن فيها حياة فكرية عقلية ، وحياة مادية عملية معاشية ، وحياة نفسية خلقية ، وحياة اجتماعية ، إلى جانب الحياة الفردية.

والحضارة الصالحة الخيرة هي التي ترتفع ، بهذه الجوانب كلها وتعدل بينها ، فلا يظلم جانب منها جانباً ، ولا ينمو واحد ويضمر آخر.

إن الحضارة الصالحة هي التي تفسح المجال لنمو العقل وتفتحه

www.abulhasanalinadwi.org

واكتشافه آفاق الوجود، فتزيده علماً ومعرفة نافعة، وهي التي تزيد من قدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة ليستثمرها لنفعه بعد أن يتحرر من سلطانها، فترفع بذلك من مستوى حياته، وتحقق له الكثير من رغباته، وتزيد من سعادته، وتسهل أمر معاشه، وهي التي تمكنه من سيطرته كذلك على نفسه، وعلى غرائزه وأهوائه، وتفسح المجال أمام نفسه وروحه كما فسحت المجال أمام عقله لترتفع في آفاق أسمى ولتغير من ابتدائيتها وحيوانيتها، فتنمي فيه الإيثار والبذل مكان الأثرة والشح، وتجعل هدف الإنسان الخير لنفسه وغيره لا لتحقيق اللذة والاستئثار والوصول إلى المراتب.

والحضارة الصالحة هي التي تزيد من تماسك الأفراد في المجتمع وارتباطهم وتضامنهم، وتكافلهم سواء من الوجهة المادية الظاهرة أم من الوجهة النفسية والعاطفية، وذلك بتحقيق المساواة في الفرص والمجالات والعدل في توزيع الحقوق المادية والمعنوية والرحمة في نيل الضعفاء من حق الحياة ما لا ينالونه بقوتهم وجهدهم.

والحضارة الصالحة هي التي تحقق الأهداف المذكورة ارتفاعاً وعلواً، أي في أعلى درجة ممكنة وتحققها انتشاراً واتساعاً، أي أن تشمل بتحقيقها أكبر عدد من البشر بأن تنتشر في جميع أفراد شعب من الشعوب، بقدر إمكانياتهم، وأن تنتشر كذلك في أوسع نطاق ممكن في شعوب الأرض، فقد تحقق بعض الحضارات النبوغ الفكري أو المعيشة الرخية، أو السمو النفسي لطبقة خاصة من الناس، وتحرم منها طبقات أخرى تستطيع الوصول إليها.

إن الحضارات تختلف كذلك باختلاف ما تضعه من أهداف تريد بلوغها، وما تؤمن به من مثل ومعتقدات، فإن الأهداف والمثل والمعتقدات قد تكون فاسدة، فتتجه بالحضارة نحو الفساد أي نحو الانحطاط الفكري أو المعاشي أو الخلقي أو الاجتماعي.

www.abulhasanalinadwi.org

وإن للحضارة دوافع ومحركات هي التي تدفع الناس إلى بلوغ الأهداف، وتحقيق المثل، ومثال ذلك أن يكون الناس مدفوعين إلى التعليم بدافع الحصول على المال، أو إلى الحرب بدوافع الاستيلاء، على أرض غيرهم وأموالهم، أو أن يكونوا مدفوعين إلى ذلك بدافع حب أو إزالة الظلم أو إرضاء الله.

تلك هي مقاييس الحضارة، رفع مستوى العقل والنفس والعيش والتضامن الاجتماعي، والشمول، أو سعة الأفق، والارتفاع، أو العلو وسمو الأهداف، وصحة العقائد وصلاحها، وسلامة الدوافع وحسنها[١].

---

[١]- الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص:٢٧، طبع عام ١٩٧٣م، دار الفكر، بيروت

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

١٣١١هـ-١٤٠٧هـ (١٨٩١ - ١٩٨٧م)

يقول الدكتور محمد تقي الدين إن والده رأى في المنام قائلاً يقول له: سيولد لك غلام فسمه محمد تقي، فكان ذلك، لكن أهل الهند سموني تقي الدين، فاشتهر اسمي بمحمد تقي الدين وكنيتي أبو شكيب، لأني سميتُ أول مولود لي شكيبا على اسم صديقي الأمير شكيب أرسلان رحمه الله.

واسم والده عبد القادر الهلالي، نسبة إلى هلال، وهو الجد الحادي عشر له، ونسبة عائلته إلى الحسين بن علي فهوحسيني.

نشاته وحياته

ولد في قرية " الفرخ" من بادية "سجلماسه" في المغرب سنة ١٣١١هـ (١٨٩١م) وهو وقد انتقلت أسرته من القيروان في تونس إلى المغرب في أواخر القرن التاسع الهجري.

قرأ تقي الدين القرآن على والده وجده وحفظه وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم سافر إلى الجزائر لطلب العلم سنة ١٣٣٣هـ، (١٩١٤م) وكان متأثراً بالطريقة التيجانية، فرأى في المنام أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بطلب العلم، فمال إلى كسب العلم، وقام بتحصيله طول حياته، بدأ دراسته في المغرب في مدرسة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، الذي كانت له مدارس في المغرب، وتونس، والجزائر، وكان رجلاً زاهداً ورعاً، ثم انتقل إلى مدينة فاس، وفي سنة ١٣٤٠هـ سافر إلى القاهرة، وأقام بمصر سنة، اجتمع فيها بالشيخ محمد رشيد رضا، وحضر الدروس

www.abulhasanalinadwi.org

في القسم العالي من الأزهر، ونصحه بعض أساتذة الأزهر أن يتوجه إلى الهند لطلب الحديث، وتعرف على كتاب "عون المعبود شرح سنن أبي داود" الذي ألف وطبع في الهند، فساقه الشوق إلى الحديث إلى الهند.

فمن مصر توجه إلى الحجاز للحج، ثم توجه إلى الهند، وأقام في مدارس مختلفة، ثم أخذ الإجازة عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، صاحب كتاب" تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي"، وأقام عنده مدة، ثم قرأ أطرافاً من الكتب الستة على الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني في بوفال.

ثم توجه إلى البصرة، ولقي الشيخ محمد أمين الشنقيطي، وتزوج بابنته، وبعد ثلاث سنوات قضاها بالبصرة، سافر إلى السعودية، وعرج على مصر، فالتقى بالعلامة السيد رشيد رضا، فكتب الشيخ رشيد رضا كتاباً إلى الملك عبد العزيز، يقول :" إن محمداً تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه فأقام في ضيافة الملك بمكة المكرمة، وعينه الملك عبد العزيز مراقباً للمدرسين في المسجد النبوي الشريف، ثم نقل إلى الحرم المكي الشريف، والمعهد السعودي بمكة المكرمة.

وخلال هذه المدة تلقى دعوتين من إندونيسيا ومن الهند عام ١٠٣٠م، وقبل دعوة العلامة السيد سليمان الندوي المستشار التعليمي لندوة العلماء بلكناؤ في الهند، وبدأ يدرس الأدب العربي في جامعة ندوة العلماء، ويكتب في مجلة "الضياء" التي كان يصدرها تلميذه الأستاذ مسعود عالم الندوي، وأقام ثلاث سنوات، تعلم خلالها اللغة الإنجليزية.

ثم رجع إلى البصرة، وأقام ثلاث سنين معلماً في مدرسة النجاة، ثم توجه إلى جنيف، و نزل عند الزعيم المجاهد أمير البيان شكيب أرسلان، وبتوجيه منه سافر إلى ألمانيا ليعلم الأدب العربي في جامعة "بون" وخلال تدريسه كان يتعلم اللغة الألمانية، ونال الدبلوم فيها، ونقل عدة

www.abulhasanalinadwi.org

كتب من العربية إلى اللغة الألمانية، منها "كتاب البلدان" وكتاب" طيف الخيال" ويشتمل هذاالكتاب على ثلاث تمثيلات، واستقبلت هذه الترجمة استقبالاً حاراً في ألمانيا، ثم انتقل إلى برلين عام ١٩٣٩م للإشراف على الإذاعة العربية بالإضافة إلى كونه محاضراً في جامعة برلين.

وفي نفس المدة أعد رسالة الدكتوراه عن كتاب "الجماهر في الجواهر" لأبي الريحان البيروني في عام ١٣٥٩(١٩٤٠م) وفند في رسالته آراء المستشرقين وخاصة أكبر المستشرقين في ألمانيا "كارل بروكلمان" و"مارتن هاث مين" اللذين أثارا الشكوك والشبهات حول عقيدة البيروني، وهاجما الإسلام، وقبل العلماء المحققون لرسالته آراءه بالإجماع، ونشرت رسالته، ثم عين أستاذاً في جامعة بغداد، ثم سافر إلى "تطوان" في عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) وعين أستاذاً منتدباً في جامعة بون عام ١٩٥٤م، وعين في ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) أستاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم عين أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٦٨م، وانتقل بعد التقاعد إلى المغرب.

من أحب الموضوعات إلى الدكتور تقي الدين كما اعترف في مذكرته علوم الحديث، علوم القرآن، ثم علم النحو، وسائر علوم الأدب، ثم علم اللغات.

كان التدريس شبه هواية للدكتور تقي الدين، وقد بدأ التدريس وهو طالب، كان يدرس الطلبة بإذن أستاذه في غيابه، ثم قام بالتدريس في جامعات أوربية، وعربية، وهندية، وكانت ميزته أنه خلال التدريس كان يواصل طلبه ودراسته، فيدرس اللغات الأجنبية، ويقوم بترجمة الكتب من العربية إلى اللغات الأجنبية، ومن اللغات الأجنبية إلى العربية، فهو دارس ومدرس، ثم هو داع، ذو عاطفة دينية يرد على شبهات المستشرقين وأعداء الإسلام، ومن مزاياه كثرة السفر والاغتراب، ولقاء الشخصيات العالمية، والاستفادة منها، فيما لا يخل علمه، فقضى حياته في الدعوة،

www.abulhasanalinadwi.org

والتدريس، والتعلم، وكان النثر والنظم كلاهما مجال عمله، وكفاه فخراً أنه خلف تلاميذ خلدوا اسمه، واعتزوا بانتسابهم إليه، وفخروا في المحافل وهم الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، والشيخ مسعود عالم الندوي، والأستاذ ناظم الندوي، وكانت وفاته بالدار البيضاء، يوم ٢٥/شوال ١٤٠٧هـ المصادف ٢٢/يونيو ١٩٨٧م.

نموذج من نثره

يقول تقي الدين الهلالي وهو يصف قصر الحمراء الملكي بأسبانيا:

"ومن حسن الحظ بقي قصر الحمراء الملكي ليرينا الجلالة والتأنق والإبداع في فنون المور، وحتى هذه الدرة أصابها ما أصابها على يد الإسبانيين، وكانت سائرة في طريق الخراب لولا أن بقية أوربا وأمريكا أجبروهم على أن يقنوا شيئاً من الحياء، وحتى في هذا اليوم يجد فيها الإنسان معنى هذا اللفظ (أرض عبقر) حين يخرج من دهليزها المظلم إلى عرصة الأسود، فيرى سواري المرمر الدقيقة كأغصان البان، ويتملى بالنظر إلى سطور الأساطين المستقيمة، وسقوفها المصبوغة بالألوان الزاهية، إذا نظرت إليها خلتها زرابي فارسية مرقشة، أو رياض أزهار بهيجة قد اشتبكت فيها أشجار الصناعة العجيبة، ولها طنوف مشرفة قد أفرغت في قوالب بديعة يحار الواصف في وصفها، وأما جدرانها ففيها من الترقيش العربي والتشجير والزخرف والأمثال والحكم المسطورة بأجمل شكل شيء يذهل العقول، ويروع الناظرين، ولكن ينبغي لنا أن نتصورها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر حين كانت الثياب التي ترى فيها كلها من الحرير الخالص، وحين كانت جدرانها تتلألأ بألوان اللازورد والأرجوان والذهب، وحين كان الآس والاترج، والورد، ومباخر الفضة، يحترق فيها عود الطيب تفعم جوها بالروائح الطيبة، وكانت على الجبل المجاور لها وسهوله الواسعة الأرجاء عشرات الألوف من القصور الفخام التي لا تقل جمالاً وإبداعاً في الذوق عن الحمراء، إلا أنها أقل

www.abulhasanalinadwi.org

تلألؤا بالذهب والفضة والجواهر، قال اسكوت متلهفاً "ماذا عوضنا الغازي الصليبي القشتالي الهمجي عن تلك القصور؟" وأي فائدة يجنيها النوع البشري من وراء تخريبها؟[1]

• نموذج من شعره

ولتقي الدين الهلالي أشعار عذبة رائعة وقصائد جيدة منها وهو يخاطب المجاهد الأكبر في المغرب الأستاذ عبدالخالق الطريسي

سنا الحرية الغراء لاحا ... فصير حندس الظلما صباحا
وأحيا ميت الآمال لما ... أهاب بنا إلى العليا وصاحا
دعا للبعث والإنقاذ قوماً ... نياماً جرعوا الظلم الصراحا
دعا للبعث والإنقاذ قوماً ... حماهم قد غدا نهباً مباحاً
دعا للبعث والإنقاذ قوماً ... رأى العدوان أثخنهم جراحا
أفاقوا من سباتهم فقاموا ... فشاموا بارق الإصلاح لاحا
وألقوا سمعهم لنداء داع ... رأوا حقاً إجابته الفلاحا
فقالوا ! إيه يا لبيك داع ... ويا سعديك، وابتدروا السلاحا
سلاح الحق لا يخشى فلولا ... ويلقى من يصول به النجاحا
وساروا سيرة الحكماء حتى ... استحال فساد قومهم صلاحا
وهبوا للعلا يسعون حتى ... أعادوا غابر المجد المطاحا
فيا حزباً لخير يسعى ... ليبدل خسر أمته رباحا
جزيت من الإله بكل خير ... ولقيت السعادة والفلاحا
ودمت على صراط مستقيم ... لك الأغلاق تنفتح انفتاحا
تحارب باغياً وتميت جهلاً ... ونور العلم تجعله السلاحا
فيصبح قومك الأموات أحيا ... وتنشرح الصدور لك انشراحا
وتنهض بالبلاد إلى المعالي ... وتفتتح الطريق لها افتتاحا
وتبدل ضيمها عزاً وفخراً ... وتملؤها ابتهاجاً وارتياحا

[1]– مدنية العرب في الأندلس، للدكتور تقي الدين الهلالي، ص ٦٧، طبع بمطبعة العالي سنة ١٩٥٠م

www.abulhasanalinadwi.org

سـلام الله يهديه إليكـم دواماً ما غدا غـاد وراحـا
أخ لكم بنـار البين يصلـى غريب ما أقـام ولا استـراح
ولم ينس البلاد وساكنيها ويذكرها العشيـة والصباحا

مؤلفاته

تشتمل كتبه على موضوعات مختلفة من شرعية، وأدبية واجتماعية ولغوية، ويبلغ عدد مؤلفاته المطبوعة أكثر من سبع وثلاثين منها:

١. تحقيق كتاب الجماهر في الجواهر
٢. الطبقات عند العرب
٣. لسان الدين
٤. طيف الخيال (ترجمة)
٥. تمثيلات محمد بن دانيال
٦. الهاديات
٧. رحلة من الزبير إلى جنيف
٨. من يرافقني إلى برلين
٩. رحلة إلى درعة في الجنوب الشرقي من المغرب
١٠. رحلة إلى ألمانيا
١١. الصديقات الثلاث (قصة)
١٢. حاشية على كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
١٣. الرجعية والتقدم
١٤. سب القاديانيين للإسلام والرد عليهم
١٥. تقويم اللسانين
١٦. أهل الحديث
١٧. الزنـد الـواري والبـدر السـاري في شـرح صحيـح البخـاري، الجـزء الأول
١٨. الإسفار عن الحق، في مسألة السفور والحجاب

www.abulhasanalinadwi.org

١٩. فضل الكبير المتعالي (ديوان) شعر تقي الدين الهلالي)
٢٠. قبسة من أنوار الوحي
٢١. مدنية العرب في الأندلس
٢٢. البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ، وبرئ من الألوهية
٢٣. دواء الشاكين وقامع المشككين في الرد على الملحدين
٢٤. حاشية على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
٢٥. أحكام الخلع في الإسلام
٢٦. الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام
٢٧. القاضي العدل في حكم البناء على القبور
٢٨. الأنوار المتبعة في تحقيق سنة الجمعة
٢٩. الصبح السافر في حكم صلاة المسافر
٣٠. العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنثور في بدع القبور
٣١. آل البيت مالهم وما عليهم
٣٢. تاريخ اللغة السامية.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ محمد الغزالي

١٩١٧-١٩٩٦م

نشأته وحياته

ولد الشيخ محمد الغزالي السقا في قرية" نكلا العنب" التابعة لمركز "إيتاي البارود" بمحافظة"البحيرة" بمصر في ٢٢ /سبتمبر عام ١٩١٧م، وقرية"نكلاالعنب" لها تاريخ معروف، فقد أنجبت شخصيات إسلامية بارزة لعبت دوراً تاريخياً، فقد ولد فيها الشاعر العظيم محمود سامي البارودي، وفي"إيتاي البارود" نشأ الشيخ محمد عبده، والشيخ حسن البنا، والشيخ محمود شلتوت، والدكتور محمد البهي، والشيخ سليم البشري، والشيخ إبراهيم حمروش، والشيخ محمد المدني ، والشيخ عبد العزيز عيسى، وعدد آخر من النبغاء.

وكانت والدة الشيخ محمد الغزالي سيدة فاضلة بارزة محسنة تحب تقديم الخير والعون للناس، وكانت تحثه على تقديم الإحسان لأهل القرية وأرحامه، والمحتاجين.

تدرج الشيخ محمد الغزالي في مراحل التعليم في القرية، فحفظ القرآن الكريم مبكراً، وتعلم مبادئ القراءة، والكتابة، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، ودرس فيه الكفاءة (٣سنوات بعد الابتدائي) والثانوية (وهي سنتان بعد الكفاءة)، ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة، والتحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر عام ١٩٣٧م، وتخرج فيها سنة ١٩٤١م، وتخصص في الدعوة، وفي عام ١٩٤٣م حصل على العالمية مع الإجازة في التدريس وهي تعادل درجة الماجستير. وقد

www.abulhasanalinadwi.org

تزوج وهو طالب في كلية أصول الدين.

عين إماماً وخطيباً بمسجد " العتبة الخضراء" بالقاهرة عام ١٩٤٣م، وعمل واعظاً في الأزهر، ثم مفتشاً للمساجد، وعين بعد ذلك مديراً لقسم الأوقاف، ثم مديراً لإدارة الدعوة الإسلامية، ووكيلاً لوزارة الأوقاف للشؤون الإسلامية..

وخلال دراسته تعرف على الشيخ حسن البنا، فتتلمذ عليه وتأثر به كثيراً، وانطلق مع قافلة الدعاة والمجاهدين، وكان خطيباً موهوباً، ومحاضراً فذاً، حاضر البديهة، واسع العلم، ومؤلفاً قديراً، واسع المطالعة، يحرص على التعمق في الثقافة الإسلامية، والأدب العربي، وقضى عمره في مختلف الجامعات في مختلف المجالات للعلم والفكر والتنظيم، وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته المؤثرة التي سحرت النفوس، وخاصة الشباب حتى بلغ عدد مؤلفاته ٥٥ مؤلفاً علاوة على المحاضرات التي ألقاها في الاجتماعات، والندوات، والمؤتمرات.

نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٤هـ، وجائزة الدولة التقديرية بمصر، وجائزة الحكومة الباكستانية، وجائزة الحكومة الجزائرية، ورشحته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، "إيسيسكو" لنيل جائزة السلطان حسن البلقية العالمية للدراسات الإسلامية لعام ١٩٩٦م، لكنه لحق بالرفيق الأعلى قبل تسلمه لهذه الجائزة.

وقد ركز جهوده على جهات مختلفة، كانت منها جبهة رد الاشتراكية، والعلمانية، والشيوعية، والصليبية، فاستخدم لذلك منابر الخطابة، والحوار، والتأليف، وله عدة مؤلفات في هذا، منها "الإسلام والمناهج الاشتراكية" و"الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين" و"الإسلام والأوضاع الاقتصادية".

وكان الشيخ الغزالي يناقش المتنورين، والملحدين في المؤتمرات والندوات، ويطردهم، و قاوم الزحف التنصيري وجاء كتابه" التعصب

www.abulhasanalinadwi.org

والتسامح بين المسيحية والإسلام" سداً منيعاً ضد الزحف، وكان من أبرز الدعاة وقوفاً ضد الغزاة المعجبين بالثقافة الغربية، فقد ندد بسارتر والوجودية وكتب في ذلك "الاستعمار أحقاد وأطماع" و"ظلام من الغرب".

وبجانب الهجوم على المعاندين للإسلام ألف كتاباً في عرض الإسلام الصحيح بكتابه" فقه السيرة" لتكون السيرة مصدر فهم الإسلام الصحيح، فأصبح رائداً لإيجاد مدرسة في فهم السيرة، وعلى منهجه ألف المؤلفون الآخرون كتباً في السيرة كفقه السيرة لسعيد رمضان البوطي، و"السيرة النبوية دروس وعبر" للسباعي، وللدكتور عماد الدين الخليل "دراسات في السيرة".

والقرآن الكريم عند الشيخ محمد الغزالي هو المصدر الرئيسي لفهم الإسلام، فألف كتباً في الدراسات القرآنية منها" نظرات في القرآن الكريم" و"كيف نفهم القرآن" و"المصادر الخمسة للقرآن الكريم"و"نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم"، وإن إنتاجه في هذا المجال يتصف بالجدة والطرافة، وبالأصالة والعمق، ويجمع بين الفهم الرشيد لآي الذكر الحكيم، وبين الاجتهاد في الشرح والتفسير، والابتكار في التناول والعرض.

وكان محمد الغزالي يرى أن هموم المسلمين ومشاكلهم ترجع أيضاً إلى سوء تصرف المسلمين، وجهلهم بتعاليم الإسلام وعدم تخلقهم بخلق الإسلام، فألف "عقيدة المسلم"و" خلق الإسلام"و" كيف نفهم الإسلام" و"من هنا نعلم" وهو رد على كتاب" من هنا نبدأ" لخالد محمد خالد، و كان يرى أن مشكلة المسلمين الرئيسية تكمن في التمزق الثقافي، وبين أسبابه في كتابه"دستور الوحدة الثقافية".

وعمل الشيخ محمد الغزالي مدرساً بالأزهر بمصر، وجامعة أم القرى في السعودية، وجامعة الأمير عبد القادر المغربي بالجزائر، وقام بتطوير كلية الشريعة بقطر، وزار الدول الإسلامية، ودول أوربا كمحاضر، واشترك في الندوات، والمؤتمرات العالمية، وكان اشتراكه دائماً

www.abulhasanalinadwi.org

تلمس آثاره، ولخطبه وقعها على النفوس، وكانت خطبه تمتاز بالواقعية والصدق، وبمعالجة القضايا المعاصرة. وكان له بالسعودية برنامج يومي في المذياع يحبه الناس.

كان الشيخ الغزالي يتمتع بذوق لطيف، وبذكاء لماح، فكان يستشهد في خطبه بالآيات، والأحاديث، وبأبيات شعرية، تثير الانتباه، واختار لكتبه عناوين مبتكرة: جدد حياتك، قذائف الحق، حصاد الغرور، ظلام من الغرب، هموم داعية، وكان يتمتع بسعة الأفق، وبشمولية الفكر وبالإيمان بعالمية الدعوة، وبالاعتقاد الجازم بأن هذا الدين لابد أن يسود، ويتفاعل مع الأحداث، وكان يتابع الأحداث الجارية على الساحة الإسلامية، ويعيش مع قضايا المسلمين في كل مكان، يشارك فيها مشاركة إيجابية بصرخاته وتوصياته كتابة وخطابة، ومشاركة في الندوات والمؤتمرات، وعلى منابر الجوامع.

وكانت وفاته وهو يؤدي واجبه في ندوة ثقافية عنوانها "الإسلام والغرب" في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات في الرياض في ٢٩/شوال عام ١٤١٦هـ المصادف ٩/مارس /آزار عام ١٩٩٦م.

نموذج من كلامه

يقول الشيخ الغزالي - رحمه الله - وهو يذكر أن في المسلمين صنفين يقفان على طرفي نقيض، لكن الإسلام يأبى مسلكهما معاً!

"صنف تلمس في قلبه عاطفة حارة، ورغبة في الله عميقة، وحباً لرسوله بادياً، ومع ذلك نجده ضعيف البصر بأحكام الكتاب والسنة، يعلم منها قليلاً، ويجهل منها كثيراً، ويغريه بالتعصب للقليل الذي يعلمه أنه يأنس من نفسه صدق الوجهة، وقوة المحبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتي ربما افتقدها في غيره، فلم يشعر بها.

وصنف تلمس في عقله ذكاء، وفي علمه سعة، وفي قوله بلاغة، يعرف الصواب في أغلب الأحكام الشرعية، ويؤدي العبادات المطلوبة منه

www.abulhasanalinadwi.org

أداء لا بأس به، ولكنه بارد الأنفاس، بادي الجفوة، غليظ القلب، يكاد يتمنى العثار لغيره، كي يندد بأغلاطه، ويستعلي هو بما أوتي من إدراك للحق، ويصر بمواضعه من كتاب وسنة.

إنما المسلم الكامل رجل نير الذهن والقلب معاً، حاد البصر والبصيرة معاً، تتعانق فكرته وعاطفته، في معاملته لله، ومعاملته للناس، فلا تدري أيهما أسبق، صدق أدبه أم حسنُ معرفته، ولا تدري أيهما أروع؟خصوبةُ نفسه الجياشة أم فطانة عقله اللماح!!

وهذه الصفات مشتقة من طبيعة الإسلام نفسه، فهو دين يبني عقائد من ناحية الصحة العقلية، على أسس فكرية تشبه البديهيات في علوم الرياضة من حساب، وجبر، وهندسة.

والركائز العقلية لهذا الدين ثابتة فيما شرع من معاملات عامة، وفيما يعرض له من مشكلات متجددة.

وإلى جانب هذا فالإسلام دين عبادة تقوم على سلامة القلب، وشحنه بالإخلاص، والحب، والأدب، وتجريده من الهوى، والأثرة، والغش.

ودين الإنسان ينقص بقدر ما يصحب عاطفته الحادة من نقص علمي، أو عجز فكري[1].

مؤلفات الشيخ الغزالي

١. أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية
٢. الاستعمار: أحقاد وأطماع.
٣. الإسلام في وجه الزحف الأحمر.
٤. الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين.
٥. الإسلام والأوضاع الاقتصادية
٦. الإسلام والاستبداد السياسي.
٧. الإسلام والمناهج الاشتراكية.

[1]- الجانب العاطفي من الإسلام للشيخ الغزالي، ص: ١١-١٣

www.abulhasanalinadwi.org

٨. الإسلام والطاقات المعطلة.
٩. تأملات في الدين والحياة.
١٠. تحقيق ذم الهوى لابن الجوزي.
١١. تحقيق صيد الخاطر لابن الجوزي.
١٢. تراثنا الفكري في ميزان الشرع.
١٣. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام.
١٤. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.
١٥. الجانب العاطفي من الإسلام.
١٦. جدد حياتك (دراسة نفسية إيمانية).
١٧. جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج.
١٨. حصاد الغرور (تعليق على نكبة يونيو ١٩٦٧م).
١٩. الحق المر(عدة أجزاء).
٢٠. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.
٢١. حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي.
٢٢. خلق المسلم(جزءآن).
٢٣. الخلل من هنا.
٢٤. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.
٢٥. الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر.
٢٦. دفاع عن العقيدة، والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.
٢٧. ركائز الإيمان بين القلب والعقل.
٢٨. سر تأخر العرب والمسلمين.
٢٩. السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث.
٣٠. صيحة تحذير من دعاة التنصير.
٣١. ظلام من الغرب.
٣٢. عقيدة المسلم.

www.abulhasanalinadwi.org

٣٣. علل وأدوية.
٣٤. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا.
٣٥. فقه السيرة.
٣٦. فن الذكر والدعاء عن خاتم الأنبياء.
٣٧. في موكب الدعوة.
٣٨. قذائف الحق.
٣٩. كفاح دين.
٤٠. كيف نعامل مع القرآن.
٤١. كيف نفهم الإسلام.
٤٢. ليس من الإسلام.
٤٣. المحاور الخمسة للقرآن الكريم.
٤٤. مستقبل الإسلام خارج وطنه : كيف نفكر فيه؟
٤٥. المسلمون يستقبلون القرن الخامس.
٤٦. مشكلات في طريق الحياة الإسلامية.
٤٧. مع الله دراسات في الدعوة والدعاة.
٤٨. معركة المصحف في العالم الإسلامي.
٤٩. من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث.
٥٠. من هنا نعلم.
٥١. ١٠٠ سؤال عن الإسلام.(جزءان).
٥٢. نظرات في القرآن.
٥٣. هذا ديننا.
٥٤. هموم داعية.

www.abulhasanalinadwi.org

محمود محمد شاكر

١٩٠٩-١٩٩٧م

نشأته وحياته

محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر من أسرة أبي علياء من أشراف "جرجا" بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ولد في الإسكندرية في ١٠/محرم سنة ١٣٢٧هـ الموافق أول فبراير عام ١٩٠٩م، ثم انتقل إلى القاهرة في صيف عام ١٩٠٩م، بتعيين والده وكيلاً للجامع الأزهر، وكان قبل ذلك شيخاً لعلماء الإسكندرية، تلقى أول مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عباس في القاهرة سنة ١٩١٦م، وبعد ثورة سنة ١٩١٩م انتقل إلى مدرسة "القربية" بدرب الجماهير، وفي سنة ١٩٢١م دخل المدرسة الخديوية الثانوية.

ومع بداية عام ١٩٢٢م قرأ على الشيخ سيد بن علي المرصفي صاحب "رغبة الآمل" فحضر دروسه التي كان يلقيها بعد الظهر في جامع السلطان برقوق، ثم قرأ عليه في بيته "الكامل للمبرد" و "حماسة أبي تمام" وشيئاً من "الأمالي للقالي" وأشعار الهذليين، واستمرت صلته بالشيخ المرصفي إلى وفاته في سنة ١٩٣١م.

وحصل على شهادة البكالوريا (القسم العلمي) عام ١٩٢٥م، وفي سنة ١٩٢٦م التحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية (قسم اللغة العربية) واستمر بها إلى السنة الثانية، حيث نشب بينه وبين أستاذه الدكتور طه

www.abulhasanalinadwi.org

حسين خلاف شديد على منهج دراسة الشعر الجاهلي، فترك الدراسة[١].

وفي سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م ترك الجامعة وسافر إلى الحجاز مهاجراً، فأنشأ - بناء على طلب من الملك عبد العزيز آل سعود - مدرسة جدة السعودية الابتدائية، وعمل مديراً لها، ولكنه ما لبث أن عاد إلى القاهرة في أواسط عام ١٩٢٩م، وبعد عودته إلى القاهرة انصرف إلى الأدب والكتابة، فكتب في مجلتي "الفتح" و"الزهراء" لصاحبهما الأستاذ محب الدين الخطيب، وكان متوجهاً إلى الشعر.

وكان دائم الاتصال بأهل العلم، والسياسة لترددهم على والده، واتصل بالكتاب أمثال محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور باشا، والشيخ محمد الخضر حسين، وأحمد زكي باشا، والشيخ إبراهيم أطفيش، ومحمد أمين الخانجي وغيرهم، والشعراء كأحمد شوقي، وكان يلتقي به كثيراً في الأماكن العامة التي كان الشاعر يتردد عليها، وراسل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي منذ سنة ١٩٢١م، و هو طالب في السنة الأولى الثانوية طلباً للعلم، واتصلت المعرفة بينهما، وظلت هذه الصلة وثيقة إلى أن توفي الرافعي في سنة ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م)[٢].

وصرف عنايته إلى رد آراء طه حسين في موضوع المتنبي التي كان تنشر في جريدة "البلاغ"، ثم توثقت صداقته مع الأستاذ العقاد.

وفي مجال السياسة كان يميل إلى الحزب الوطني لصلة بين والده وبين مصطفى كامل، كما كان شقيقه الشيخ علي محمود محمد شاكر عضواً عاملاً في الحزب، فصحب شباب الحزب الوطني، واتصل برجاله، ومنهم حافظ رمضان، وعبد الرحمن الرافعي، وأحمد وفيق، والدكتور محجوب ثابت، والشيخ عبد العزيز جاويش.

وهو صاحب فكرة جمعية الشبان المسلمين، ولكنه تركها بعد

١- مقدمة الطبعة الثانية من كتاب المتنبي للأستاذ محمود محمد شاكر

٢- وللتعرف على مكانة الرافعي عنده راجع إلى تقديمه لكتاب سعيد العريان عن حياة الرافعي

www.abulhasanalinadwi.org

خلافات مع محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور، والدكتور عبد الحميد.

وبدأ الكتابة في مجلة "المقتطف" منذ سنة ١٩٣٢م، ثم في مجلتي "الرسالة" و"البلاغ" إلا أن صلته بالرسالة كانت أوثق، وفي سنة ١٩٣٨م أخذ امتياز إصدار مجلة "العصور" من الأستاذ إسماعيل مظهر، لتصدر أسبوعية بعد أن كانت شهرية، وصدر منها عددان الأول في ١٩/نوفمبر ١٩٣٨م، والثاني في ٩/ ديسمبر ١٩٣٨م، ثم توقفت عن الصدور، بعد أن كان قد دفع بعددها الثالث إلى المطبعة.

وفي هذه الفترة قامت صداقته مع الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقي، والشاعر محمود حسن إسماعيل، وكلاهما كان يعتبر محمود شاكر إماماً بأسرار البيان العربي في شعره ونثره، ومرجعاً حياً للثقافة العربية، يأنسان إلى ذخيرته في إبداعهما الأدبي، وأصدر مجلة "المختار" ورفع بها مستوى الصحافة، وقام بترجمة عدة مصطلحات غريبة وجديدة إلى اللغة العربية للتعبير عن وسائل واختراعات حديثة من نوع" الطائرة النفاثة"ولا يزال الصحافيون يعتبرون عناوين "المختار" التي كان يصوغها نموذجاً يحتذى في هذا الباب.

وفي أوائل الأربعينات تعرف على الأستاذ فتحي رضوان، وبدأت صلته بالحزب الوطني الجديد في سنة ١٩٥٠م، وساهم بالكتابة في مجلة "اللواء الجديد" ثم انقطع عن الصحافة، بعد إغلاق "الرسالة" القديمة في سنة ١٩٥٢م، وبدأ التأليف و التحقيق، ونشر النصوص، فأخرج جملة من أمهات الكتب العربية مثل" تفسير الإمام الطبري" (ستة عشر جزءاً) و"طبقات فحول الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي، و "جمهرة نسب قريش" للزبير بن بكار، وشارك في إخراج " الوحشيات" لأبي تمام، و"شرح أشعار الهذليين".

وفي عام ١٩٥٢م نشر قصيدته القوس العذراء، التي تعد معلماً على طريق الشعر الحديث، ثم أعاد نشرها مرة ثانية في سنة ١٩٦٤م.

www.abulhasanalinadwi.org

وفي سنة ١٩٦٥م ألف كتابه "أباطيل وأسمار" وهو مجموعة مقالات(٢٥ مقالة) وكان سبب كتابة هذه المقالات ما كتبه الدكتور لويس عوض المستشار الثقافي لجريدة الأهرام بعنوان" على هامش الغفران" زعم فيه بتأثر أبي العلاء بحديث الإسراء والمعراج، وتأثير الأساطير اليونانية، في الحديث النبوي الشريف، فقام محمود محمد شاكر بتجهيل لويس، وتحدث عن الغزو الفكري في الأدب العربي، وهذه المجموعة من أهم البحوث في الأدب العربي، ثم نشر مقالاته عن المتنبي التي نشرت في المقتطف، ومقدمته بعنوان" لمحة من فساد حياتنا الأدبية"تناولت ما قام به علماء الغرب من تدسيس، وتضليل، وما أثر فيه مخطط التعليم الذي وضعه المبشر "دنلوب" الذي سيطر سيطرة تامة على التعليم.

وكانت تعقد في مسكنه مجالس أدبية وعلمية يشترك فيها الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور إحسان عباس، والدكتور شاكر الفحام، والأستاذ أحمد راتب النفاخ، والدكتور محمد يوسف نجم.

وفي سنة ١٩٥٧م عكف على نشر كنوز الشعر العربي، ونوادر التراث، وكتب المفكرين بتعاون الدكتور محمد رشاد سالم و الأستاذ إسماعيل عبيد، وأسس مكتبة دار العروبة، ثم اعتقل هو وصاحباه في سنة ١٩٦٥م، ووضعوا تحت الحراسة.

شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات، وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية، بدمشق سنة ١٩٨٠م، واعتقل مرتين في زمن حكم الرئيس جمال عبد الناصر الأولى لمدة تسعة أشهر سنة ١٠٥٩م، والثانية لمدة ثمانية وعشرين شهراً (١٩٦٥م - ١٩٦٧م).

ونال جائزة الملك فيصل العالمية، وكرمته الدولة فأهدته "جائزة الدولة التقديرية في الآداب" عن عام ١٩٨١م، تقديرا لجهوده وإسهاماته المتعددة في خدمة تراث الإسلام ودرايته الواسعة بعلوم العربية، ومكانته المتميزة في تاريخ الفكر الإسلامي، وتسلم الجائزة في احتفال أقيم مساء يوم

www.abulhasanalinadwi.org

الثلاثاء ٨/رمضان ١٤٠٢هـ و ٢٩/يونيه ١٩٨٢م، وانتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٢م، وعضو المجلس الاستشاري لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (١٩٩١-١٩٩٧م) وعضو مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية (١٩٩٤م-١٩٩٧م) توفي ٣/ربيع الآخر ١٤١٨هـ الموافق ٧/أغسطس ١٩٩٧م.

نموذج من كلامه

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر:

" ..فمن الغفلة التي تطمس القلب والعين والعقل، أن يعرف ذلك إنسان له بقية من نخوة، أو كرامة، أو عقل، ثم لا يعيد النظر في كل أمر من أمور الأمة العربية والإسلامية، ليرى أثر إصبع التبشير العامل على تحطيم النفس العربية المسلمة، في كلِ ناحية من نواحي الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية، وليبصر عياناً صُدوع التحطيم والهدم ظاهرة في حياتنا، وليدرك أن العدو الذي يريدنا أن نعتنق مبادئ الحضارة الغربية، وأن نعيش طريقة العيش الغربية، إنما يريد أن يقوض بناء كاملاً تمّ كماله في قرون متطاولة، وبقي يقارع الخطوب والأحداث والنكبات دهوراً، محتفظاً بقوته وكيانه، ولم يجترئ عليه العالم الأوربي المسيحي، إلا بعد طول تردد في القرن التاسع عشر، كما قال " توينبي"[١].

ويقول:

"... منذ بدأت أعقل بعض هذه الدنيا، وأرى سوادها وبياضها بعين باصرة، شغلتني "الكلمة" وتعلق قلبي بها، لأني أدركت أول ما أدركت أن "الكلمة" هي وحدها التي تنقل إليّ الأشياءَ التي أراها بعيني، وتنقل إليّ أيضاً بعض علائقها التي تربط بينها، والتي لا أطيق أن أراها بعيني، وكان هذا إدراكاً مبهماً لا تستطيع طفولتي يومئذ أن تستبينه كل الاستبانة، ولكني لا أزال أذكر لمحاً كالوميض يلوح ويخفى، من عهد أول

---

[١]- أباطيل وأسمار، ص: ٢٥٦ الطبعة الثانية ١٩٧٢م، القاهرة

www.abulhasanalinadwi.org

طفولتي، إذ كنت أسمع من كان في بيتنا حين يتحدثون بطلاقة وذلاقة، لا يطيق مثلها لسان غض قريب عهد بصمت الطفولة الطويل، وبعجزها المتلهف إلى الإبانة، وبنزاعها الدائب إلى محاكاة الكبار، ثم قذف بي أبي رحمه الله إلى المدرسة، فلا أزال أذكر أول ساعة دخلتها، ولا أزال أذكر ذلك الرعب الذي فض نفسي وهالني، حين صكّ سمعي ذلك الصوت المبهم البغيض إليّ منذ ذلك الحين، صوت الجرس! صوت مصلصل، مؤذ، جاف، أبكم أعجم لا معنى له، وإذاً هو غُلٌّ يطوّقني ويُشل إرادتي، رنين منكر سرى بالفزع في نفسي، وردد الوجيب الوخاز في قلبي، كدت أكره المدرسة من يومئذ، من جراء هذا الجرس الأعجمي الخبيث، وبعد قليل عرفت أن أكثر لداتي في المدرسة قد وجدوا من صوته المستَبْشع مثل الذي وجدت. ولو كنت أملك من أمر الناس شيئاً، لأمرت من فوري بإبادة هذه الإدارة الخبيثة، وإلغاء استعمالها في المدرسة خاصة، والعجب لوزارة التربية والتعليم كيف تُبقى على هذا الوحش البشع الممقوت المدمر لنفوس النشء وقلوبهم، بلا مسوّغ معقول، ولكن كيف نعجب، وناسُنا قد ابتلوا بالتقليد، وإن كان التقليد لا يهدي إلى خير، بل لعله من أكبر الأدلة على سخف العقل [١]!

ويقول وهو يحث على ضرورة المنهج التطبيقي في تحليل النص بعد توثيق المادة وتمحيصها:

"إن شطر التطبيق هو الميدان الفسيح الذي تصطرع فيه العقول، وتتناقض الحجج، أي أن تأخذ الحجة بناصية الحجة كفعل المتصارعين، والذي تسمع فيه صليل الألسنة جهرة أو خفية، وفي حومته تتصادم الأفكار بالرفق مرة، وبالعنف أخرى، وتختلف فيه الأنظار اختلافاً ساطعاً تارة وخابياً أخرى، وتفترق فيه الدروب والطرق، أو تتشابك أو تتلقى، هذه طبيعة هذا الميدان، وطبيعة النازلية من العلماء والأدباء والمفكرين،

---

[١]- أباطيل وأسمار، ص: ٥٥٥-٥٥٦

www.abulhasanalinadwi.org

وعندئذ يمكن أن ينشأ ما يسمى "المناهج والمذاهب"[١].

كتبه

(١) أباطيل وأسمار (٢) أريتيريا والحبشة

(٣) أفغانستان (٤) اقتصاديات العالم الإسلامي

(٥) إندونيسيا (٦) إيران (٧) برنامج طبقات فحول الشعراء

(٨) التاريخ الإسلامي (السيرة) (٩) تشاد (١٠) جغرافية البيئات

(١١) سكان العالم الإسلامي (١٢) الصومال

(١٣) العالم الإسلامي (١٤) غينيا (١٥) القرامطة

(١٦) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية

(١٧) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية

(١٨) المسلمون في الهند القينية (١٩) نيجيريا

سلسلة الخلفاء: العهد الراشدي

(١) الصديق وأسرته (٢) الفاروق وأسرته

(٣) الأمين ذو النورين وأسرته (٤) رابع الراشدين علي وأسرته

العهد الأموي

(١) معاوية وأسرته (٢) يزيد بن معاوية

(٣) عبد الله بن الزبير (٤) عبد الله بن عبد الملك

(٥) سليمان بن عبد الملك (٦) عمر بن عبد العزيز

(٧) يزيد بن عبد الملك (٨) هشام بن عبد الملك (٩) الوليد بن يزيد

(١٠) يزيد بن الوليد (١١) إبراهيم بن الوليد (١٢) مروان بن محمد

العهد العباسي

(١) أبو العباس السفاح (٢) أبو جعفر المنصور

(٣) محمد بن عبد الله المهدي (٤) موسى بن محمد الهادي

(٥) هارون الرشيد (٦) محمد الأمين (٧) عبد الله المأمون

---

[١]- المتنبي ص: ٢٢/الأستاذ محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨٧م

www.abulhasanalinadwi.org

(٨) المعتصم بالله هارون الواثق (٩) جعفر المتوكل
(١٠) خلفاء العصر العباسي الثاني(٢٨-٣٩)
(١١) الخلفاء في عصر السيطرة البويهية (٤٠-٤٣)
(١٢) الخلفاء في عصر السيطرة السلجوقية (٤٣-٥٣)
(١٣)الخلفاء العثمانيون (١٤) غياب الخلافة (١٥) ضياع الخلافة.

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتورة عائشة بنت الشاطئ

١٩١٣- ١٩٩٨م

ولـدت عائشـة بنـت عبـد الرحمـن علـى شـاطئ النيـل في عـام ١٩١٣م، تلقـت التعليـم الابتدائـي في بيتـها مـن والدهـا، وبـدأت دراسـتها المنتظمة في عـام ١٩١٨م، وهـي في الخامسة مـن عمرهـا، وهنـا حفظـت القرآن الكريم عند الشيخ مرسى، وبعد حفظ القرآن الكريم جعـل والدهـا يعلمها في أوقات فراغه المبادئ الأولية لعلوم العربية والإسـلام في مكتبه في جامع البحر.

وفي عام ١٩٢٠م في السابعة من عمرها حاولت الالتحاق بمدرسة اللوزي الأميرية للبنات كزميلاتها، لكن والدها الملتزم رفض قائلا: "ليس لبنات المشايخ العلماء أن يخرجن إلى المـدارس الفاسـدة المفسـدة، وإنما يتعلمن في بيوتهن"

ولكـن لالتمـاس أمـها لجدهـا وتدخلـه نجحـت في انتزاع موافقـة والدها، بشروط وقيود منها:

أن تتابع دراستها الدينية في البيت دون تقصير أو تهاون.

أن تنقطع نهائياً عن الخروج إلى المدرسة بمجرد أن تشارف سن البلوغ.

ودخلت المدرسة في نهاية السنة، لكنها نجحـت في الامتحـان بتفـوق كبير..

وأغراها التفوق بالإقبال على دروسـها الخاصـة الـتي كـان يفرضـها عليها والدها في المنزل، بل أنها ضاعفت جهدها في هـذه الـدروس المنزلية

www.abulhasanalinadwi.org

حتى لا يحرمها الوالد من الذهاب إلى المدرسة ، فتفوقت في دراستها تفوقاً لفت إليها الأنظار.

حصلت عائشة على شهادة الابتدائية في العاشرة من عمرها ، وأراد والدها فصلها عن المدرسة ، لكن تدخل جدها للمرة الثانية ، وقضت فترة مع جدها بعد إصابته بكسر في عظم الفخذ تعذر جبره لشيخوخته ، فانتهى الأمر إلى أن يبقى كسيحاً مقعداً حتى آخر عمره ، فلزمت حجرة جدها ، لا تكاد تبرحها ، وتفانت في خدمته ، وكان من بين ما تفعله من أجله شراء الصحف ، وقراءتها له ، ثم الجلوس إليه ليملي عليها من شؤون الحياة ، فتكتب وتنشرها في الصحف ، وهنا توثقت صلاتها بالصحافة.

وكانت في البداية تعتبر الكتابة واجباً تؤديه نحو جدها الكسيح ، ولكنها أصبحت تحس وهي تطالع في الصحف ما كتبته تعبيراً عماً كان الجد يمليه عليها.

وبعد ثلاث سنوات أتمت تعليمها في المدرسة الراقية بنجاح ، ثم التحقت بمدرسة المعلمات بالمنصورة ، ونجحت في امتحان القبول بالمدرسة بامتياز ، ولكن منع والدها من الالتحاق بها وبتدخل الشيخ منصور هيكل الشرقاوي الذي كان شيخ والدها ، وافق والدها ، على الاستمرار بالدراسة ، ولكن المدرسة فاجأتها بأنها قيدت كل العدد المقرر قبوله ، ولم يعد لها مكان فيها ، وبعد جهاد مرير باعت خلاله الأم سوارها الذهبي لتدفع النفقات اللازمة - انتهى بها المطاف في مدرسة طنطا.

وبعد وفاة جدها توقفت دراستها ، لكنها عكفت على الدراسة سراً ، وأدت امتحان شهادة الكفاءة للمعلمات أمام لجنة مدرسة طنطا ، فكانت أولى الناجحات في مصر كلها بفارق مائة وثلاثين درجة في المجموع عن الطالبة التي تلتها في ترتيب النجاح ، ثم عملت مدرسة للبنات بالمنصورة ، وتعلمت اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية ، ثم نقلت إلى كلية البنات بالجيزة ، بعد أن أدت امتحان الكفاءة الثانوية بتفوق ، وأثارت

www.abulhasanalinadwi.org

أجوبتها دهشة وإعجاب مراقب تعليم البنات، وفي هذه الكلية أتقنت اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

أثناء تدريسها بمدرسة المنصورة واصلت الكتابة في الصحف والمجلات، قد نشرت لها مجلة" النهضة النسائية" مجموعة من القصائد والمقالات، فلما استقر بها المقام في القاهرة اتصلت بصاحبة المجلة السيدة الحاجة لبيبة أحمد، وسرعان ما كلفتها صاحبة المجلة بالمراجعة اللغوية لكل المقالات التي تنشر في المجلة، ثم كلفت بكتابة مقالها الافتتاحي، ثم عهدت إليها رئاسة تحرير المجلة، وقد نشرت لها مجلة"الهلال" التي كانت في ذلك الحين تنشر إنتاج الأعلام من الكتاب والشعراء و"صحيفة البلاغ" و"كوكب الشرق" ما أرسلته إليها من قصص ومقالات، ثم واصلت الكتابة في الصحف اليومية والمجلات الكبرى باسم بنت الشاطئ، وبه عرفت منذ عام ١٩٣٣م.

حصلت على شهادة البكالوريا ثم الماجستير في ١٩٤١م، وكانت رسالتها عن "الحياة الإنسانية لأبي العلاء"، للدكتوراه في عام ١٩٤٤م من كلية الآداب، وكان موضوعها "دراسة نقدية لرسالة الغفران"، وقد صدر لها كتاب" الريف المصري" وعرفت به في الأوساط العلمية، وفازت بالجائزة الأولى للمباراة الرسمية التي أعلنت الحكومة في موضوع "إصلاح الريف والنهوض بالفلاح" و اختيرت عضوة في "المؤتمر الزراعي الأول" الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٣٦م.

وفي عام ١٩٤٤م تزوجها الأستاذ أمين الخولي، وظلت معه حتى رحل عن الدنيا في مارس ١٩٦٦م، وقد شغلت الدكتوراه بنت الشاطئ المناصب العلمية الآتية:

- أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها، بجامعة عين شمس.
- عضو اللجنة الدائمة للغة العربية بالمجلس الأعلى للجامعات.
- عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة.

www.abulhasanalinadwi.org

- أستاذ منتدب لمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية.
- أستاذ منتدب لمركز تحقيق التراث بدار الكتب بالقاهرة.
- أستاذ زائر لجامعات أم درمان الإسلامية، والخرطوم والقاهرة، والقرويين بفاس، والجزائر.

ومثلت مصر والجامعة في عدة مؤتمرات منها: "مؤتمر المشرقين" بميونيخ عام ١٩٥٧م، و"نيو دلهي" عام ١٩٦٤م، و"المؤتمر الأول للكتاب الآسيوي والإفريقي" بطشقند عام ١٩٥٧م، و"المؤتمر الثقافي العربي" في بغداد عام ١٩٥٧م، و"مؤتمر أدباء العرب" في القاهرة والكويت، وبغداد، و"مؤتمر النساء الإفريقيات" في غانا وأكرا عام ١٩٦٠م، و"الحلقة الدراسية لمشكلات الأسرة والهجرة" عام ١٩٦٢م، و"الحلقة الدولية للأدب العربي المعاصر" في روما عام ١٩٦١م، و"مؤتمر المعلمين العرب بالجزائر" عام ١٩٦٣م، و"ندوة علماء الإسلام في المغرب" عام ١٩٦٨م، و"ندوة أسبوع القرآن" بأم درمان عام ١٩٦٨م، و"ندوة ومهرجان الشاعر إقبال" في باكستان عام ١٩٦٩م، و"المركز التأسيسي للجامعات الإسلامية" في فاس سنة ١٩٦٩م.

وشاركت في المواسم الثقافية التي أقيمت في سوريه، والعراق، والكويت، والأردن، وفلسطين، والجزائر، والسودان، والمغرب، وأبوظبي، وباكستان.

مؤلفاتها

(١) أم النبي (٢) نساء النبي (٣) بنات النبي (٤) السيدة زينب سكينة بنت الحسين (٥) مع المصطفى عليه السلام (٦) تراجم سيدات بيت النبوة (٧) المفهوم الإسلامي لتحرير المرأة (٨) القرآن وحقوق الإنسان (٩) القرآن والجغرافية (١٠) المرأة في الإسلام (١١) القرآن ومشكلة الترادف (١٢) الطلاق وأثره في المجتمع العربي (١٣) معجم المحكم لابن سيدة (١٤) رسالة الغفران

www.abulhasanalinadwi.org

(١٥) رسالة ابن القارح (١٦جديد في رسالة الغفران (١٧) الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري (١٨) قيم جديدة لأدبنا القديم والمعاصر (١٩) تراثنا بين ماض وحاضر (٢٠) لغتنا والحياة (٢١) الشاعرة العربية المعاصرة (٢٢) أبو العلاء المعري (٢٣) مدينة السلام في حياة أبي العلاء (٢٤) الخنساء (٢٥) أعداء البشر هم الصهاينة (٢٦) على الجسر (٢٧) أرض المعجزات (٢٨) سيد العزبة (٢٩) رجعة فرعون (٣٠) صور من حياتهن (٣١) سر الشاطئ (٣٢) امرأة خاطئة (٣٣) الريف المصري (٣٤) قضية الفلاح (٣٥)كتابنا الأكبر (٣٦) عقلية بني هاشم (٣٧) الإعجاز البياني للقرآن (٣٨) التفسير البياني (٣٩) القرآن وقضايا الإنسان (٤٠) الشخصية الإسلامية (٤١) مقدمة ابن صلاح ومحاسن الإصطلاح .

نموذج من كلامها

تقول الدكتوراه عائشة، وهي تصف دار الهجرة:

"مع التاريخ كان مسعانا من أم القرى إلى دار الهجرة.

صلينا الظهر في المسجد الحرام، وحملتنا الطائرة من جدة بعد صلاة العصر، فأدركنا صلاة المغرب مع الجماعة في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وبتنا ليلتنا، وليالي بعدها في جوار الحبيب المصطفى، تتبعنا حيث أقمنا رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك العاهل فيصل ومودة ابنه الأمير الشاعر عبد الله، ويسعى بين أيدينا صحبة كرام من جيرة الحرم المدني، مرحبين مكرمين.

هذه الرحلة المريحة التي لم تستغرق أكثر مما بين عصر ومغرب، على متن طائرة تنقلنا في يسر ورخاء على بساط الريح.

أرهفت وعينا لحديث التاريخ عن رحلة المصطفى صلى الله عليه وسلم من دار مبعثه في أم القرى، إلى دار هجرته في يثرب.

www.abulhasanalinadwi.org

أبصارنا مشدودة إلى الطريق الوعر في الصحراء، وتلتمس من عل موضع غار ثور، بأعلى مكة، حيث آوى المهاجر مع صاحبه الصديق، ريثما تهدأ المطاردة الشرسة من طواغيت قريش.

ولبثا فيه ثلاث ليال، والمطاردون يعُدون في أثرهما، وقد بلغوا غار ثور فتلبثوا عنده وهموا بأن يدخلوه، لو لا أن صدهم عنه نسيج عنكبوت على فتحته، وحمامتان وحشيتان وقعتا عليه.

قال الصديق للمصطفى: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا.

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا تحزن إن الله معنا"

وفي هدأة المساء من الليلة الثالثة، خرج الصاحبان على حذر، مع دليل ثقة بمجاهل الفلاة، وسرى الركب آخذاً طريق الجنوب من أسفل مكة، وكان غير مطروق.

الطريق الوعر يتراءى لنا من نوافذ الطائرة، بل مخاطره ومصاعبه.

والتاريخ معنا، يرنو إلى المهاجر ويتبع خطاه إلى حيث حط رحله في دار هجرته، واصلاً إليها من "قباء".

وفي أهل المدينة، اجتلينا ملامح أجدادهم الأنصار الذين احتشدوا لاستقبال نبيهم عليه الصلاة والسلام.

وفي أصواتهم، رجع صدى من هتاف مستقبليه حين أهلت عليهم طلعته المشرقة بسنا النبوة، وذكروا له نعمة الله الذي جمعهم أهلاً وعشيرة وأنصاراً لله ورسوله، ونسخ ما كان بينهم من ثارات حروب ضربت فيهم على امتداد خمسة قرون قبل المبعث، وسهرت عليها عصابات يهود، تؤجج لهبها بوقود الفتنة والدس والوقيعة والبغضاء..

المسجد النبوي يأخذ القلوب والأبصار بجلاله وبهائه، وسعة رحابه وشموخ مبناه.

الأجيال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قد أغدقت عليه من حبها ما لم يظفر بمثله مثوى بشر، وبذلت له من جهدها وفنها ومالها، في

www.abulhasanalinadwi.org

أريحية وسخاء، وجلبت له من ديار الإسلام نادر الرخام والمرمر وثمين الخشب، وأضأته بالثريات البديعية، وفرشت رحابه بفاخر البسط والسجاجيد، نسجتها أيدي مهرة الصناع من إيران المسلمة.

ويقيت وتبقى روح المكان بكل أصالتها وعراقتها، كأن لم تمسسه يد منذ شهد التاريخ مبنى هذا المسجد في إثر الهجرة.

كان وصوله صلى الله عليه وسلم إلى دار هجرته، قبيل الظهر من يوم الإثنين، وقد مضت إثنتا عشرة ليلة من ربيع الأول، في السنة الثالثة عشرة للمبعث.

وفي " قباء" بظاهر المدينة أقام أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، أسس فيها أول مسجد في الإسلام.

ثم ركب ناقته القصواء يوم الجمعة، وسط حشد من المهاجرين والأنصار، فأدركته صلاة الجمعة في حي بني عوف بن سالم، فصلى بالصحابة أول جمعة بالمدينة المنورة.

وأرخى العنان لناقته وهي تشق أمواج الزحام، ولا أحد يدري يومها أين يكون منزل المصطفى، وكل بيوت المدينة مفتوحة له، وإن لم يكن له دار هناك.

ويدا الموقف صعباً، كلما مر عليه الصلاة والسلام بحي من أحياء الأنصار بادر إليه الرجال يسألونه شرف النزول فيهم، وهو يتحرج من إيثار حي على آخر دار علي دار، فيقول معتذراً شاكراً:

" خلوا سبيل ناقتي".

وقد خطت القصواء روئيداً تشق الزحام حتى وصلت إلى مربد هناك لسهل وسهيل ابنى عمرو، فوقفت وأناخت على المربد.

وحيث بركت الناقة، أمر المهاجر صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجده: ثاني الحرمين ومزار المسلمين على مر السنين والدهور.

وتنافس المهاجرون والأنصار في بنائه بما تيسر من مواد، اللبن

www.abulhasanalinadwi.org

والجريد والليف، وبعض الحجارة والخشب، والمصطفى معهم يشارك ويعين، داعياً للمهاجرين والأنصار.

ولم يستغرق بناؤه أكثر من أيام معدودات، ومن حوال المسجد بنيت تسع حجرات تفتح على ساحته، لتكون دار المصطفى المهاجر.

وكان مبنى المسجد والحجرات بسيطاً متواضعاً، بعضه من حجارة مرصوصة، وبعضه من جريد يمسكه الطين، والسقف كله من جريد، يناله بيده غلام مراهق.

وشُدت خشبات بالليف، فكانت سريراً لخاتم النبيين عليهم السلام.

وغير بعيد عن المدينة والحجاز، كانت قصور الحكام والأمراء والأثرياء، في الحيرة وغسان واليمن، وفي فارس ومصر والحبشة، تعلو سامقة شامخة، ساطعة، ببريق البذخ والترف، فتخطف أبصار الدنيا عن ذلك المبنى البسيط المتواضع الذي لم يلبث سناً جلاله أن كسف أضواء كل ما عرفت الدنيا من قصور لكسرى وقيصر وفرعون، ونجاشي، وملك، وإمبراطور.

وتمضي الأعوام والقرون، توسع من رحابه وتسخو في العناية به، وهو بجوهر شخصيته وروح أصالته، كيوم بناه المهاجرون والأنصار.

وإنه ليغض اليوم من ناطحات السحاب وقصور ملوك المال، كما غض في الماضي من قصور القياصرة والأكاسرة والأباطرة..

ليالينا بدار الضيافة في جوار المسجد النبوي، كانت ساهرة مع التاريخ، تؤنسها أطياف المهاجرين في أول عهدهم بالمدينة، وتتمثل مجلس المصطفى في الروضة الشريفة، المدرسة الأولى التي تخرج فيها تلاميذ مدرسة النبوة من الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم.

ونطوف في النهار بمعالم المدينة وضواحيها، والتاريخ معنا شاهد ودليل.

هذه "قباء" على العهد بها، تستقبل أفواج الزائرين في مسجدها،

www.abulhasanalinadwi.org

أول مسجد بني في الإسلام.

وهذه بدر، تعيد ذكرى يومها الخالد، حيث كانت الجولة الأولى من الصدام المسلح بين الإسلام والوثنية، وفيها تحددت موازين القوى في كل معركة بين حق وباطل.

وهذا جبل أحد، ويروي حديث يومه المشهود.

وهنا وهناك، حيثما اتجهنا وأنى أقمنا، كانت ذكرى الكتائب الأولى من حزب الله، تجلو لبصيرتنا أروع مواقف البطولة وأمجد مشاهد الجهاد، وتحيي في نفوسنا ذوي الآمال.

وحان أوان الرحيل، فودعنا الحبيب في مثواه، وكأنا نودعه يوم رحل عن دنيانا بعد أن أبلغ رسالته، وترك للمؤمنين من بعده أن ينشروا الدين الحق في الآفاق، وأن يحملوا لواءه المبارك الميمون إلى الأقطار من مشرق ومغرب "[1]

---

[1]- أرض المعجزات، ص: ١٦٥، طبع: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٣٩٢هـ.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ علي الطنطاوي

١٣٢٧هـ - ١٤٢٠هـ (١٩٠٩-١٩٩٩م)

علي الطنطاوي يتبادر إلى الذهن أن أصله من "طنطا" في مصر، والأمر - بالفعل - فقد نزح جده منها إلى "دمشق" سنة ١٢٥٥هـ، أي منذ قرن وثلاثة أرباع القرن، برفقة عمه، وكان عمه هذا عالماً أزهرياً حمل علمه معه إلى ديار الشام حيث جدد فيها العناية بالعلوم العقلية، ولا سيما الفلك والرياضيات.

نشأته ودراسته

كان علي الطنطاوي من أوائل الذين جمعوا في الدراسة بين طريقي التلقي على المشايخ والدراسة في المدارس النظامية، تلقى دراسته الابتدائية الأولى في المدرسة التجارية التي كان أبوه مديراً لها إلى سنة ١٩١٨م، ثم في المدرسة السلطانية الثانية، وبعدها في المدرسة الجقمقية، ثم في مدرسة حكومية أخرى إلى سنة ١٩٢٣م، حين دخل "مكتب عنبر" الذي كان الثانوية الكاملة الوحيدة في دمشق حينذاك، ومنه نال البكالوريا" الثانوية العامة" سنة ١٩٢٨م.

بعد ذلك ذهب إلى مصر ودخل دار العلوم العليا، وكان أول طالب من الشام يؤم مصر للدراسة العالية، ولكنه لم يتم السنة الأولى، وعاد إلى دمشق في السنة التالية ١٩٢٩م، فدرس الحقوق في جامعتها حتى نال الليسانس "الإجازة الجامعية" سنة ١٩٣٣م، وقد رأى - لما كان في مصر - لجاناً للطلبة لها مشاركة في العمل الشعبي والنضالي، فلما عاد إلى الشام دعا إلى تأليف لجان تلك الصورة، فألفت لجنة للطلبة سميت "اللجنة العليا

www.abulhasanalinadwi.org

لطلاب سوريا" وانتخب رئيساً لها، وقادها نحواً من ثلاث سنين، وكانت لجنة الطلبة هذه بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنية التي كانت تقود النضال ضد الاستعمار الفرنسي للشام، وهي التي كانت تنظم المظاهرات والإضرابات، وهي التي تولت إبطال الانتخابات المزورة سنة ١٩٣١م.

توفي أبوه وعمره عشرة سنة، فكان عليه أن ينهض بأعباء أسرة فيها أم وخمسة من الإخوة والأخوات وهو أكبرهم.

ومن أجل ذلك فكر في ترك الدراسة، واتجه إلى التجارة، ولكن الله صرفه عن هذا الطريق، وعاد إلى الدراسة ليكمل طريقه فيها.

ثم ماتت أمه وهو في الرابعة والعشرين، فكانت تلك واحدة من أكبر الصدمات التي تلقاها في حياته بعد صدمته بموت والده.

في الصحافة

نشر علي الطنطاوي أول مقالة له في جريدة عامة في عام ١٩٢٦م، نشرها له الأستاذ محمد كرد علي في جريدة "المقتبس"، وكان في السابعة عشرة من عمره، وبعد هذه المقالة لم ينقطع علي الطنطاوي عن الصحافة أبداً، فعمل بها في كل فترات حياته، ونشر في كثير من الصحف، وشارك في تحرير مجلتي خاله محب الدين الخطيب، "الفتح" و"الزهراء" حين زار مصر سنة ١٩٢٦م، ولما عاد إلى الشام - في السنة التالية - عمل في جريدة "فتى العرب" مع الأديب الكبير معروف الأرناؤوط، ثم في "ألف باء" مع شيخ الصحافة السورية يوسف العيسى، ثم كان مدير تحرير جريدة "الأيام" التي أصدرتها الكتلة الوطنية سنة ١٩٣١م، ورأس تحريرها الأستاذ الكبير عارف الكندي، وله فيها كتابات وطنية كثيرة، وخلال ذلك كان يكتب في" الناقد" و" الشعب" وسواهما من الصحف، وفي سنة ١٩٣٣م أنشأ الزيات المجلة الكبرى "الرسالة" فكان علي الطنطاوي واحداً من كتابها، واستمر فيها عشرين سنة، إلى أن احتجبت سنة ١٩٥٣م وكتب - بالإضافة إلى كل ذلك - سنوات في مجلة"المسلمون" وفي" الأيام" و" النصر" وحين جاء

www.abulhasanalinadwi.org

إلى المملكة نشر في مجلة" الحج" في مكة المكرمة، وفي جريدة" المدينة" وأخيراً نشر ذكرياته في الشرق الأوسط، على مدى نحو من خمس سنين، وله مقالات متناثرة في عشرات من الصحف والمجلات التي كان يعجز ـ هو نفسه ـ عن حصرها وتذكر أسمائها[١].

في التعليم

إذا كانت الصحافة هي المهنة التي أحبها علي الطنطاوي، فإن التعليم هو العمل الذي ملأ حياته كلها، لقد كان يقول عن نفسه إنه أقدم المعلمين في الدنيا أو من أقدمهم، وكيف لا يكون كذلك وهو قد بدأ بالتعليم ولم يزل طالباً في المرحلة الثانوية؟ لقد بدأ بالتدريس في المدارس الأهلية بالشام، في الأمينية والجوهرية والكاملية، وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره في عام ١٣٤٥هـ، وقد طبعت محاضراته التي ألقاها على طلبة الكلية العلمية الوطنية في دروس الأدب العربي عن "بشارد بن برد" في كتاب عام ١٩٣٠م، أي حين كان في الحادية والعشرين من العمر.

بعد ذلك صار معلماً ابتدائياً في مدارس الحكومة سنة ١٩٣١م، حين أغلقت السلطات جريدة" الأيام" التي كان يعمل مديراً لتحريرها، وبقي في الابتدائي إلى سنة ١٩٣٥م، وكانت حياته في تلك الفترة سلسلة من المشكلات بسبب مواقفه الوطنية وجرأته في مقاومة الفرنسيين وأعوانهم في الحكومة، فما زال ينقل من مدينة إلى مدينة، ومن قرية إلى قرية، حتى طوف بأرجاء سوريا جميعاً من أطراف جبل الشيخ جنوباً إلى دير الزور في أقصى الشمال والشرق، ولكن شيئاً من ذلك لم يصرفه عن التعليم أو يقعد به عن المضي فيه[٢].

---

[١]- وقد بقيت الصحافة أبداً العمل الأثير لديه، وفي الذكريات المنشورة "الجزء الثاني" الحلقات ٣٥-٣٧ تفصيل ممتع وأخبار كثيرة طريفة مفيدة عن اشتغاله بالصحافة وعن الذين اشتغل معهم فيها، فمن شاء فليرجع إليها هناك.

[٢]- اقرؤوا كيف وصف في ذكرياته تنقله بين المدارس في القرى، وفي الجبال، وفي الحرات، وفي أيام القر، وفي أيام الحر، يخوض في الثلوج، وينام مع العقارب، صور لو قرأها فتيان اليوم لعجبوا كيف يطيقها إنسان، ولكننا نجده ماضيا بعزيمة وهمة، لا يني ولا يكل.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد بدأ التعليم مدرساً في المدارس الابتدائية في القرى، وقد انطلق إلى هذا العمل مشحوناً بحماسة ندر أن نجد لها مثيلاً لدى معلم صبيان، ولكن طموحه كان أكبر من علم صبيان، كان - أبداً - يريد أن يصب ما في رأسه من علم، أو في جعبته من إبداع حيث عمل ومع أي أناس اشتغل، ها هو ذا يقول عن عمله مع تلاميذ المدرسة الابتدائية بقرية سلميّة التي علم فيها سنة ١٩٣٢م: "كنت - من حماستي، ومما وجدت من ذكاء التلاميذ وحسن استجابتهم ورغبتهم في الاستفادة والتحصيل - أريد أن أجعل منهم كتاباً وخطباء، وجعلت من دروس التاريخ محاضرات وطنية لا مجرد معرفة بأحداث الماضي".

ولما نقل إلى قرية "سقبا" من قرى الغوطة قرب دمشق في السنة التالية صار مسئولاً عن مدرسة ابتدائية فيها أكثر من مائة من التلاميذ.

بعد ذلك انتقل إلى العراق عام ١٩٣٦م مدرساً في الثانوية المركزية في بغداد، ثم في ثانويتها الغربية ودار العلوم الشرعية في الأعظمية.

بقي علي الطنطاوي يدرس في العراق حتى عام ١٩٣٩م لم ينقطع عنه غير سنة واحدة أمضاها في بيروت مدرساً في الكلية الشرعية فيها عام ١٩٣٧م.

ثم رجع إلى دمشق فعين أستاذاً مساعداً في "مكتب عنبر" الذي صار يدعى مدرسة التجهيز وهي الثانوية الرسمية.

في القضاء

انتهى الأمر به في إجازة قسرية بعد حوادث دير الزور أواخر سنة ١٩٤٠م، لقد أرادوا له أمراً وأراد الله له أمراً، وكان الخير فيما اختاره له الله، فلقد هيأت له هذه الحادثة ترك التعليم والدخول في سلك القضاء، وقضى فيه خمسة وعشرين عاماً من أخصب أعوام حياته.

وقد صار قاضي دمشق الممتاز، فماذا صنع في هذا الموقع الذي شغله عشر سنين كاملات، من سنة ١٩٤٣م إلى سنة ١٩٥٣م، حين نقل

www.abulhasanalinadwi.org

مستشاراً لمحكمة النقض.

وقد اقترح ـ لما كان قاضياً في دوما ـ وضع قانون كامل للأحوال الشخصية فكلف بذلك عام ١٩٤٧م، وأوفد إلى مصر مع عضو محكمة الاستئناف الأستاذ نهاد القاسم الذي صار وزيراً للعدل أيام الوحدة فأمضيا تلك السنة كلها هناك، حيث كلف هو بدرس مشروعات القوانين الجديدة للمواريث والوصية وسواها كما كلف زميله بدرس مشروع القانون المدني، وقد أعد هو مشروع قانون الأحوال الشخصية كلها، وصار هذا المشروع أساساً للقانون الحالي، وأشير إلى ذلك في مذكرته الإيضاحية.

وكان القانون يخول القاضي الشرعي في دمشق رئاسة مجلس الأوقاف وعمدة الثانويات الشرعية، فصار علي الطنطاوي مسئولاً عن ذلك كله خلال عشر السنين التي أمضاها في قضاء دمشق، فقرر أنظمة الامتحانات في الثانويات الشرعية وكان له يد في تعديل قانون الأوقاف ومنهج الثانويات، ثم كلف عام ١٩٦٠ بوضع مناهج الدروس فيها فوضعها وحده ـ بعد ما سافر إلى مصر واجتمع فيها بالقائمين على إدارة التعليم في الأزهر ـ واعتمدت كما وضعها.

رحلاته

وقد كانت له مشاركة في طائفة من المؤتمرات، منها حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدتها جامعة الدول العربية في دمشق على عهد أديب الشيشكلي، ومؤتمر الشعوب العربية لنصرة الجزائر، ومؤتمر تأسيس رابطة العالم الإسلامي، واثنين من المؤتمرات السنوية لاتحاد الطلبة المسلمين في أوربا، ولكن أهم مشاركة له كانت في المؤتمر الإسلامي الشعبي في القدس عام ١٩٥٣م، والذي تمخضت عنه سفرته الطويلة في سبيل الدعاية لفلسطين، وقد جاب فيها باكستان والهند والملايو وإندونيسيا.

ولم تكن تلك أول رحلة طويلة يرحلها" وإن تكن الأبعد والأطول" فقد شارك في عام ١٩٣٥م في الرحلة الأولى لكشف طريق الحج البري بين

www.abulhasanalinadwi.org

دمشق ومكة، وقد حفلت تلك الرحلة بالغرائب وحفت بها المخاطر[1].

في السعودية

في عام ١٩٦٣م قدم علي الطنطاوي إلى الرياض مدرساً في "الكليات والمعاهد" (وكان هذا هو الاسم الذي يطلق على كليتي الشريعة واللغة العربية، وقد صارت - من بعد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، وفي نهاية السنة عاد إلى دمشق (لإجراء عملية جراحية بسبب حصوة في الكلية) عازماً ألا يعود إلى المملكة في السنة التالية، إلا أن عرضاً بالانتقال إلى مكة للتدريس فيها حمله على التراجع عن هذا القرار.

وهكذا انتقل علي الطنطاوي إلى مكة المكرمة ليمضي فيها" وفي جدة" خمساً وثلاثين سنة، فأقام في أجياد مجاوراً للحرم إحدى وعشرين سنة" من عام ١٩٦٤م إلى عام ١٩٨٥م"، ثم انتقل إلى العزيزية" في مكة من جهة منى" فسكنها سبع سنوات، ثم إلى جدة فأقام فيها حتى وفاته في عام ١٩٩٩م.

بدأ الطنطاوي هذه المرحلة الجديدة من حياته بالتدريس في كلية التربية بمكة، ثم لم يلبث أن كلف بتنفيذ برنامج للتوعية الإسلامية، فترك الكلية وراح يطوف على الجامعات والمعاهد والمدارس في أنحاء المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات، وتفرغ للفتوى يجيب عن أسئلة الناس في الحرم - في مجلس له هناك - أو في بيته ساعات كل يوم، ثم بدأ برنامجيه: "مسائل ومشكلات" (في الإذاعة) و"نور هداية" (في الرائي) اللذين قدر لهما أن يكونا أطول البرامج عمراً في تاريخ إذاعة المملكة ورائيها.

هذه السنوات الخمس والثلاثون كانت حافلة بالعطاء الفكري للطنطاوي، ولا سيما في برنامجيه اللذين استقطبا - على مر السنين - ملايين المستمعين والمشاهدين وتعلق بهما الناس على اختلاف ميولهم وأعمالهم وأجناسهم وجنسياتهم، ولم يكن ذلك بالأمر الغريب، فلقد كان علي

[1] - ومن أحب الاطلاع على تفاصيلها فلينظره في كتاب "من نفحات الحرم"

www.abulhasanalinadwi.org

الطنطاوي من أقدم مذيعي العالم العربي ، فقد بدأ يذيع من إذاعة الشرق الأدنى من "يافا" في أوائل الثلاثينات وأذاع من إذاعة بغداد سنة ١٩٣٧م ، ومن إذاعة دمشق من سنة ١٩٤٢م لأكثر من عقدين متصلين ، وأخيراً من إذاعة المملكة العربية السعودية ورائيها نحواً من ربع قرن متصل من الزمان.

هذا العمل ملأ عليه وقته كله خلال تلك السنوات ، كان يمضي كل يوم ساعات عاكفاً على أسئلة المستمعين والمشاهدين قراءة وفرزاً ليختار منها ما يصلح للإجابة ، وما كان يسعه أن يجيب عن كل سؤال يأتيه لأنه كان يستلم من الأسئلة في كل أسبوع مئات" حقيقة لا مجازاً" ووقت البرنامجين لا يكاد يتسع لغير عشر منها أو عشرين ، ثم كان يراجع المسائل في أمهات الكتب ويضع تعليقات على الأسئلة بخطه في بعض الأحيان ، وكان فوق ذلك ـ يتفرغ للإجابة عن أسئلة المستفتين بالهاتف بين العصر والمغرب كل يوم.

ولطالما أعلن في الإذاعة والرائي أن ذلك هو الوقت الذي يتلقى فيه الأسئلة ولكن الهاتف كان يرن في كل ساعة من ليل ونهار ، فإذا جاء المغرب كان ينطلق إلى الحرم فيجلس في موضع له هناك لا يفارقه بين العشائين فيأتيه من الناس من شاء ويسأله من شاء ، فكان ذلك مجلساً مفتوحاً للعلم والفتوى ، فإذا عاد من الحرم بعد العشاء فلا يستقبل أحداً كما أنه لا يستقبل أحداً قبل العصر" ويعود إلى قراءته ومراجعاته وشؤون أهل بيته.

هكذا أمضى تلك السنوات ، حتى إذا جاوز الثمانين بدا جسمه الذي حمله في مسيرة حياته الطويلة الحافلة بالتعب وما عاد يقوي على العمل ، فآثر ترك الإذاعة والرائي.

وكان ـ قبل ذلك ـ قد لبث نحو خمس سنين ينشر ذكرياته في الصحف ، حلقة كل يوم خميس ، فلما صار كذلك وقف نشرها(وكانت قد قاربت مأتين وخمسين حلقة) وودع القراء فقال : " لقد عزمت على أن

www.abulhasanalinadwi.org

أطوي أوراقي، وأمسح قلمي، وآوي إلى عزلة فكرية كالعزلة المادية التي أعيشها من سنين، فلا أكاد أخرج من بيتي، ولا أكاد ألقى أحداً من رفاقي وصحبي وقد منح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٩٠م.

ثم أغلق عليه باب بيته واعتزل الناس إلا قليلاً من المقربين يأتونه في معظم الليالي زائرين، فصار ذلك له مجلساً يطل من خلاله على الدنيا، وصار منتدى أدبياً وعلمياً تبحث فيه مسائل العلم والفقه واللغة والأدب والتاريخ.

توفي بعد عشاء يوم الجمعة الثالث من ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق للثامن عشر من حزيران عام ١٩٩٩م في قسم العناية المركزة بمستشفى الملك فهد بجدة، ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة في اليوم الثاني بعد ما صلي عليه في الحرم المكي الشريف.

ومن الملاحظ أن الطنطاوي أول من كتب مسرحية إسلامية مقتبسة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يكتب توفيق الحكيم مسرحية محمد، فكأنه وضع الخط الذي يجب أن يتبع في كتابة مسرحية عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث التزم بكل وقائع السيرة في الفصل المسرحي الذي دبجه تحت عنوان " أبوجهل" التزم بكل وقائع السيرة دون جموح إلى الخيال.

أسلوبه ونموذج من كلامه

أديب العربية علي الطنطاوي من كبار الكتاب الذين أنجبتهم الأمة العربية في القرن العشرين الميلادي، تجمع كتابته بين الرشاقة والجزالة، ومحاسن القديم والجديد، وتدل كتبه على اقتداره على اللغة، وبلاغته في التعبير، وأسلوبه ـ تصويراً وتعبيراً ـ يتسم بالشاعرية، وخصوصاً في وصف الطبيعة، والأماكن المفتوحة، فهو يأسرنا بالخيال الابتكاري البارع، والكلمة الموحية النابضة، فمما قاله عن حديثه عن مزارع الأرز في جاوا بأندونيسيا:

www.abulhasanalinadwi.org

".. ورأيت الزهر من خلال الأرز كالشقائق الحمر خلال خضرة القمح في بلادنا، فلما دنا بنا من ذلك القطار، رأينا ما حسبناه زهراً ليس بالزهر، وما ظنناه من البيان، إنما هو البنات الحاصدات بأزرهن الملومة (أي الفوط) التي تحكى الزهر بنقشها ولونها، وعلى رؤوسهن قبعات الخوص الكبار كأنها المظلات المنقوشة"

.. وما مزارع الأرز إلا قطع من الأرض جردت من أشجارها، وصلبت من الغابة، فهي تحاول أن تتوارى مستحية كأنها الفتاة العذراء جردتها من ثيابها، وتركت المصون من جسدها نهب العيون، تحتمي بالغابة فيحميها دوحها، ويحف بها من كل جانب"[١].

فأسلوب الطنطاوي أقرب إلى الشاعرية، والجمال والشفافية، وقوة الإيحاء، و التوهج العاطفي، فهو أديب بفطرته، والطوابع الجمالية على أسلوبه ووجهته أغلب.

يقول الأستاذ علي الطنطاوي وهو يصف حالته برؤية جبال المدينة: ونجد فيها كيف انتقل من حالة عادية إلى حالة عاطفية، يقول:

"صحت بالدليل:

يا محمد ايش تكون هذه الجبال؟

فقال: هذه يا خوي جبال المدينة، ونحن إن شاء الله الظهر فيها.

قلتُ ما تقول بي؟ وثبت وثبة تطاير منها اليأس والخمول عن عاتقي، وأحسست كأن قد صب في أعصابي عزم أمة، وقوة جيش، وظننت أني لو أردت السحاب لنلته، ولو غالبت الأسود لغلبتها، ولو قبضت على الصخر لفتتته، وجعلت أقفز وأصرخ، لا أعي وما أنا فاعل، فقد استخفني الفرح، وسرني من هذه الكلمة أكثر من يسرني أن يقال لي: أنت أمير المؤمنين.

وصحت بأصحابي فقاموا كالأسود".

---

[١]- ذكريات الطنطاوي ١٥٢/٦

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول:

".. ولما خرجنا من الوادي، وانتهينا إلى الفضاء الرحب، رأينا وجه أحد، وعلى سفحه النخيل والبساتين، ورأينا سلعاً وهو جبل عال أسود يقوم حيال أحد، فيحجب المدينة وراءه، فلا يبدو منها إلا جانب الحرّة، وطرف النخيل، فذكرت قول محمد بن عبد الملك الزيات وقد ورد بغداد، فحنَّ إلى المدينة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بسلع ولم تغلق عليّ دروب
وهل أحد باد لنا وكأنه ... حصان أمام المقربات حبيب
يخب السراب الضحل بيني وبينه ... فيبدو لعيني تارة ويغيب
فإن شفائي نظرة إن نظرتها ... إلى أحد والحرتان قريب
وإني لأرعى النجم حتى كأنني ... على كل نجم في السماء رقيب
وأشتاق للبرق اليماني إن بدا ... وأزداد شوقاً أن تهب جنوب

وعندما يدخل هذا المشتاق حماه الذي تخيله وتصوره في ذهنه، وعشقه، وحنّ إليه في حياته كلها، فكتب يقول وهو يصف حيرته وهي حيرة العاشق، إذا وقف أمام حبيبه أو منزل حبيبته فيقول:

"نظرت في خريطة للمدينة كانت معي، وقلت للدليل، أما هذا (ذباب) قال: بلى والله فما يدريك أنت: قلت أما هذا (مسجد الراية)؟ قال: بلى! قلت: هذه ثنية الوداع، وخفق قلبي خفقاناً شديداً، وخالطني شعور بالهيبة من دخول المدينة، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما في نفسي من الفرح والسرور، وجعلت أتأمل المدينة، وقد دنونا منها، حتى لقد كدنا نصير بين بيوتها، وأحدق بالقبة، وتحتها أفضل من مشى على الأرض، وقد شخص بصري، وكدت لا أرى ما كان حولي لفرط ما أحس من جيشان العواطف في نفسي، حتى غامت المشاهد في عيني، وتداخلت كأنها صورة يضطرب بها الماء، وأحسست كأني قد خرجت من نفسي، وانفصلت عن حاضري، وذهبت أعيش في عالم طلق، لا أثر فيه لقيود

www.abulhasanalinadwi.org

الزمان والمكان.

ويقول :

ونظرت فإذا السيارات أمام باب السلام، فأشرأبت الأعناق، وبرقت الأبصار، ودمعت العيون، وخفقت القلوب، وتعالى الهتاف، ونزلنا ندخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت حال لا سبيل إلى وصفها قط، اللهم اجعل لنا إلى تلك البقاع التي شرفتها بمحمد معاداً !

ويصل هذا الملهوف والمشتاق إلى مكة، ويأتى موعد زيارة الكعبة فيخاطب صحبه.

"كأنكم تدنون من الحبيب ودونه الحجب والأستار، فلا تزال ترفع لكم حجاباً بعد حجاب، وستراً بعد ستر حتى تروا طلعة الحبيب، وأين طلعته من طلعة الكعبة، وقبلة الإسلام، ومهوى القلوب.

ها هي ذي الكعبة يا ناس، هذا الحطيم، وزمزم، والمقام، لقد صحت الرؤي، وتحققت الأحلام"[1].

مؤلفاته

١. رسائل الإصلاح، ١٣٤٨هـ.
٢. بشار بن برد، ١٣٤٨هـ.
٣. رسائل سيف الإسلام، ١٣٤٩هـ.
٤. الهيثميات، ١٣٤٩هـ.
٥. في التحليل الأدبي، ١٣٥٢هـ.
٦. عمر بن الخطاب، ١٣٥٥هـ.
٧. في بلاد العرب، ١٣٣٩هـ.
٨. من التاريخ الإسلامي، ١٣٣٩هـ.
٩. أبو بكر الصديق، ١٩٨٦م.
١٠. قصص من التاريخ، ١٩٨٦م.
١١. رجال من التاريخ، ١٩٨٣م.

[1]- من نفحات الحرم، لعلي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق

www.abulhasanalinadwi.org

١٢. صور وخواطر، ١٩٨٢م.
١٣. قصص من الحياة ، ١٩٨٠م.
١٤. في سبيل الإصلاح، ١٩٥٩م.
١٥. دمشق، ١٩٥٩م.
١٦. أخبارعمر، ١٩٨٣م.
١٧. مقالات في كلمات، ١٩٥٩م.
١٨. من نفحات الحرم، ١٩٨٠م.
١٩. هتاف المجد، ١٩٦٠م.
٢٠. من حديث النفس ١٩٨١م.
٢١. الجامع الأموي، ١٩٦٠م.
٢٢. في إندونيسيا، ١٩٦٠م.
٢٣. فصول إسلامية، ١٩٦٠م.
٢٤. صيد الخاطر لابن الجوزي، ١٩٨٧ (تحقيق وتعليق).
٢٥. فكر ومباحث، ١٩٦٠م.
٢٦. مع الناس ، ١٩٦٠م.
٢٧. بغداد، ١٩٦٠م.
٢٨. سلسلة حكايات من التاريخ، ١٩٦٠م.
(وزارة بعنقود عنب ـ التاجر والخراساني ـ ابن الوزير ـ التاجر والقائد ـ قصة الأخوين ـ المجرم ومدير الشرطة ـ جابر عثرات الكرام).
٢٩. سلسلة أعلام التاريخ، ١٩٧٩م د /عبد الرحمن بن عوف ـ عبد الله ابن المبارك، القاضي شريك ـ الإمام النووي ـ أحمد بن عرفان الشهيد.
٣٠. فتاوى علي الطنطاوي، ١٩٨٦م.
٣١. تعريف عام بدين الإسلام، ١٩٧٤م.
٣٢. ذكريات علي الطنطاوي ج ١ ، ١٩٨٥م.
٣٣. ذكريات علي الطنطاوي ج ٢ ، ١٩٨٥م.
٣٤. ذكريات علي الطنطاوي ج ٣ ، ١٩٨٦م.

www.abulhasanalinadwi.org

٣٥. ذكريات علي الطنطاوي ج ٤ ، ١٩٨٦م.
٣٦. ذكريات علي الطنطاوي ج ٥ ، ١٩٨٧م.
٣٧. ذكريات علي الطنطاوي ج ٦ ، ١٩٨٨م.
٣٨. ذكريات علي الطنطاوي ج ٧ ، ١٩٨٩م.
٣٩. ذكريات علي الطنطاوي ج ٨ ، ١٩٨٩م.
٤٠. قصة حياة عمر، ١٩٩٣م.
٤١. فصول اجتماعية، ٢٠٠٢م.
٤٢. سيد رجال التاريخ، ٢٠٠٢م.
٤٣. كتاب المحفوظات، ١٣٥٥هـ.

مقالات طبعت في كتيبات

١. المثل الأعلى للشباب ، دار المنارة، ١٩٨٨م
٢. يا بنتي ويا ابني ـ دار المنارة، ١٩٨٧م
٣. من غزل الفقهاء ـ دار المنارة، ١٩٨٨م
٤. تعريف موجز بدين الإسلام ـ دار المنارة، ١٩٩٢م
٥. الرزق مقسوم ـ دار المنارة، ١٩٩٦م
٦. موقفنا من الحضارة الغربية ـ دار المنارة، ١٩٩٠م
٧. ارحموا الشاب ـ دار المنارة، ١٩٩٥م
٨. القضاء في الإسلام ـ دار المنارة، ١٩٨٨م
٩. من شوارد الشواهد ـ دار المنارة ، ١٩٨٨م
١٠. حلم في نجد ـ دار الأصالة، ١٩٨٣م
١١. قصتنا مع اليهود ـ دار المنارة ، ١٩٩٠م
١٢. طرق الدعوة إلى الإسلام ـ دار المنارة، ١٩٩٠م
١٣. صلاة ركعتين ـ دار المنارة ، ١٩٩٠م
١٤. طريق الجنة وطريق النار ـ مكتبة المنارة، ١٩٨٨م
١٥. قصة كاملة لم يؤلفها بشر ـ دار المنارة، ١٩٩٨م
١٦. الباب الذي لا يغلق في وجه سائل ـ دار المنارة، ١٩٩٧م.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

١٩١٣-١٩٩٩م

أسرته

كان أول من هاجر إلى الهند من هذه الأسرة الشيخ السيد قطب الدين محمد بن أحمد المدني عام ٦٠٧هـ، وكانت أم الشيخ قطب الدين بنت الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويصل نسبه من الطرفين إلى السيد عبد الله المحض بن السيد الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وكان سبب هجرته إلى الهند أنه رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة يأمره بالتوجه إلى الهند للجهاد، ويبشره بالفتح المبين.

وقد حافظت الأسرة طوال القرون على فضائلها الموروثة والمكتسبة، إذ عرفت بالتزام السنن الواضح من التوحيد والسنة والوقوف بوجه البدعة والحرص على مبادئ الدعوة إلى الإسلام، وقد شارك رجالها في الجهاد ونال الكثير منهم شرف الشهادة في سبيل الله.

نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء والدعاة سجلت أسماؤهم ولاتزال تسجل في تاريخ الدعوة الإسلامية والكفاح من أجلها، من أشهرهم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد(م ١٢٤٦هـ ـ ١٨٣١م)، قائد كبرى حركات الإصلاح والجهاد في الهند.

ولا ريب أن لهذا المنبت الكريم أثره العميق في نشأة الشيخ أبي الحسن الندوي وانصرافه التام إلى خدمة الإسلام والاهتمام بأمور المسلمين.

www.abulhasanalinadwi.org

نشاته وحياته

ولد في قرية "تكيه كلان" من مديرية "رائي بريلي" من الولاية الشمالية بالهند، وذلك في المحرم من عام ١٣٣٢هـ، وهو ابن العلامة الشريف عبد الحي الحسني(م ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م) أحد كبار مؤلفي عصره وصاحب الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام.

ونشأ الشيخ أبو الحسن الندوي في رائي بريلي، وتعلم الخط، وقرأ مبادئ الأردية والفارسية، وكان يتردد بين رائي بريلي ولكناؤ، كان غالب إقامته في لكناؤ حيث كان والده يشتغل بالمداواة، وإدارة ندوة العلماء، ولما توفي والده سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف، رجع مع أمه إلى رائي بريلي وتربى في حجرها، وقرأ الفارسية، وبرع فيها، ثم قدم لكناؤ، ونزل عند أخيه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني، وتعلم وترعرع تحت كفالته ونظارته، وقرأ الإنجليزية، وتوسع في الدراسات الفارسية حتى تمكن من مطالعة كتب الطبقات والسير والتراجم، والحقائق والمعارف والرسائل وما إليها في الفارسية.

بدأ يدرس اللغة العربية في أواخر ١٩٢٤م على الأديب الفاضل الشيخ خليل بن محمد بن حسين بن محسن الأنصاري البهوفالي (ت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) ولازمه مدة، وكان شيخه في بداية الأمر يكتب له الدروس الابتدائية في علم التصريف على كراسة وهو يحفظها، ثم قرأ عليه الأجزاء الأربعة، " الطريقة المبتكرة" والأجزاء الثلاثة لـ "مدارج القراءة" و"كليلة ودمنة" لابن المقفع، و"مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع" وكتاب "الضريري" في النحو، لأبي الحسن علي الضرير، و"نهج البلاغة" المنسوب إلى الشريف الرضي، و"المقامات" للحريري، و"دلائل الإعجاز" للجرجاني و"القصائد العشر" وقرأ عدة سور من الجزء الأخير للقرآن الكريم على الأستاذ خواجه عبد الحي الفاروقي أستاذ التفسير بالجامعة الملية بدلهي حين مقدمه إلى لكناؤ، وأخذ قواعد اللغة العربية عن عمه

www.abulhasanalinadwi.org

الفاضل السيد طلحة بن محمد بن نور الهدى بن محمد علي بن عبد السبحان الشريف الحسني الرائي بريلوي ثم الطوكي (ت ١٣٩٠) أحد العلماء المبرزين في الحديث، والرجال والعربية، واستفاد منه كثيراً، ثم التحق بجامعة لكناؤ الحكومية في قسم الفضيلة في الأدب العربي سنة ١٩٢٧م، واشترك في الاختبار السنوي في أبريل ١٩٢٨م، ثم أدرك اختبار الدور الثاني في ١٩٢٩م، ونجح بتقدير ممتاز، وحصلت له المنحة والميدالية الذهبية، ثم التحق بالفضيلة في الحديث، ودرس سنة كاملة، واشترك في الامتحان ونجح فيه، ثم رحل إلى لاهور في يونيو من نفس العام على طلب من عمته السيدة شمس النساء، بنت السيد فخر الدين حيث كان زوجها السيد طلحة الآنف الذكر أستاذاً محاضراً للغة العربية في الكلية الشرقية، فتسنى له في هذه الرحلة أن يزور أعلاماً كباراً وشعراء، وعلى رأسهم الدكتور محمد إقبال الشاعر، والشيخ أحمد علي اللاهوري المفسر(ت ١٣٨١هـ) وحفيظ جالندهري صاحب الملحمة الإسلامية الشهيرة، وغيرهم من رجال العلم والفضل.

حضر دروس الحديث بندوة العلماء لكناؤ التي كان يلقيها الفقيه المحدث الشيخ حيدر حسن خان الياغستاني الأفغاني الطوكي(ت ١٣٦٦هـ) ولازمه سنتين كاملتين وقرأ عليه" صحيح البخاري" و"صحيح الإمام مسلم" و"سنن أبي داود" و"الترمذي" حرفاً حرفاً، وقرأ شيئاً من تفسير "البيضاوي" وأخذ عنه عدة دروس في المنطق، ثم صحب الدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي المراكشي(١٣١١ - ١٤٠٧هـ) خلال إقامته بندوة العلماء مدرساً للغة العربية وآدابها في ١٩٣٠- ١٩٣٣م)، وانتفع بمجالسه العلمية واستفاد منه كثيراً، وقرأ عليه "ديوان النابغة الذبياني"، ثم سافر إلى لاهور مرة ثانية في ١٩٣٠م للاستفادة من شيخه اللاهوري، وقرأ عليه بداية سورة البقرة، وأعجب بدروسه في التفسير حتى قصده مرة ثانية في ١٩٣١م، وهذه المرة حضر في دروس "حجة الله البالغة" للشيخ ولي الله

www.abulhasanalinadwi.org

الدهلوي ، ثم قصده آخر مرة في ١٩٣٢ م ، وأصبح طالباً منتظماً في مدرسة "قاسم العلوم" المختصة لخريجي المدارس الدينية ، كانت الدراسة فيها تبدأ من أواخر شعبان وتنتهي في أواسط ذي القعدة ، وكان الاختبار في أوائل مارس ، واشترك فيه الشيخ الندوي ونجح بتقدير عال ، وحصل على الشهادة على يد الشيخ المحدث حسين أحمد المدني بن حبيب الله الفيض آبادي المشهور بالمدني (ت ١٣٧٧هـ).

و رحل إلى ديوبند في نفس العام وحضر دروس شيخه المدني هذا في "صحيح البخاري" و"سنن الترمذي" بصورة منتظمة ، وأسند عن الشيخ حيدر حسن خان الطوكي وأجازه المحدث عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري الشارح للترمذي (ت ١٣٥٣هـ).

وتم تعيينه مدرساً في دار العلوم التابعة لندوة العلماء في يوليو ١٩٣٤م ، ومارس العمل بانتظام كمدرس للأدب والتفسير في أول أغسطس ، وتزوج في نوفمبر بابنة خاله السيد أحمد سعيد ، وهي حفيدة الشيخ السيد ضياء النبي الحسني ، لم تلد له ولداً ، وماتت عنه في عام ١٩٨٩م.

ثم توفر على التدريس والتأليف ، ووضع المقررات الدراسية لتعليم اللغة العربية ، فألف "قصص النبيين" للأطفال في أربعة أجزاء ، و"القراءة الراشدة" في ثلاثة أجزاء ، و"مختارات من أدب العرب" في قسمين ، لدراسة النصوص الأدبية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، مع تعريف موجز بأصحابها ، وذكر خصائصهم الأدبية.

وما زال مشتغلاً بالتدريس والتصنيف حتى ألف كتابه الشهير "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" بدأ تأليفه من ١٩٤٣م إلى ١٩٤٧م ، طبع بمصر في ١٩٥١م ، وحج في ١٩٤٧م مع أمه وأخته السيدة الفاضلة أمة الله تسنيم ، وابن أخته الشيخ محمد الثاني الحسني ، وغيرهم ، مكث بالحجاز ستة أشهر مشغولاً بالأعمال الدعوية والالتقاء بالعلماء ، وأصحاب الفكر

www.abulhasanalinadwi.org

والدعوة والأعلام المبرزين في مجال الأدب واللغة العربية، ثم حج في ١٩٥٠م، وألقى بالحجاز عدة محاضرات، ورحل إلى مصر، والشرق العربي في ١٩٥٢م، ولقي هناك قادة الفكر الإسلامي، وأعلاماً كباراً من العلماء والأدباء والمؤلفين، وألقى في هذه الرحلة محاضرات، ثم رحل إلى دمشق في أبريل ١٩٦٥م على دعوة من كلية الشريعة بجامعة دمشق، وألقى بها ثماني محاضرات علمية في "التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي".

أسس المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ في ١٩٥٩م، وسافر إلى بورما في ديسمبر ١٩٦٠م ، ومكث بها أكثر من شهر، وألقى عشرات من الخطب، واختير رئيساً لندوة العلماء في ١٨ يونيو ١٩٦١م، بعد ما توفي شقيقه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني في ٧/ مايو من نفس العام، وسافر إلى دولة الكويت في ٢٤/يناير ١٩٦٢م، ثم تلقى عضوية المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في أواخر مارس، وحضر جلستها الأولى في شهر مايو، وفي نفس العام تشرف بالعضوية في مجلس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ثم قدم المدينة في ١١/مارس ١٩٦٣م، على دعوة من نائب رئيس الجامعة لإلقاء المحاضرات، فألقى ثماني محاضرات في "النبوة والأنبياء في ضوء القرآن".

ورحل إلى أوربا أول مرة في ١٩/سبتمبر لهذا العام، واستغرقت هذه الرحلة إلى نوفمبر، وزار في هذه الرحلة أكثر مدن أوربا وأسبانيا، وقابل عدداً من فضلاء الغرب والمستشرقين، وألقى كلمات ومحاضرات، ثم تتابعت الرحلات إلى أوربا وأمريكا والبلاد العربية ، والمغرب الأقصى، والخليج العربي وما إليها من البلدان، ونال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في ١٩٨٠م، ثم عقد ندوة عالمية للأدب الإسلامي بدار العلوم ندوة العلماء في ١٧-١٩/ أبريل ١٩٨١م، وحضر ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر في ١٩٨٢م، وفي بداية عام ١٩٩٩م اختارته جائزة دبي

www.abulhasanalinadwi.org

الدولية للقرآن الكريم الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ .

وتوفي قبيل صلاة الجمعة في ٢٢/رمضان المبارك الموافق ٣١/ديسمبر ١٩٩٩م.

آراء أقطاب الفكر الإسلامي عن الشيخ الندوي:

يقول سيد قطب الشهيد :

"هو أنجح كاتب في القصة الإسلامية ، ليس في الهند فحسب ، بل في العالم الإسلامي"

يقول العلامة أحمد الشرباصي :

"وهب الله لأخينا المفضال السيد أبي الحسن من مواهب يغبط عليها عند كرام الرجال ، ويحسد عليها عند لئامهم ، فحسبه فخراً أن يوفقه الله فيؤلف كتباً للخاصة تعلو وتدق ، وتتسع وتعمق ، وتسير بين القارئين الكبار فتشرق وتغرب ، بعد أن ازدانت بالفكرة السليمة والأسلوب الرفيع ، والتحليق السامي ، ثم يوفقه الله أيضاً إلى أن يقرب بعبارته السهلة وبيانه الرقيق أهداف القصة القرآنية إلى عقول الناشئة المسلمة".

يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني :

"سماحة الشيخ أبي الحسين علي الحسني الندوي غني أن يعرف به وبكتاباته النفيسة بعد أن ذاعت شهرته في أرجاء العالم الإسلامي.

وكلمتي بمثابة من يحمل كشافاً عادياً بيده ، ليدل بنوره الضئيل بعض ذوي الأبصار ، حتى تتوجه أعينهم لرؤية مصباح كهربائي عظيم ينير ساحات واسعات على امتداد جوانب دائرته".

يقول العلامة محمد المجذوب :

"متتبع ما يكتب الشيخ الندوي يشعر بأن لعبارته الأدبية سحراً لا يتوافر في العادة إلا في العلنية من أصحاب المواهب الذين تعمقوا سر الكلمة ، وتفاعلوا به ، وكان لقلوبهم أكبر الأثر في ما يصوغونه وذلك هي الخاصة الرئيسية التي يمتاز بها أبداً أولو الأذواق الروحية المتخرجين في

www.abulhasanalinadwi.org

مدرسة القرآن"

يقول أديب العربية الكبير العلامة علي الطنطاوي:

"وإذا كان من بنى حصناً أو قاد جيشاً عد في العظماء، فأبو الحسن بنى للإسلام من نفوس تلاميذه حصوناً أقوى، وأمتن من حصون الحجر، بني أمة صغيرة من العلماء الصالحين، والدعاة المخلصين".

ويقول:

"وكدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أعد أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية التي غنى بها الشعراء من لدن الشريف الرضي إلى البرعي، فلما قرأت كتابك"الطريق إلى المدينة" وجدتها، وجدتها في نثر هو الشعر إلا أنه بغير نظام".

كتب العلامة الشيخ محمد الغزالي يقول:

"لقد وجدنا في رسائل الشيخ الندوي لغة جديدة وروحاً جديدة، والتفاتاً إلى أشياء لم تكن نلتفت إليها".

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

"إن العلامة الشيخ الندوي جعل همه في البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق، وأنا أشبهه بالإمام حسن البنا، الذي كان حريصاً على هذا الاتجاه الذي شعاره "نبني ولا نهدم، نجمع ولا نفرق، ونقرب ولا نباعد".

نظرة الشيخ الندوي إلى التراث الأدبي العربي:

يقول الشيخ الندوي وهو يبين نظرته إلى الأدب العربي:

"أصيب الأدب العربي بمحنة تصيب كل أدب، محنة تكاد تكون طبيعية ومطردة، في الأدب واللغات، إلا أن آجالها تختلف من أدب إلى أدب، فقد يطول أجلها في أدب أمة من الأمم، ويقصر في أدب أمة أخرى، ويرجع ذلك إلى عوامل عدة، أهمها: الأحوال الاجتماعية والسياسية، وحركات الإصلاح والتجديد، والبعث الجديد، فإذا توافرت هذه العوامل في الأمة قصر أجل المحنة، وإذا فقدت أو ضعفت طال أجل المحنة، وطال

شقاء الأدب ـ والأمة كلها بها.

هذه المحنة هي: تسلط أصحاب التصنع والتكلف على الأدب، الذين يتخذونه حرفة وصناعة، ويتنافسون في تنميقه وتحبيره، وليثبتوا براعتهم وتفوقهم وليصلوا به إلى أغراض شخصية محضة.

وقد يطول هذا الأمر ويستفحل حتى يصبح الأدب مقصوداً عليهم، ومختصاً بهم، ويأتي على الناس زمان لا يفهمون فيه من كلمة "الأدب" إلا ما أثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع، وأدب تقليدي، لا قوة فيه ولا روح، ولا جدة ولا متعة.

ويطغى هذا الأدب الصناعي التقليدي على كل ما يؤثر عن هذه الأمة، وتحتوي عليه مكتبتها الغنية الزاخرة، من أدب طبيعي وكلام، مرسل، وتعبير بليغ يحرك النفوس ويثير الإعجاب ويوسع آفاق الفكر، ويغري بالتقليد، ويبعث في النفس الثقة، ولا عيب فيه إلا أنه صدر عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب والإنشاء، ولم يتخذوه حرفة ومكسباً، ولم يشتهروا بالصناعة الأدبية، ولم يكن لهذا النتاج الأدبي الجميل الرائع عنوان أدبي، ولم يكن في سياق أدبي، وإنما جاء في بحث ديني، أو كتاب علمي، أو موضوع فلسفي أو اجتماعي، فبقي مغموراً مطموراً في الأدب الديني، أو الكتب العلمية، ولم يشأ الأدب الصناعي ـ بكبريائه ـ أن يفسح له في مجلسه ولم ينتبه له مؤرخو الأدب ـ لضيق تفكيرهم وقصور نظرهم ـ فينوهوا به ويعطوه مكانه اللائق به.

إن هذا الأدب الطبيعي الجميل القوي كثير وقديم في المكتبة العربية، بل هو أكبر سناً وأسبق زمناً من الأدب الصناعي، فقد دون هذا الأدب في كتب الحديث والسيرة قبل أن يُدون الأدب الصناعي في كتب الرسائل والمقامات، ولكنه لم يحظ من دراسة الأدباء والباحثين وعنايتهم ما حظي به الأدب الصناعي، مع أنه هو الأدب الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية وأسرارها وبراعة أهل اللغة ولباقتهم، وهو مدرسة الأدب

www.abulhasanalinadwi.org

الأصيلة الأولى".

ويقول:

"أما هؤلاء المتصنعون فإنهم في كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين، قد يمثلون الملوك فيتصنعون أبهة الملك ومظاهره، وقد يمثلون الصعلوك فيتظاهرون بالفقر، وقد يمثلون السعيد وقد يمثلون الشقي من غير أن يذوقوا لذة السعادة أو يكتووا بنار الشقاء، وقد يعزون من غير أن يشاركوا المفجوع في أحزانه، وقد يهنئون من غير أن يشاركوا السعيد في أفراحه.

بالعكس من ذلك أقرأ كتابات الغزالي في "الإحياء" وفي "المنقذ من الضلال" وأقرأ خطب الشيخ عبد القادر الجيلاني وما صح منها، وأقرأ ما كتبه القاضي ابن شداد عن صلاح الدين، وأقرأ ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية في كتبهما، ترى مثالاً رائعاً للكتابة الأدبية العالية يتدفق قوة وحياة وتأثيراً، وذلك هو الأدب الحي، الخليق بالبقاء، ولا سبب لذلك إلا أنه كتب عن عقيدة وعاطفة.

وهنالك شيء آخر وهو أن الإيمان وصفاء النفس والاشتغال بالله والعزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء حسن، ولطافة نفس، وعذوبة روح، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة، واقتداراً على التعبير البليغ، فتأتي كتابته كأنها قطعة من نفس صاحبها، وصورة لروحه، خفيفة على النفس، مشرقة الديباجة، لطيفة السبك، بارعة في التصور، لذلك كان من الأدب الصوفي ومن كلام الصالحين العارفين قطع أدبية خالدة لم تفقد جمالها وقوتها على مر العصور والأجيال، وترى من ذلك نماذج في كلام السادة: الحسن البصري، وابن السماك، والفضيل بن عياض، وابن عربي الطائي، تعد من محاسن العربية، واقرأ على سبيل المثال - الحوار الذي دار بين ابن عربي ونفسه وسجله في كتابه "رسالة روح القدس".

إن هذه القطع الأدبية الدافقة بالحياة والقوة والجمال، كثيرة غير قليلة في المكتبة العربية، إذ جمعت تكونت منها مكتبة، لكنها منثورة

www.abulhasanalinadwi.org

مبعثرة، مطوية مغمورة في أوراق كتب ومؤلفات لا تجدها في ركن الأدب والإنشاء في مكتباتنا العربية، ولا يذكرها المؤرخون للأدب في كتبهم، هذه القطع أصدق تمثيلاً للغة العربية، وأدبها الرفيع ومحاسنه في كثير من الكتب المختصة بالأدب، وفي كثير من المجامع والرسائل واللقاءات الأدبية التي تعتبر أساس الأدب وزهو العربية ومحصول العقول.

وهذه القطع هي التي تخدم اللغة والأدب أكثر مما تخدمها كتب اللغة والأدب، وهي التي تفتق القريحة، وتنشط الذهن، وتقوي الذوق السليم، وتعلم الكتابة الحقيقية.

إن هذه القطع والنصوص منثورة في كتب الحديث، والسيرة، والتاريخ، وكتب الطبقات والتراجم، والرحلات، وفي الكتب التي ألفت في الإصلاح، والدين والأخلاق، والاجتماع، وفي بحوث علمية ودينية، وفي كتب الوعظ والتصوف، وفي الكتب التي سجل فيها المؤلفون خواطرهم وتجارب حياتهم، وملاحظاتهم وانطباعاتهم، ورووا فيها قصة حياتهم.

وهذه ثروة أدبية زاخرة تكاد تكون ضائعة، وقد جنى الإهمال على اللغة والأدب وعلى الكتابة والإنشاء وعلى التأليف والتصنيف وعلى التفكير، فحرمه مادة غزيرة من التعبير وباعثاً قوياً للتفكير.

مخطئ من يظن أن المكتبة العربية قد استنفدت وعُصرت إلى آخر قطراتها، إنه لا تزال مجهولة تحتاج إلى اكتشافات ومغامرات، إنها لا تزال بكراً جديدة، تعطي الجديد، وتفجأ بالغريب المجهول، إنها لا تزال فيها ثروة دفينة، تنتظر من يحفرها ويثيرها.

إن مكتبة الأدب العربي في حاجة شديدة إلى استعراض جديد وإلى دراسة جديدة وإلى عرض جديد.

ولكن هذه الدراسة وهذا الاستعراض يحتاجان إلى شيء كبير من الشجاعة، وإلى شيء كبير من الصبر والاحتمال، وإلى شيء كبير من

www.abulhasanalinadwi.org

رحابة الصدر وسعة النظر، فالذي يخوض فيها ليخرج على العالم بتحف أدبية جديدة، وذخائر عربية جديدة، ينبغي أن لا يكون ضيق التفكير، جامداً متعصباً في فهمه للأدب، متعصباً لبلد أو لطبقة أو لعصر، تهوله ضخامة العمل، واتساع المكتبة العربية، أو يوحشه عنوان ديني، أو يمنعه من الاختيار والدراسة، اسم قديم لا صلة له بالأدب والأدباء، يحسب أن يكون حر التفكير، واسع الأفق، بعيد النظر، متطلعاً إلى الدراسة والتجربة، واسع الاطلاع على الكنوز القديمة، يفهم الأدب في أوسع معانيه، ويعتقد أنه تعبير عن الحياة، وعن الشعور، والوجدان، في أسلوب مُفهم مؤثر لا غير.

إنني لا أزدري كتب الأدب القديمة ـ من رسائل ومقامات وغيرها ـ ولا أقلل قيمتها اللغوية والفنية، وأعتقد أنها مرحلة طبعية في حياة اللغات والآداب، ولكنني أعتقد أيضاً أنها ليست الأدب كله، وأنها لا تحسن تمثيل أدبنا العالي الذي هو من أجمل آداب العالم وأوسعها، وأنها جنت على القرائح والملكات الكتابية، والمواهب والطاقات، وعلى صلاحية اللغة العربية، ومنعت من التوسع والانطلاق في آفاق الفكر، والتعبير والتحليق في أجواء الحقيقة والخيال، وتخلفت بهذه الأمة العظيمة ذات اللغة العبقرية والأدب الغني، فترة غير قصيرة، فخير لنا أن نعطيها حظها من العناية والدراسة، ونضعها في مكانها الطبعي في تاريخ الأدب وطبقات الأدباء، وأن ننقب في المكتبة العربية من جديد، ونعرض على ناشئتنا وعلى الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للأدب حتى يتذوق جمال هذه اللغة، وينشأ على الإبانة والتعبير البليغ، ويتعرف على هذه المكتبة الواسعة، ويستطيع أن يفيد منها[1].

أسلوب الشيخ الندوي

يقول الدكتور عبد الباسط بدر:

---

[1]- نظرات في الأدب للشيخ الندوي، ص: ٣١-٣٥

www.abulhasanalinadwi.org

"وأما الجانب الأدبي في شخصية أبي الحسن فأحسب أن قليلاً من الناس يعرفون تفاصيله، غير أنني موقن أن الحديث عنه لن يكون مفاجأة لمن قرأوا كتبه، فلا بد أنهم أحسوا به في كتاباته، ولمسوه في ألفاظه المنتقاة، وعباراته الرشيقة، ولا بد أنهم سيحسون به أكثر وأكثر في كتابيه: "روائع إقبال" و"مختارات من أدب العرب" فالأول: عرض أدبي بديع لعدد من دواوين الشاعر المسلم محمد إقبال يظهر بعض جوانب الإبداع والتألق فيها، والثاني: مختارات من عيون الأدب العربي - قديمه وحديثه - تسكب الجمال بين يديك، وتقدم لك أطيب الطيب، فتكشف عن ذوق مرهف عند من اختارها، وحساسية عالية للبيان الساحر، وإدراك دقيق لمواطن الجمال فيه، .. فضلاً عن الثقافة الواسعة والحس النقدي الرفيع.. وحسبك بهذه الصفات دلالة على الموهبة الأدبية العالية، ألم يقل النقاد عن أبي تمام: إنه في مختاراته أشعر منه في شعره؟

ولا شك أن من يسمع حديثه في مجالسه، وخطاباته المرتجلة في المؤتمرات والحشود لا يخطئ تلك الصفات، فكلماته دائماً تخرج من قلبه وتحمل الفكرة بطريق مختصرة وتدعمها بشواهد مناسبة من القرآن الكريم والحديث النبوي ونوادر الشعر وطرائف الأقوال فتصب في وجدان السامع وتملأ قلبه.

لقد تجمعت في أبي الحسن صفات الأديب الإسلامي العالمي، فهو أديب في العربية وأديب في الأردية والفارسية، وكأنما وضع الله فيه هذه السمات ليكون الرجل الذي ننتظره ليتعزز به الأدب الإسلامي، وليجد من يرعاه في عصر القوميات الضيقة، ومحاولات فصل الدين عن الأدب والفكر والسياسة والاقتصاد وجوانب الحياة العملية.. فقد احتضن هذا الرجل - بحماسة المؤمن الصادق - أول تجمع للأدباء الإسلاميين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم، وظهرت رعايته أول هيئة أدبية إسلامية، لا في العصر الحديث وحسب، بل وفي تاريخ الشعوب الإسلامية كله.. فما

أعرف في هذا التاريخ الطويل العريض تجمعاً للأدباء يلتقي فيه الهندي والعربي والتركي والأندونيسي، على مفهومات واحدة، ومنهج عملي موحد.. ولئن كانت الروابط والاتحادات والجمعيات الأدبية بدعة حديثة في العالم كله، فإنها لم تعرف تجمعاً للأدباء الإسلاميين قبل أن يحتضن أبوالحسن رابطة الأدب الإسلامي ويرعاها[1].

نموذج من نثره

" قالوا لي: حدثنا عن الحجاز وعهدك به قريب، قلت: نعم، إن الحديث عن الحبيب حبيب.

لا أتذكر ذلك اليوم الذي كان فيه ذكر مكة والمدينة جديداً على أذني، وكان اليوم الأول الذي سمعت فيه عن مولد الرسول ومهد الإسلام، وعن مدينة الرسول ومهاجره عليه الصلاة والسلام، وقد نشأت شأن أولاد المسلمين في بيئة لا ينقطع عنها ذكر الحجاز وبلديه المشرفين، وكان أهل البلاد دائماً يسقطون حرف العطف في كلامهم الهندي السريع فيقولون "مكة مدينة" فكنت أتخيل وأنا طفل صغير أنهما بلد واحد، وقلما ذكروا مكة إلا وذكروا المدينة، وكذا بالعكس، فلم أميز بينهما إلا بعد ما كبرت سني وصرت اعقل، وعرفت أنهما بلدان مستقلان بينهما مسافة لا يستهان بها.

لقد سمعت في صغري عن الجنة ونعيمها، وسمعت بنفس الحنين وبنفس الإجلال عن الحجاز وبلديه، فنشأت على الحنين إلى المجموع، نشأت على الحنين إلى الجنة والحجاز، فلما تقدمت في السن عرفت أن الجنة لا سبيل إليها في هذه الحياة، فصبرت وتجلدت وعزيت نفسي، أما الحجاز فقالوا الوصول إليه ميسور، وقرأت أن قوافل الحجاج غادية رائحة، فلم أجد عنه عزاء ولم أجد لنفسي عذراً في عدم الوصول إليه، ثم تقدمت في السن أيضاً، وقرأت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[1]- نظرات في الأدب للشيخ الندوي : ٧-٩

www.abulhasanalinadwi.org

وتاريخ الإسلام فتجدد الشوق القديم واشتعل الحنين في الضلوع، وحقق الله أمنيتي، وتشرفت بالحج والزيارة.

وقفت في هذا البلد الذي تحيط به جبال جرداء سوداء لا يكسوها عشب ولا خضرة، ولا تجوس خلالها الأنهار، متجرد عن كل ما يسترعى الاهتمام وعن كل مايشرح الصدر، ويسر النفس من فتنة المناظر، وجمال الطبيعة، ورقة الهواء، وعذوبة المياه، فقلت: ما أفقر هذا البلد في المظاهر، وما أكثر فضله على الإنسانية والعالم المتمدن، فلولا هذا البلد الذي لا يتطاول بالمظاهر والمناظر لكان العالم قفصاً ذهبياً يبقى فيه الإنسان طائراً سجيناً، فهذا هو البلد الذي أخرج الإنسان من ضيق الدنيا إلى سعتها، وأعاد إلى الإنسانية حريتها وكرامتها، ووضع عنها إصرها والأغلال التي كانت عليها.

وما قلت لولا هذا البلد إلا وخطر ببالي أن أزن عواصم العالم ومدنها الكبرى كلها في هذا الميزان العادل، وأرى ماذا ينقص البشرية وماذا ينقص الحضارة لولا هذه المدن، وعرضتها أمامي بلداً بلداً، فرأيت أن هذه المدن، إنما كانت تعيش لنفسها ولحفنة من البشر، وأنها لم تضف إلى ثروة الإنسانية شيئاً كبيراً، وقد جنت على المدنية والإنسانية في مختلف أدوارها، فكم أفقرت في سبيلها البلاد، وكم شقيت أمم لسعادة أمة، وشقيت أمة لسعادة أفراد، فلا على الدنيا ولا على البشرية ولا على الحضارة إذا لم تكن هذه المدن في خريطة الأرض ولم تزدهر فيها المدنية ولا العمران.

أما لولا مكة لتجردت الإنسانية من أجمل ما عندها من معان وحقائق، وعقائد، وأخلاق، وعلوم وفضائل، هنا وجد العالم إيمانه الذي فقده منذ قرون، ووجد العلم الصحيح الذي ضيعه في غياهب الجهل والظنون، ووجد الكرامة التي أهدرها الطغاة والظالمون، وبالإجمال هنا وجدت الإنسانية من جديد، ووضع التاريخ من جديد.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن ما لي أقول لولا مكة، أما كانت مكة بجبالها ورمالها بل ببيتها وزمزمها هذه القرون الطويلة التي تقدمت القرن السادس المسيحي لا تنكر من أمر هذه الإنسانية التائهة شيئاً، ولا تمد إليها يد المساعدة، محصورة بين جبالها ورمالها تعيش في عزلة عن العالم كأنها ليست من أسرة الإنسانية الشقيقة، ولا رقعة من هذه الأرض الفسيحة؟ بل أحرى بي أن أقول: لولا ابن مكة الذي تغير به مجرى التاريخ، وانقلب به تيار الحياة واستأنف العالم سيراً جديداً إلى نحو جديد؟".[١]

القصة والشيخ الندوي

إذا استعرضنا كتبه ومحاضراته برزت لنا القصص محوراً لكلامه ومنطلقاً لكلمته، وقد اعتمد على القصة في محاضراته التي ألقاها أمام طلبة المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، ونشرت هذه المحاضرات بعنوان "روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة" فالمحاضرة الأولى تدور حول قصة مؤمن يكتم إيمانه، والمحاضرة الثانية عن موقف سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إزاء والده، فيها تعبير للحنان الأبوي، وصلة الابن بوالده، والمشاعر الجياشة في نفسه، والمحاضرة الثالثة تدو رحول قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فيها تصوير للمحيط الفريد الذي قامت فيه دعوته، والمحاضرة الرابعة تدور حول قصة موسى عليه الصلاة و السلام[٢].

ومن القصص التاريخية الأخرى التي ركز عليها الشيخ الندوي في محاضراته ومقالاته الدعوية قصة جعفر بن أبي طالب، وقصة هرقل، وقصة إسلام التتار، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وقصة ربعي بن عامر، وقصة يعقوب عليه السلام التي خاطب فيها أولاده قائلاً: "ما تعبدون من بعدي" حتىأصبح ذلك من سمات أسلوبه، إنه كان يستخرج القصص من التاريخ، ويقيم عليها أساس بحثه أو فكره، وقد

---

[١]- الطريق إلى المدينة ص: ٦٨-٧١

[٢]- روائع من أدب الدعوة للشيخ الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

تكون هذه القصص مطمورة في كتب التاريخ والسير لا يتطرق إليها ذهن عامة القارئ، ثم يحلل عناصر هذه القصة ويمنحها الحرارة والحركة والحياة بأسلوبه المميز.

ومن هذا القبيل وصفه الشيق بأسلوب قصصي لرحلته إلى الحجاز، وكاد الوصف يتحول إلى بعض المواضع المثيرة إلى قصة أدبية مثيرة تصور المشاهد، وتشخص المشاعر، وترهف الحس، وإليه أشار أديب العربية الشيخ علي الطنطاوي في تقديمه لكتاب "الطريق إلى المدينة".

"لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن "الطريق إلى المدينة" أحسست بالشوق يعود، ويعتلج بنفسي، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطّيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار"[١].

ولإيضاح ملامح هذا الأسلوب نقرأ منها هذه القطعة التي هي تعبير صادق عن ملامح أسلوبه القصصي، وهي من "كتاب لا أنسى فضله" في الطريق إلى المدينة.

"وقع بصري على اسم كتاب " رحمة للعالمين" وكنت كثير النظر في الفهارس وإعلانات الكتب، وأرسلت طلباً لهذا الكتاب، وكان قد طبع منه جزءان، تقصر ميزانيتي الصغيرة - وأنا في العاشرة أو الحادية عشرة من عمري - عن شرائه، ولكن الصغار خصوصاً في العصر الذي أتحدث عنه لا يخضعون لقوانين الميزانيات وعلم الاقتصاد، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف.

وجاء ساعي البريد وهو يحمل هذا الكتاب فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة، ورأيت فلا أملك ما أتسلم به هذا الكتاب، وأدفع عنه، واعتذرت أمي مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود لأنها لم تكن تملكها في ذلك الحين.

١- الطريق إلى المدينة للشيخ الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

ورأيت فلم أر بي مساعداً وشفيعاً في هذه المهمة إلا الشفيع الذي طالما لجأ إليه الأطفال، وعرفوا أن شفاعته لا ترد، ذلك الشفيع الذي لجأ إليه سيدنا عمير بن أبي وقاص الصغير، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعته وأجازه في بدر، ذلك شفيع الدموع والبكاء، الذي لم يزل وجيهاً مسموعاً عند الله وعند عباده الصالحين.

وكذلك كان، فقد رق بذلك قلب أمي الحنون، واجتهدت في دفع قيمة الكتاب، وأخذت الكتاب، وبدأت أقرأ، وبدأ الكتاب يهز قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هي هزة رقيقة رفيقة، وبدأ قلبي يهتز له ويطرب"[1].

لقد أسبغ الأسلوب القصصي الجمال والتأثير على واقع بسيط وهو شراء كتاب، وفي هذا الكتاب مواضع كثيرة ظهر فيها ميله إلى الوصف القصصي، ومن أبرزها شعراء العجم في مدح سيد العرب والعجم، وهو معروف، وهو أقرب من الأسلوب القصصي إلى الأسلوب المسرحي، ولذلك قوبل في الأوساط الأدبية، ومثل هذا الفصل الفنانون في الإذاعة، وأعيد من الإذاعة عدة مرات على طلب المستمعين، ونال مخرج هذا البرنامج اعترافاً عاماً، وكان له تأثير كبير على الذين اشتركوا في التمثيل في الإذاعة والمستمعين إليه من غير المسلمين، وكأنه أعد للتمثيل، فعرضه الممثلون بدون أي حذف، أو إضافة، أو صياغة جديدة إلا الأصوات والصدى.

ولعل هذا الشغف بالأسلوب القصصي كان انعكاس شغفه بالقرآن الكريم وكثرة مطالعته، والاعتماد عليه، والتذوق به، وتأثير القرآن الكريم على أسلوبه ملموس وبين، فإن القصة هي من أهم عناصر الأسلوب القرآني، لأن القصة هي أهم وسيلة للتفهيم والإقناع، فالإنسان مجبول على المحاكاة والاقتداء، ولم ترد القصص في القرآن الكريم للتسلية،

[1]- الطريق إلى المدينة .

www.abulhasanalinadwi.org

أو لقضاء وقت الفراغ، بل لها غرض ديني، وتربوي، ولا تنفع القصة الصغار والناشئين فحسب، بل تساعد القصة على الفهم، وتحمل على الاقتداء بكبار السن أيضاً، وقد تكررت القصص في القرآن الكريم، وشغلت القصة بعض السور بكاملها [١].

وقد اختار الشيخ الندوي القصة من خلال بحوثه، وأفكاره العلمية، كما اختار القصة بصورة مستقلة للتربية والتعليم، ونقل الأفكار، وفي هذا المجال ألف عدة كتب من أهمها" قصص النبيين للأطفال" والمقصود منها تعليم اللغة العربية، وغرس العقيدة الإسلامية في ذهن الطفل الصغير، وقد نبتت في ذهنه هذه الفكرة عندما رأى ابن أخيه يقرأ قصص الحيوانات، ككتاب"حكايات للإطفال" للأستاذ كامل الكيلاني المصري، التي تبدأ بقصة دجاجة صغيرة حمراء، وفاطمة التي لعبت بالكبريت، وفيها صور للحيوانات، فثارت فيه الغيرة، فألف كتاب" قصص النبيين للأطفال" واختار فيه نفس الأسلوب الشيق، الذي فيه تكرار للألفاظ، ورعاية لمعرفة الطفل للألفاظ التدريجية، وكذلك تدرجه في معرفة الصيغ كالماضي، والمضارع، والأمر، والنهي، وحروف العلة، باعتبار سنه ودراسته، والمبتدأ والخبر، والموصوف والصفة، ثم يتدرج إلى الجزء الثاني والثالث والرابع والخامس، وفي كل قصة تصوير للواقع، وتشخيص للمعاني، ومواد للتربية الإسلامية، فالطالب الصغير يتعلم اللغة، وقواعد اللغة، والعقائد وملامح التاريخ الإسلامي، ونماذج السلوك البشري بأسلوب يليق به.

كتب الدكتور أحمد الشرباصي في مقدمته للجزء الأول لـ"قصص النبيين" القصة لون جميل من الحديث يستلفت الأسماع، ويستهوي القلوب، فإذا كانت القصة دينية قويمة الأسلوب، محكمة النسج، ازدادت

---

[١]- لأهمية القصة في القرآن الكريم ودورها في الموعظة يراجع كتاب التصوير الفني في القرآن لسيد قطب الشهيد.

www.abulhasanalinadwi.org

بهاء وروعة، وتضاعف تأثيرها في النفوس والأرواح، والإسلام الحنيف بقرآنه المجيد، وسننه المطهرة، وتاريخه الطويل ممتلئ بألوان القصص والأحاديث، ومواقف العبر والعظات مما يعد خير زاد يوضع بين أيدي الناشئين من أبناء المسلمين".

ويبين الشيخ الشرباصي بعد الإشادة بعمل الداعية الإسلامي الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي على إعداد هذه السلسلة من قصص النبيين، فائدة هذا الكتاب فيقول:

"إنه يحقق غرضين كريمين، الأول منهما إمداد البيئة المسلمة بما تطمح إليه من غذاء روحي وعقلي، يرضى العواطف والمشاعر، ويهذب الأخلاق، والطبائع، والثاني: تمكين قواعد اللغة العربية في صدور هذه الشبيبة، وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم ولغة الحديث ولغة التاريخ الإسلامي".

ويوضح أسلوب المؤلف فيقول:

" اضطر المؤلف أن يبسط الحديث، ويختار من الجمل أيسرها وأهونها، مجاراة منه لمستوى الأطفال الذين سيقرأون هذه القصص، كما أضطر إلى التكرار في مواطن كثيرة، لأنه لا يسرد قصة فحسب، بل يعلم مع ذلك لغة، وتعليم اللغة يحتاج إلى الإعادة والتكرار حتى تثبت الألفاظ وترسخ التعابير".

وكتب الأستاذ سيد قطب في كلمة تقديم لكتاب "قصص النبيين":-

" ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص النبيين عليهم الصلاة والسلام، وشاركت في تأليف مجموعة "القصص الديني للأطفال" في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد في غير مجاملة، أن عمل السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في هذه القصة التي بين يديّ جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة، وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة، وحوادثها ومواقفها، ومن تعليقات

www.abulhasanalinadwi.org

داخلة في ثنايا القصة، ولكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار".

وفي كتابه الثاني "القراءة الراشدة" الذي ألفه ليحل محل كتاب "القراءة الرشيدة" المصرية، قصص كثيرة مأخوذة من واقع الحياة، ومن التاريخ، فمن واقع الحياة "قصة صيد"، ومن التاريخ "المنارة تتحدث".

والكتاب الثالث هو "إذا هبت ريح الإيمان" وهذا الكتاب ألف بأسلوب يليق بالصغار والكبار، لأن أسلوب الكتاب سهل سائغ، ولفظ مألوف، ومعنى مفهوم، وتصوير للحياة العامة، وتعبير عن المشاعر البشرية، وهو أيضاً كتاب قصة، وهو في المقررات الدراسية في ندوة العلماء، وهو في نظري أنفع من "العبرات" و"النظرات" للمنفلوطي، لأن قصص هذا الكتاب تعرض البيئة الهندية التي يعيش فيها الناشئون، وتحصل للطلاب الثروة اللغوية من واقع الحياة، ومن شعب الحياة المعاصرة، وفيها دعوة إلى الكفاح لإقرار الحق والتضحية في سبيله.

والكتاب الرابع الذي يشتمل على القصص وهي خاصة للناشئين والشباب كتاب "قصص من التاريخ الإسلامي" يقول سماحته في مقدمة كتابه:

"لقد اتفق علماء التربية وعلماء النفس على أن الحكايات الخفيفة الشائعة الموجهة الهادفة من أقوى وسائل التربية والصياغة الخلقية والمبدئية والدينية والإيمانية إذا كانت متصلة بأقطاب الإيمان واليقين والديانات والرسالات، وإذا كانت هذه القصص والحكايات على مستوى عقول الأحداث والأطفال وفي اللغة التي يفهمونها بسهولة، ويسيغونها ويتذوقونها، كانت مدرسة للأطفال يتعلمون فيها المبادئ، والأخلاق الفاضلة، والدوافع النبيلة، والمشاعر الكريمة، الرقيقة، ومن غير أن يثقل عليهم، ومن غير سآمة وملل، ولا أبلغ ولا أصدق من قول الله تعالى في كتابه العزيز﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [1]

[1]- سوره يوسف، الآية: ١١١.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول في مفتتح سورة يوسف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[١] ولذلك عنيت أكثر اللغات والديانات والبيئات والمعنيون بتربية الأطفال وإنشاء الجيل الجديد على الأخلاق الفاضلة وخلال المروءة، والفتوة، والإيثار، والتضحية، والرجولة، والبطولة، والبسالة، بجمع حكايات شائعة معتبرة تلائم سن الأطفال وعقليتهم، ومدى قدرتهم على الوعي والتذوق".

وبهذه القطعة المقتبسة من مقدمة كتابه "قصص من التاريخ الإسلامي" يتضح هدف سماحة الشيخ الندوي من اللجوء إلى القصة وإدراك دورها في تربية الأطفال والناشئين، وأسلوب القصة الذي اختاره، ويُعرف أن هدفه أوسع وأرحب من هدف الكتاب الآخرين في أدب الأطفال، فإن معظمهم يرمي إلى التسلية المجردة، أو تعليم بعض التصورات والأفكار المحدودة، وقصة أبي الحسن الندوي تجمع بين الغرض الفني والغرض الديني والتربوي، والعلمي في وقت واحد، وهو كاتب للأطفال أيضاً وللكبار، وله براعة في تصوير المأساة وتصوير الأفراح والسعادة، وقلما يوجد مثل هذا الجمع في الإنتاجات الأدبية القصصية الأخرى، وخير دليل على سعة آفاق قصصه، أن الشيخ عبد الماجد الندوي صرح أن كتابه قصص النبيين للأطفال علم كلام جديد يستسيغه ذهن الأطفال فضلاً عن تعليم اللغة والأدب[٢].

وبهذا الاعتبار كان سماحة الشيخ الندوي رائداً للأدب الإسلامي للأطفال ومنشئاً لمدرسة جديدة في القصة بالإضافة إلى بحوثه وأفكاره، وإسهاماته العلمية للعقلاء والمثقفين الكبار وأصحاب الفكر الناضج، وأدبه

[١]- سوره يوسف الآية: ٢ .

[٢]- ويدل على مدى تأثير هذا الكتاب أن عدداً كبيراً من عباد الأصنام أسلموا بقراءة الترجمة الهندية للكتاب، وصدرت لهذه الترجمة التي قام بها السيد أحمد علي الندوي، ونشرها وقف المرحوم محمد الحسني عدة طبعات، ونالت القبول العام، وكانت وسيلة مؤثرة للدعوة، وتنفير النفوس عن عبادة الأصنام ومكافحة البدع والخرافات، وترسيخ عقيدة التوحيد في أذهان الناشئة والكبار .

www.abulhasanalinadwi.org

أدب طبعي خالص فيه إبداع وابتكار، وتوليد المعاني، وتحليل الوقائع، وفتح للأذهان، ودعوة إلى التفكير، والتدبر، وهو أول كاتب للأطفال في اللغة العربية في الهند، بهدف ومبدأ، وبتعبير سيد قطب الشهيد هو أنجح كاتب في القصة الإسلامية ليس في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي.

خصائص أسلوب الشيخ الندوي ومنهجه

يمثل الجمع بين الإيمان والعمل والعلم، الشيخ أبو الحسن الندوي الذي أحدث كتابه الأول "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" هزة في أوساط الفكر الإسلامي، وقد ركز على هذه النقطة بأسلوبه الممتع المؤثر الذي يحمل تأثير الأسلوب الوجداني، فيناشد القلب، وإقناع الأسلوب العلمي فيناشد الفكر والعقل، ويدعو الشيخ الندوي إلى الجمع بين الماضي والحاضر وبين القلب والعقل، فيقول وهو يذكر العالم العربي بما يحمل من أمانة، ومسئولية وبما يتمتع به من احترم وتقديس في نظر العالم كله لأنه مهبط الوحي ويذكره بعهد الانقسام والتناحر الذي كان يعيش فيه قبل البعثة المحمدية، فألف الرسول صلى الله عليه وسلم القبائل المتناحرة وحول الخامات البشرية إلى قوة يحسب لها حسابها.

مما يدل على جودة أسلوب الشيخ الندوي واتزانه، ما كتبه الكاتب الإسلامي الشهيد سيد قطب في مقدمته للكتاب: "إن الإسلام عقيدة الاستعلاء من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور الاطمئنان في غير تواكل، وإنها تشعر المسلمين بتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، بتبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة وهدايتها إلى الدين القيم.

وهذا الكتاب الذي بين يدي يثير في نفس قارئه هذه المعاني كلها، ينفث في روحه تلك الخصائص جميعا، ولكنه لا يعتمد في هذا على مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبية الدينية بل يتخذ الحقائق الموضوعية أداته،

www.abulhasanalinadwi.org

ويعرضها على النظر والحس، والعقل والوجدان جميعاً ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضاً عادلاً مستنيراً، ويتحاكم في القضية التي يعرضها كاملة إلى الحق، والواقع، والمنطق والضمير، فتبدو كلها متساندة في صفة وفي صف قضيته بلا تحمل ولا اعتساف في مقدمة أو نتيجة، وتلك مزية الكتاب الأول".

وقد زار أبو الحسن علي الحسني الندوي معظم البلدان العربية، وخاطب حكامها وعلماءها وجماهيرها بمشاعر جياشة وقلب خفاق، يثير النفوس، وطبعت هذه الكلمات ونالت إقبالاً شديداً في الأوساط العلمية والدينية [1]، فكانت حديث قلب إلى قلب، وهي تحمل بجانب معاني الدعوة، والمواد العلمية روعة بيانية؛ لأنها ذات تعبير شعوري ومعان وجدانية مدعمة بالمنهج العلمي والأدلة العقلية وتحليل للظروف.

ولم يكتف الشيخ الندوي بتأليف كتب أو إلقاء محاضرات بل وراسل الملوك والحكام، وأشار إلى مواطن الضعف، والخطر الذي يحدق بالأمة الإسلامية، وخاصة حكام جزيرة العرب الذين ناشدهم أن يكونوا أسوة وقدوة، وأبرز أهمية الجزيرة العربية وموقعها الجغرافي [2].

وبإلقاء نظرة على كتابات سماحة الشيخ الندوي يمكننا أن ندرك خصائص أسلوبه الدعوي في مختلف مواضعه، ونقدر منهجه الفكري، ونعرف معالم الطريق الذي يرشد إليه، وهو أسلوب أخاذ، ومنهج عملي، ودراسة واقعية، وتعبير وجداني، وتصوير للواقع، وبيان مؤثر.

وقد أنشأ الشيخ الندوي مدرسة فكرية وأدبية، يظهر طابعه في كتابات المتخرجين منها، وفي طليعة المتخرجين من هذه المدرسة الكاتب المرحوم محمد الحسني منشئ مجلة "البعث الإسلامي" التي كان لها دور طليعي في محاربة الفتن والنظريات والحركات الهدامة التي اجتاحت العالم

---

[1]– اقرأ كل ذلك في "إسمعيات" و"العرب والإسلام" و"حديث مع الغرب".

[2]– راجع "كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب".

www.abulhasanalinadwi.org

العربي بصفة خاصة، كالقومية، والناصرية، والاشتراكية، والحضارة الغربية، فحارب هذه الاتجاهات الهدامة بقلمه السيال، الملهم بعاطفته الجياشة وأسلوبه الرشيق المتزن، فكانت له جولات تدك أوكار الهدامين، ونال الاعتراف والتقدير من الأدباء الإسلاميين، فلما صدرت مجموعة مقالاته "الإسلام الممتحن" قوبلت بترحيب بالغ.

وقد نشأ بأقلام المتخرجين من ندوة العلماء اتجاه أدبي جديد، يتدفق بالشعور والعاطفة الإسلامية، وهو مدعم بالعلم الحديث والأسلوب العصري، ووضع هؤلاء الكتاب قواعد الصحافة الإسلامية العربية في الهند تتسم بالأسلوب الندوي الخاص، وكانت لها مساهمة كبيرة في توجيه الصحوة الإسلامية.

مؤلفاته

من أهم مؤلفات الشيخ الندوي التي تربو على أكثر من ٣٠٠ كتاب:-

١. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
٢. السيرة النبوية
٣. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية.
٤. الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة.
٥. تأملات في القرآن.
٦. الصراع بين الإيمان والمادية.
٧. المدخل إلى الدراسات القرآنية.
٨. المدخل إلى دراسات الحديث
٩. النبوة والأنبياء في ضوء القرآن .
١٠. نظرات في الحديث
١١. إلى الإسلام من جديد
١٢. الطريق إلى المدينة

www.abulhasanalinadwi.org

١٣. نحو التربية الإسلامية الحرة
١٤. حديث مع الغرب
١٥. العرب والإسلام
١٦. أمريكا وأوربا وإسرائيل
١٧. الطريق إلى السعادة والقيادة
١٨. الإسلام والمستشرقون
١٩. روائع من أدب الدعوة
٢٠. روائع إقبال
٢١. مختارات من أدب العرب
٢٢. نظرات في الأدب
٢٣. القراءة الراشدة (ثلاثة أجزاء)
٢٤. قصص النبيين (خمسة أجزاء)
٢٥. قصص من التاريخ الإسلامي
٢٦. إذا هبت ريح الإيمان
٢٧. رجال الفكر والدعوة في الإسلام
٢٨. من نهر كابل إلى نهر يرموك
٢٩. مذكرات سائح في الشرق العربي
٣٠. ربانية لا رهبانية
٣١. القادياني والقاديانية
٣٢. المسلمون في الهند
٣٣. المسلمون وقضية فلسطين
٣٤. شخصيات وكتب
٣٥. المرتضى
٣٦. في مسيرة الحياة
٣٧. الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل الجديد

www.abulhasanalinadwi.org

٣٨. ترشيد الصحوة الإسلامية
٣٩. نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان
٤٠. الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية
٤١. العقيدة والعبادة والسلوك
٤٢. أسبوعان في مغرب الأقصى
٤٣. محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة (مجموعة محاضرات في ثلاثة أجزاء).
٤٤. مقالات إسلامية في الفكر والدعوة (مجموعة مقالات في جزئين).

www.abulhasanalinadwi.org

الأستاذ أنور الجندي

١٩١٦ـ ٢٠٠٢م

ولد الكاتب الإسلامي العظيم أنور الجندي الذي ألف حوالي مائة كتاب في مختلف الموضوعات في ٥ /ربيع الأول ١٣٣٥هـ المصادف ديسمبر سنة ١٩١٦م، في مدينة "ديروط" من أعمال محافظة "أسيوط" بمصر، كان اسمه الكامل" أنور سيد أحمد الجندي فرغلي فارس الشاعر" وأصول الأسرة من اليمن، من منطقة الحديدة، هاجرت إلى مصر، وكان والده من رجال الأعمال وتجار الأقطان، وكان من محبي أهل العلم والفضل والدين، وكان جده للوالدة القاضي الشرعي، وكانت لديه مكتبة، وكان يأتي بالصحيفة اليومية ويدعو أولاده إلى قراءتها، فنشأ أنور في بيئة العلم والصحافة.

قرأ في مطلع الحياة "مقدمة ابن خلدون"، و"إحياء العلوم" للغزالي و"تفسير الجلالين" وقصص الأنبياء، وكتب الحديث، ودائرة معارف فريد وجدي، وهو لا يقدر على فهم كل ما يقرأ، وكان يجلس في مجالس العلماء في المسجد، ومجالس الذكر، فنما فيه حب العلم والذكر، ثم قرأ "الرسالة" و"الهلال"، و"المقتطف"، والتقى بكبار العلماء، والمفكرين، والأدباء، وأعلام الفكر والكفاح، أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، وشكيب أرسلان، ورشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي، وأحمد زكي باشا، وأحمد تيمور، ومصطفى الرافعي، وحسن البنا، وعبد العزيز جاويش، وأمين الرافعي، ومحمد فريد وجدي، وعرف أخبارهم وتحمسهم للدين، ودرس عوامل اليقظة الإسلامية، التي

www.abulhasanalinadwi.org

نشطت بتأثير حركة الإمام حسن البنا.

كما عرف في الجانب الآخر محمد حسين هيكل، وعباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات، والدكتور طه حسين، وعرف وجهتهم وغايتهم، فكتب عن المشاهير والأعلام نقداً وتأييداً.

وكان عضواً عاملاً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ومن أوائل الأعضاء في نقابة الصحفيين، وحصل على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠م.

وعاش الأستاذ أنور الجندي زاهداً مقنعاً بعيداً عن الطمع في المناصب والجوائز، والإعلام مكباً على المطالعة والكتابة، ولذلك كان يمتنع عن اللقاءات وخاصة مع الصحفيين، وكان عادة يرسل إلى الصحف والمجلات، مقالاته وبحوثه من دون أن يكتب عنوانه، فكانت المجلات تجد صعوبة في إرسال مستحقاته إذا كانت له، فنشرت بعض المجلات في العدد التالي طلباً أن يرسل عنوانه.

وكان رجلاً ربانياً يواظب على وظائفه اليومية، ويقضي معظم أوقاته متوضئاً، ويخدم الجيران، ويعين ذوي الحاجة من دخله المتواضع.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي:

"منذ كنت طالباً في القسم الثانوي بالأزهر كنت أقرأ أنور الجندي في القضايا الإسلامية، وكان من كتبه الأولى كتاب" اخرجوا من بلادنا" يخاطب الإنجليز، فكان الكتاب سبباً لسجنه، لعدة أيام في عهد الملك فاروق، ثم أفرج عنه، وله عدة موسوعات.

وكان أنور الجندي يميل في كتاباته إلى التسهيل والتبسط، وتقريب الثقافة العامة لجمهور المتعلمين دون تقعر أو تفيهق أو جنوح إلى الإغراب والتعقيد، فكان أسلوبه سهلاً واضحاً مشرقاً"

وله معلمة الإسلام، جمع فيها ٩٩ مصطلحاً في مختلف أبواب الثقافة، والحضارة والعلوم والفنون والآداب، والشرائع، وهو خاص

www.abulhasanalinadwi.org

بشباب الإسلام.

ومن ميزة الجندي في الكتب الأدبية المحافظة على الفكر الإسلامي، ومكافحة ما يخدش سلامته، فتظهر الرؤية الإسلامية والعاطفة الإسلامية بجلاء في جميع ما ألفه الجندي.

وعاصر الأستاذ أنور الجندي نهضة الأدب العربي الحديث في بداياتها إلى أن استقرت على سوقها، وأمضى ما يقارب ستين عاماً مشاركاً وموجهاً في مجال الأدب والفكر، وهو في هذه المشاركة ينطلق من فكر إسلامي سليم يدعو إلى تأصيل العلوم والمعارف وأسلمة الحياة في كل جوانبها، وحذر من الاعتماد على المناهج الوافدة الغربية في الدراسة الأدبية، وكان يدعو إلى منهج إسلامي في دراسة الأدب والنقد.

وكان يرى أن أبرز الأصول التي ينبغي اتباعها عند محاولة فهم الأدب العربي النظر إلى هذا الأدب أنه وحدة من وحدات الفكر الإسلامي، فيقول: أخطر ما هنالك هو تقبل النظرية المسمومة التي تقول بأن الأدب العربي له استقلاله عن الفكر الإسلامي، وله حريته في مجال الأداء، دون اعتبار للمسئولية الأخلاقية، والحدود والضوابط التي قررها الإسلام للمجتمع، وهذه أخطر السهام المسمومة التي أصابت الأدب العربي اليوم[1].

ويرى أنور الجندي أن الأدب ما هو إلا لبنة ضمن بناء كبير، هو الفكر الإسلامي، وبالتالي ينبغي أن يكون هذا الأدب داعماً، ومقوماً لهذا البناء، ومصبوغاً بصبغته عاملاً لخدمة هذا الفكر[2].

وكان أنور الجندي رائد الصحافة الإسلامية، وأرسى مدرسة صحفية إسلامية ناجحة، ذات معالم واضحة، وقسمات تأخذ من الماضي والحاضر، وتنفتح على الآخر، بشروطها ومعاييرها الفكرية والعقدية،

---

[1]- المعاصرة في إطار الأصالة / أنور الجندي ، ص: ١٢٦

[2]- خصائص الأدب العربي ، ص: ٧٨.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان يؤكد على الصحفي أن يتمرس على الكتابة الأدبية الصافية العذبة قريبة المأخذ، عظيمة الجوهر، والمضمون، والتي تبعد عن الإسفاف، والابتذال، وتتبع عورات الناس وإشاعة الفواحش، ويقول: إن الصحافة هي مرآة المجتمع التي تتبلور من خلالها الأفكار والتيارات والمذاهب والأيديولوجيات.

توفي رحمه الله بعد أن خلف مكتبة قيمة زاخرة في الفكر الإسلامي، والتاريخ، والسير، والنقد، في ٢٨/١/٢٠٠٢م.

يقول الدكتور شوقي ضيف إن أنور الجندي لا يقل في كتاباته وما توصل إليه من نتائج باهرة عن العلماء والأفذاذ في تاريخنا، فهو يتماثل الجاحظ والأصمعي وابن تيمية، وابن القيم، في موسوعية المعرفة، والجهاد الطويل بالنفس والروح، والوقت لنصرة الإسلام وقضاياه المصيرية"

ويقول الأستاذ محمد خليل: "امتاز أنور الجندي بالضبط المنهجي، عبر رحلته العلمية الطويلة في كشف أقطار المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ، والحضارة واللغة والأدب، والاجتماع، حيث قام بعملية فرز منهجي لكتابات أرنولد توينبي، وبروكلمان، مرجليوث، ولامنسي، وكذلك، كتابات فيلب حتي ولويس شيخو، ووليم وليبكوكس، في التاريخ، وقام بنقض نظرية في الجنس، ونظرية دور كايم في الاجتماع، ونظرية تين .... في الأدب، مع تقديم البديل الإسلامي فيما يتناوله من مفاهيم ونظريات".

نموذج من أسلوبه

يقول الأستاذ أنور الجندي في مقالة له نشرتها مجلة"الدعوة" الصادرة بالرياض في العدد ٨٨٨٩ تحت عنوان"خطران":

"عملان خطيران قذف بهما التغريب في وجه الأمة الإسلامية، فأفقدها قوة التماسك بإزاء ذاتيتها الخاصة المتميزة: القانون الوضعي في وجه الشريعة الإسلامية، ومبدأ القوميات في وجه الوحدة الإسلامية، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

ولدت القومية في أحضان الإرساليات التبشيرية ، واتخذت وسيلة لهدم الخلافة ، وليس كذلك العروبة التي لجأ إليها العرب بعد سقوط الخلافة ، وكانت في تقديرهم حلقة تالية للوحدة الإسلامية بعد الوطنية والإقليمية التي فرضها تمزيق العالم الإسلامي ، وصولاً إلى الوحدة الإسلامية مرة أخرى ، ولكن العروبة بمفهومها الإسلامي وانتمائها الأصيل كان مكروهاً عند التغريب الذي حاول أن يطرح مفهوم القومية بالمفهوم الغربي ، وهو يعنى الانسلاخ عن الإسلام تحت شعارات ومسميات شتى ، وبأساليب وأفكار ترمي إلى هدم التراث والأصول التي قام عليها البناء الاجتماعي ، وتهدف إلى الفصل بين العرب والمسلمين وبين العروبة والإسلام ، وإقامة حاجز من الحقد والكراهية بدلاً من بناء جسر الأخوة الإسلامية بين العرب والأمم التي تقول لا إله إلا الله ، ولقد تساءل كثير من الباحثين المخلصين ، لماذا ركز الفكر الغربي على مفهوم القوميات والإقليميات في البلاد الإسلامية؟ وكانت الإجابة واضحة : إنها من أجل إسقاط الجامعة الإسلامية ، ومن أجل إقامة القومية اليهودية ، وفي نفس الوقت للدعوة إلى إنشاء دولة علمانية للقضاء على الذاتية الإسلامية الخاصة التي شكلها الإسلام ، ومن أجل صهر وحدة المسلمين الفكرية في أتون الأممية العالمية.

وقد أدى ذلك التركيز الخطير على الإقليمية والقومية إلى بعثرة وحدة الأمة الإسلامية إلى سبعين جنسية معزولة عن الأخرى ومحبوسة وراء أسوار وعروبة مقطوعة عن الإسلام فكراً وعن المسلمين جغرافياً ، وحاولت الدعوة إلى القومية أن تصبغ كل شيء بلونها كأنها أيديولوجية مستقلة حتى بالنسبة للقيم العامة ، التربية العربية ، القانون العربي ، المجتمع العربي...
حتى في دراسات التاريخ... فهناك الفقه المصري والفقه الشامي والفقه العراقي ، وهناك في التراث إقليمية وقومية ، دور مصر في النحو ودور الشام في الصرف ، ودور العراق في البلاغة ، وتراوحت القضايا بين الإقليمية والعروبة ، وأخذ كل قطر يفخر بنفسه ، وكلها دعوات حول الأجناس

www.abulhasanalinadwi.org

والدماء والعناصر، وفصل اللغة عن الإسلام كفصل التاريخ عن الإسلام، والهدف هو إخفات صوت الإسلام بالادعاء أن التاريخ عربي، والحضارة عربية، والثقافة عربية، والجامعة عربية، باستهداف التركيز على القوميات الضيقة، وإعلاء التاريخ القديم الذي أهدره الإسلام، وقال المؤرخون: بأن هناك انقطاعاً حضارياً بين الإسلام وما قبله، فظهرت دعوات الفرعونية والفينيقية والقول بأن العربية لغة العرب وحدهم، وتمصير القانون والأدب واللغة، أو مغربته والإشادة بالمؤرخين الوطنيين وحدهم في كل قطر على حدة، وإعادة تفسير التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ مناطق وأقاليم، وأنه تاريخ قومي، والبحث عن سبيل لوضع صيغة القومية العازلة فيه منذ أولى عصوره، وقبل أن تعرف كلمة القومية أو مدلولها، قال أحدهم "العروبة دين عبر القوميين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا، وإن كان لكل نبوته المقدسة، فإن القومية العربية هي نبوة هذا العصر في محفلها العربي، وأن الوحدة العربية تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله، من قلوب قوم مؤمنين"، وهذا الكلام يعني إقامة القومية كدين ينافس الإسلام، وقد تعالت هذه الصيحات ثم انهارت وليس لها إلا بقايا قليلة لا بد أن تنهار.

لقد تعالت صيحة القومية بين اليهود لتفسح مجالاً للصهيونية ولتحقيق البقاء لإسرائيل، وقد أقيمت جهود سنوات طويلة لبناء القومية العربية الوافدة، ولكنها فشلت لأنها عارضت الفطرة والعقل والعلم، وتراث أربعة عشر قرناً من الإيمان بالله، نعم إن العالم الإسلامي المركب من أجناس شتى يقدر للعرب دورهم الرائد في حمل رسالة الإسلام إلى العالمين، ويقدس لغتهم لأنه بما نزل القرآن، ويعلم أن العرب دماغ الإسلام وقلبه مادام القرآن عربياً، والنبي عربياً، ولكن هذا لا يعطى العرب امتيازاً خاصاً يجعلهم جنساً فوق الأجناس.

والمعتقد أن مرحلة القومية العربية التي جاءت بعد الحرب العالمية

www.abulhasanalinadwi.org

الثانية قد انطوت، وأن المسلمين والعرب اليوم يواجهون مرحلة أخرى تختلف عن المراحل السابقة، وهي مرحلة التماس مفهوم إسلامي لإقامة المجتمع الرباني، وآية ذلك ما قاله المستشرقون الغربيون أنفسهم، وفي مقدمتهم "ويلفرد كايتول شميث" حيث قال إن تاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض والبناء، وما لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه لن تثمر الجهود البتة، وفي هذا المعنى ما قاله "جارودي" من أن كل حركات الجهاد الوطنية والقومية التي قامت من أجل تحرير البلاد الإسلامية، كانت في الأصل إسلامية الجذور، ولقد استخدمت كل الوسائل السياسية لإعلاء شأن القومية، ولكن المجتمع الإسلامي لم يقبلها على هذه الصورة الوافدة التي دعا إليها "ساطع الحصري" وغيره، والتي استمدها من مفهوم القومية التركية في البلقان، وغيره، وسيظل المسلمون قادرين على الأصالة وعلى رفض كل المذاهب، والأيديولوجيات الوافدة، وسيجعلون مفهومهم في العروبة الأصل المستمد من الإسلام والقائم على الوحدة والإخاء الإنساني وعلى التجميع دون التفريق، وعلى الالتقاء الجامع لكل المسلمين، هو الأساس الحقيقي، ومن هنا كانت قضية القومية إحدى التحديات التي حاولت تحطيم الكيان الإسلامي".

فمن خلال هذه المقالة الصغيرة التي نقلناها لك كاملة، دون تنقيب ولا مفاضلة، تتضح لعينيك ملامح هذا الفكر الإسلامي مميزة بارزة بكل خصائصها.. فهو يحدثنا عن جانب من الغزو الفكري والنفسي يمثل في الواقع اثنين من أهم الأخطار التي تثيرها حركة التغريب.

مؤلفات الأستاذ أنور الجندي

١. آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب
٢. ابتعاث الأسطورة مؤامرة جديدة تواجه الفكر الإسلامي.
٣. أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة: حياته، آراؤه، آثاره

www.abulhasanalinadwi.org

٤. أخطاء الفلسفة المادية
٥. أخطاء المنهج الغربي الوافد
٦. الأخطار التي تواجه الأمم
٧. الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع والحرية
٨. أساليب الغزو الفكري.
٩. الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر
١٠. الإسلام في أربعة عشر قرناً.
١١. الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية و السياسية والعلمية.
١٢. الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة.
١٣. الإسلام في وجه التحديات الوافدة والمؤشرات الأجنبية.
١٤. الإسلام والتيارات الوافدة.
١٥. الإسلام والحضارة.
١٦. الإسلام وحركة التاريخ.
١٧. الإسلام والدعوات الهدامة.
١٨. الإسلام والعالم المعاصر.
١٩. الإسلام وموقفه بين الفلسفات والأديان.
٢٠. أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي.
٢١. أضواء على الأدب العربي المعاصر
٢٢. أضواء على الفكر الإسلامي
٢٣. إطار إسلامي للفكر المعاصر.
٢٤. إعادة النظر في كتابات العصرين في ضوء الإسلام.
٢٥. اعرضوا أنفسكم على موازين القرآن .
٢٦. الأعلام الألف.
٢٧. أعلام وأصحاب أقلام.
٢٨. الإمام المراغي

www.abulhasanalinadwi.org

٢٩. الانقطاع الحضاري.
٣٠. أهداف التغريب في العالم الإسلامي.
٣١. بطاقة إسلامية.
٣٢. البطولة في تاريخ الإسلام.
٣٣. بماذا انتصر المسلمون.
٣٤. بناء منهج جديد للتعليم والثقافة.
٣٥. على قاعدة الأصالة.
٣٦. البهائية من الدعوات الهدامة.
٣٧. تاريخ الدعوة الإسلامية، في مرحلة الحصار من حركة الجيش إلى كامب ديفيد.
٣٨. تاريخ الصحافة الإسلامية.
٣٩. تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة.
٤٠. التبشير الغربي.
٤١. التجربة الغربية في بلاد المسلمين.
٤٢. تحديات في وجه المجتمع الإسلامي.
٤٣. تحديات في وجه المرأة المسلمة.
٤٤. تحديات الفكر الإسلامي.
٤٥. تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي.
٤٦. تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث.. السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية.
٤٧. تصحيح المفاهيم.
٤٨. المعاصرة في إطار الأصالة.
٤٩. العودة إلى المنابع.
٥٠. خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث.
٥١. الشعر العربي المعاصر.

www.abulhasanalinadwi.org

٥٢. الشعوبية في الأدب العربي الحديث.
٥٣. صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر.
٥٤. الفنون والمسرح.
٥٥. المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام.
٥٦. نزعات التجديد في الأدب العربي المعاصر.
٥٧. متى يعود الأدب العربي المعاصر إلى أصالته .
٥٨. معلمة الإسلام.
٥٩. في دائرة الضوء.
٦٠. أحاديث إلى الشباب المسلم.
٦١. نوابغ الفكر الإسلامي
٦٢. مفكرون وأدباء من خلال آثارهم.
٦٣. أضواء على حياة الأدباء المعاصرين.
٦٤. أحمد زكي باشا.
٦٥. عبد العزيز جاويش.
٦٦. حسن العطار.
٦٧. حسن البنا الداعية الإمام المجدد الشهيد.
٦٨. جيل العمالقة، في ضوء الإسلام.
٦٩. أفغانستان ومقاومة الاستعمار.
٧٠. البدائل الإسلامية.
٧١. عطاء الإسلام الحضاري.
٧٢. مفاهيم العلوم الإسلامية، والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام.
٧٣. محاكمة فكر طه
٧٤. المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية.
٧٥. الإسلام في وجه التغريب، مخططات التبشير والاستشراق.

www.abulhasanalinadwi.org

الأستاذ محمد قطب

ولـد محمـد قطـب في بلـدة"موشـا" بمحافظـة "أسـيوط" مصـر في ٢٦/٤/١٩١٩م، وكان والد محمـد قطـب إبراهيـم مـن المزارعـين، لم يدرس بصورة نظامية في المدارس إلا أنه كان كثير المطالعة، فكان يعتبر من مثقفي قريته المهتمين بالأمور العامة، فكان لذلك موضع احترام وتقدير من أهلها، إذ يعدونه من أصحاب الرأي فيهم، بالإضافة إلى مكانة أسرته بينهم، وكانت والدته السيدة فاطمة عثمان تنتمي إلى أسرة عربية محبة للعلم، تلقى إخوتها دراستهم في الأزهر، وبرز منهم أحمد حسين الموشي، وكان أديباً شاعراً اشتغل بالصحافة والسياسة.

أتم محمد قطب دراسته الابتدائية والثانوية في القاهرة، ثم التحق بجامعة القاهرة، حيث درس اللغة الإنجليزية، وآدابها، وتخرج فيها عام ١٩٤٠م، ثم التحق بمعهد التربية العالي للمعلمين، فحصل دبلومها في التربية وعلم النفس.

وإن أعظم الناس تأثيراً في حياته هو أخوه سيد قطب الذي كان أكبر منه بحوالي ١٢ عاماً، فأشرف على تعليمه وتربيته، ويعترف محمد قطب بفضله عليه، فكان بالنسبة إليه بمثابة الوالد فتأثر به - كما يقول - شعوراً وعلماً، وثقافة، وفكراً.

ولخاله أحمد حسين الموشي أيضاً تأثير على تربيته، وكان خاله على صلة وثيقة بالعقاد، فتأثر الإخوان أدبياً وفكرياً، ويقول محمد قطب إنه درس كتب المازني وطه حسين والعقاد وهو في التاسعة من عمره، ويتمثل تأثره بالعقاد فكرياً وأسلوبياً في الصبر على معالجة الأفكار بشيء

www.abulhasanalinadwi.org

من العمق، وفي التركيز على الدقة في التعبير.

وقد عانت أسرة قطب كثيراً، وخاصة بعد عودة سيد قطب من أمريكا، ونقده للحضارة الغربية، فتحولت الصحافة المصرية ضده، وبدأت معركة كانت تنذر بالاعتقال، وبدأت المحنة بعد الثورة العسكرية، التي كانت أولاً متفاهمة مع الإخوان، وبعد أحداث الإسكندرية عام ١٩٥٤م، اعتقل سيد قطب، و أعدم عدد من أعضاء الإخوان، ثم اعتقل محمد قطب أيضاً، وشهدا فنون التعذيب ما لا يخطر على بال أحد، وحيل بينهما في السجن حتى لا يعرف أحدهما عن أخيه شيئاً، ثم أطلق سراح الأستاذ محمد قطب بعد فترة غير طويلة، وبقي محمد قطب معتقلاً طوال عشر سنوات، وفي عام ١٩٦٥م أعيد اعتقال الشقيقين واعتقلت شقيقاتهما، وقتل أحد أولادهن، أثناء التعذيب، ولقي سيد قطب الشهادة في عام ١٩٦٦م وأفرج عن محمد قطب عام ١٩٧١م، بعد ما قضى ست سنوات في السجن.

يقول الشيخ محمد المجذوب في كتابه "علماء ومفكرون عرفتهم" عن محمد قطب:

"الأدب مفتاح شخصيته، فهو أديب في مشاعره، وأديب في تفكيره، وأديب في فلسفته، وأديب في طريقة تناوله، لكل ما ينشئ... وهذا إلى كونه شديد التركيز على أهمية الأدب في مخاطبة القراء والمستمعين حتى لتشعر وهو يطالعك بأفكاره في هذه الشؤون، أنه يعتبر الكلمة الجميلة، والعبارة البليغة، والصورة الموحية، من الوسائل المفضلة التي عن طريقها يتوصل الداعية الإسلامي إلى التأثير المنشود في العقول والقلوب".

وقضى محمد قطب حياته بعد الأزمات في مصر في السعودية، يواصل عمله الدعوي والعلمي، وهو مرتبط بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ويشارك في المؤتمرات والندوات.

www.abulhasanalinadwi.org

نموذج من كلامه

يقول الأستاذ محمد قطب:

"والحياة ليست عبثاً..

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً؟ وأنكم إلينا لا ترجعون﴾

إن الإسلام لا يقطع الصورة من اكتمالها، ويعرضها مجزأة مشطورة، فتبدو مشوهة عابثة هازلة.

إنه يرسمها مكتملة..بشطريها.. فتتبدى في الحال جديتها وغائيتها وتنزهها عن اللهو والعبث والباطل.

الحياة الدنيا - وحدها - ليست هي الحياة، وليس ما يقع فيها هو نهاية الصورة ولا نهاية الأحداث، وإلا فهي باطل وقبض الريح!

وإنما الحياة الدنيا هي" المقدمة" التي تترتب عليها "النتيجة" والدار الآخرة هي التكملة والنتيجة، وهي لذلك" الحياة" الحقة.

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾.

الحياة الدنيا هي المكان والزمان المخصصان"للابتلاء" والحياة الآخرة في المكان و الزمان المخصصان "للجزاء".

﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾

﴿ولنبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾.

﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾.

﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق، ولتجزي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾.

﴿ كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾.

وبذلك تكتمل الصورة في التصور، ويطمئن القلب البشري كذلك ويستقر.

فحين يعرف الإنسان أن هذه الحياة ليست نهاية الصورة ولا نهاية الأحداث تعتدل حياته كلها في آن.

www.abulhasanalinadwi.org

فمن ناحية لا يتلهف اللهفة المجنونة على متاع الأرض، اللهفة التي تتملك القلب البشري - لا محالة - حين يستقر في أعماقه أنها فرصة واحدة - ذاهبة - لا تتكرر. إما أن تهتبل وإما أن تضيع، ويترتب على ذلك صراع مجنون على "تملك" المتاع.

ومن ناحية أخرى لا يدركه اليأس القاتل والشقاء المميت الذي يتملك القلب البشري حين يرى مظالم الأرض وانحرافاتها، واضطراباتها، وعذاباتها، التي لا حيلة له فيها - مهما حاول وصارع واستيأس في الصراع - ثم يحس أنها النهاية الأخيرة، وليس وراءها تصحيح للأوضاع الفاسدة، ولا رد للمظالم الجائرة، ولا تعويض عن الشقاء الذي لم يستطع دفعه ولا اتقاءه، رغم المحاولة والاستبسال، وفي الفترة المعطاة له من الحياة.

ومن ناحية لا يفسد ضميره، ولا إيمانه بالحق والعدل الأزليين، فلا ينحرف في سلوكه وأخلاقه: يظلم ويتقبل الظلم، ويبرر الوسيلة بالغاية، ثم لا يتحرى نظافة الغاية ولا نظافة الوسيلة.

ومن ناحية "يخشى" الله ويتقيه، ما دام لا بد ملاقيه.. فيعمل حساب هذا اللقاء، بالتطهر والنظافة وإتقاء الفساد.

من أجل ذلك يركز الإسلام تركيزاً شديداً على القلب البشري بذكر الآخرة، وتصويرها، وتجسيم مشاهدها، وإبرازها، ووصلها بالحياة الدنيا، وتوحيد الطريق من الدنيا إلى الآخرة، وترتيب هذه على ذلك.. لأن هذا هو "المفتاح" الذي يضبط الوتر على ضبطه الصحيح، فلا تصدر عنه النغمة النشاز[1].

ويقول:

"حين انفصلت الأخلاق في الجاهلية الأوربية الحديثة عن معينها الأصلي، وهو منهج الله، أصابها ما أصابها من انحراف، بطئ جداً، وتدريجي جداً، لأن هذا هو الشأن في أمور الأخلاق، المرتبطة بأعماق

---

[1]- جاهلية القرن العشرين، ص: ٢٥٣-٢٥٤

www.abulhasanalinadwi.org

النفس البشرية من الداخل، التي لا تتحرك ولا تمور حتى يكون السطح قد وصل إلى درجة من الاضطراب الذي لا يطاق! ـ ولكنه حاسم في النهاية.

انفصلت السياسة عن الأخلاق باديء ذي بدء. ثم انفصل الاقتصاد. ثم انفصل الجنس. ثم صارت الأخلاق نفعية وأنانية. ثم.. في النهاية أخذت تتداعى هذه الأخلاق النفعية ، الأنانية ذاتها على يد الجيل الناشئ في الغرب.. مؤذنة بالانهيار..

ولن يحدث في أي وقت من الأوقات أن تنهار جميع الأخلاق ! لن يحدث! النفس البشرية ـ بطبيعتها المزدوجة ـ لا يمكن أن تتمحض ـ بمجموعها كله ـ للشر. وإنما تبقى ألوان من الخير متناثرة هنا وهناك.. ولكن يحدث أن يزداد الشر حتى يصبح هوالغالب.. وعندئذ ينهار البناء .

والإسلام ـ في شأن الأخلاق ـ يضع الأمور في موضعها الطبيعي الحق.. الأخلاق ـ ككل شيء في منهج الحياة ـ مصدرها الوحيد هو الله، ومنهج الله. ومن ثم تصبح في وقاية من تلاعب الطاغوت، الذي يسمى "تطوراً" ليستر الطاغوت ! وليبسر الفساد على نفس البشرية!

ومن أجل أنها أخلاق"ربانية" لا أخلاق من صنع البشر، فهي لا تتعرض للأهواء، ولا تتحول عن قواعدها الراسخة، ولاتتحول لخدمة طبقة أو طائفة من الناس.. ولا تنحل كذلك اتباعاً للأهواء والشهوات.. ولا تصبح "مودات" متغيرة كما تتغير الأزياء!

ومن أجل أنها أخلاق ربانية، فهي أخلاق"إنسانية"! إنسانية بمعنى أنها تتعامل مع كل بني الإنسان، لا على أساس المصلحة القومية أو المصلحة العنصرية، أو العصبية الدينية.. أو أي لون من ألوان الانحراف الذي أصاب "الأخلاق" الغربية حين انحرفت عن منهج الله.

إنها تتعامل مع الإنسان على أنه إنسان.. بصرف النظر عن فوارق اللون والعنصر والطبقة.. والاعتقاد.. إنسان مشتق من" النفس" الواحدة التي خلقها الله باديء ذي بدء، وخلق منها زوجها وبث منهما الرجال

www.abulhasanalinadwi.org

والنساء:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]

مؤلفاته

١. الإنسان بين المادية والإسلام، وهو باكورة كتبه
٢. شبهات حول الإسلام
٣. جاهلية القرن العشرين
٤. دراسات قرآنية، وهو قصة حياته مع القرآن منذ الطفولة
٥. منهج التربية الإسلامية
٦. منهج الفن الإسلامي
٧. التطور والثبات في حياة البشرية
٨. المذاهب الفكرية المعاصرة
٩. في النفس والمجتمع
١٠. معركة التقاليد
١١. سخريات صغيرة، مجموعة من القصص العالمي
١٢. أشهر قصص الأطفال، في خمسة أجزاء
١٣. قبسات من الرسول
١٤. كيف نكتب التاريخ الإسلامي
١٥. المستشرقون والإسلام
١٦. مفاهيم ينبغي أن تصحح
١٧. هل نحن مسلمون؟
١٨. أولادنا في ضوء التربية الإسلامية
١٩. الثقافة الإسلامية

[1] – نفس المصدر، ص: ٢٩٦–٢٩٧

www.abulhasanalinadwi.org

٢٠. دراسات في النفس الإنسانية

٢١. رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصرة

٢٢. مقرر علم التوحيد

٢٣. واقعنا المعاصر

■ ■ ■

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر	٣
بين يدي الكتاب	٧
المقدمة/فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي	١١
التقديم/ سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي	١٥
القسم الأول	
الأدب الحديث	٢٧
تأثير المذاهب الأدبية الأوربية على الأدب العربي المعاصر	٤٣
القسم الثاني	
١- المفتي محمد عبده	٨٩
٢- مصطفى لطفي المنفلوطي	٩٥
٣- الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٠١
٤- الأمير شكيب أرسلان	١١٢
٥- إبراهيم عبد القادر المازني	١٢٠
٦- محمد حسين هيكل	١٢٨
٧- عباس محمود العقاد	١٣٦
٨- محمود تيمور	١٤٥
٩- الدكتور طه حسين	١٥٢
١٠- توفيق الحكيم	١٦٥
١١- الدكتور نجيب الكيلاني	١٧٠
١٢- نجيب محفوظ	١٧٩
القسم الثالث	
١٣- عبد الرحمن الكواكبي	١٩١
١٤- الأستاذ محمد كرد علي	١٩٩

www.abulhasanalinadwi.org

١٥ - الدكتور مصطفى السباعي ٢٠٩
١٦ - سيد قطب الشهيد ٢١٩
١٧ - الكاتب الكبير محب الدين الخطيب ٢٢٩
١٨ - الأستاذ محمد المبارك ٢٣٨
١٩ - الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ٢٤٧
٢٠ - الشيخ محمد الغزالي ٢٥٤
٢١ - محمود محمد شاكر ٢٦١
٢٢ - الدكتورة عائشة بنت الشاطئ ٢٦٩
٢٣ - الشيخ علي الطنطاوي ٢٧٨
٢٤ - الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ٢٩١
٢٥ - الأستاذ أنور الجندي ٣١٧
٢٦ - الأستاذ محمد قطب ٣٢٧
فهرس الموضوعات ٣٣٤

www.abulhasanalinadwi.org

منشورات لدار الرشيد

١-تاريخ رجال الفكر و الدعوة في الإسلام، الجزء الأول	
للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي	200/-
٢-أدب أهل القلوب	
للأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي	120/-
٣- أدب الصحوة الإسلامية	
للأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي	40/-
٤- الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند	
للأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي	40/-
٥- أعلام الأدب العربي في العصر الحديث	
للأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي	190/-
٦- العالم الإسلامي والغرب: التحديات والمستقبل	
للدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجرى	10/-
٧- رهبرانسانيت (بالأردية)	
للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي	230/-
٨-مسلم سماج (بالأردية)	
للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي	110 /-
٩- ندوه كا ايک دن (بالأردية)	
للأستاذ محمد أكرم الندوي	50/-

www.abulhasanalinadwi.org